أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
الوعي الإسلامي
AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الإعلام والعلاقات الخارجية

موسوعة شمائل المصطفى ﷺ

آدابه ﷺ

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾

الجزء الخامس

تأليف
أ.د. عبد العزيز بن إبراهيم العمري
أستاذ السِّيرة النَّبويَّة
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرِّياض سابقًا

الإصدار مائة وأربعة وتسعون
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

مَوْسُوعَةُ شَمَائِلِ المُصطَفَى ﷺ

آدَابُهُ ﷺ

(٥)

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الإعلام والعلاقات الخارجية

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
دولة الكويت - في مطلع كل شهر هجري

جميع الحقوق محفوظة

الإصدار مائة وأربعة وتسعون

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

ISBN:978-99966-69-33-6

العنوان:

ص.ب ٢٣٦٦٧
الرمز البريدي ١٣٠٩٧ الكويت

هاتف: ٢٢٣٤٣٩٩٩ - داخلي: ٤٥٩٧

فاكس: ٢٢٣٤٢٣٨٣

البريد الإلكتروني
alwaeiq8@gmail.com

الموقع الإلكتروني
www.alwaei.gov.kw

الإشراف العام

رئيس التحرير

فهد محمد الخزي

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
الوعي الإسلامي
AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة
قطاع الإعلام والعلاقات الخارجية

موسوعة شمائل المصطفى صلى الله عليه وسلم

آدابه صلى الله عليه وسلم

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾

الجزء الخامس

تأليف
أ.د. عبد العزيز بن إبراهيم العمري
أستاذ السيرة النبويّة
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة بالرّياض سابقًا

الإصدار مائة وأربعة وتسعون
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

لكل من آمن أن الدين وحُسن الخلق فطرة الله التي فطر الناس عليها.

قال - تعالى -: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠)﴾

[الروم].

مقدمة:

الحمد لله القائل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفتح].

والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد؛

ففي هذا الجزء الخامس من موسوعة الشمائل المعنونة بـ"**آدابه** ﷺ"، وأثناء البحث عجبت كثيرًا لما أورده المحدثون، وعلى رأسهم الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه في (كتاب الأدب)، وكذلك ما أورده مسلم في صحيحه في (كتاب الآداب)، وأبو داود في سننه في (كتاب الأدب)، وما أورده الترمذي في سننه في (كتاب البر والصلة) وفي (كتاب الأدب)، والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوئد، في (كتاب الأدب)، وغيرهم من أصحاب الصحاح والسنن فيما ذكروه من أبواب وروايات تعد شواهد هامة ورائعة في الشمائل النبوية وما يرتبط بها من أخلاقه وآدابه ﷺ، حيث إن فيها موضوعات كثيرة تخدم شمائل المصطفى ﷺ التي مارسها أو أمر بها، في حياته ﷺ، وإن لم تورد في هذا الموضوع مباشرة، ولم يقم بعض ممن كتب في الشمائل النبوية باستقصائها، والاستفادة منها كما يتوقع.

كما أنه أثناء عملي بهذه الموسوعة وجدت شواهد من كتاب الله، تخدم كل موضوع منها على حدة، وكنت أقف عند تلك الشواهد، وكأني أقرأها لأول مرة، حين أربطها بخلق النبي ﷺ وشمائله، وإن كانت في معرض الحديث عن الأمم السابقة، أو حوادث غير مباشرة في الشمائل، مع شواهد من سنته ﷺ وكذلك ما نقل من أصحابه في هذا المقام مما تعلموه

منه ﷺ ، وهم تلاميذه ومقلدوه المتأسون الأوائل به ﷺ الجسر الذي ربطنا به ﷺ.

وقد اجتهدت في هذا القسم في العمل على استحضار الشواهد من كتاب الله ومما روي من سنته ، ﷺ بعد مسح موسع للمصادر الأصلية حول الموضوع، مع الاستفادة ممن سبقني في الموضوعات المتفردة في هذا الباب، التي رأيت فيها كتابات متعددة ومتنوعة دون رابط بينها في الغالب.

أسأل الله أن يجعل هذا العمل قربة لله، وقربًا من رسوله ﷺ ويجعلنا من المتأسين به والمقتدين، وأن يوردنا حوضه ولا يفتننا بعده، وأن يعز أمته ولا يخذلها. ويربطها بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

* * * * *

تمهيد:

تعريف الأدب: الأدب أصله دعوة وتجميع الناس إلى مأدبة الطعام، وسمي أدبًا لأنه يوجه الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح.

والأدب يكون في المحمود من السلوك ويُعدُ الإنسان الموصوف به من أهل الفضائل والمروءة، ويجمع على آداب، وأدبته أو أدبه تأديبًا، ويدخل فيه التربية والتعليم للفضائل والمروءة والخير، وربما اطلق على الكلام الجميل أو الفعل الحسن الذي يترك في نفس سامعه أو شاهده أثرًا قويًا يحمله على الاستزادة منه، والميل والثناء عليه ومحاكاته.(١)

كما يمكن وصف الأدب: بـ (أنه استعمال ما يحمد قولاً وفعلاً، ويعني العناية بمكارم الأخلاق وحَسِنها، أو الوقوف مع المستحسنات).(٢)

وقد سبق الإمام البخاري رحمه الله غيره فوضع في صحيحه (كتاب الأدب)، ذكر فيه أبوبًا متعددة في حُسن الخُلق، وصلة الرحم وبر الوالدين وغيرها من الأبواب ذات الصلة.(٣)

وقد اشتهر عند الناس ما نسب له ﷺ من قوله: ((أدبني ربي فأحسن تأديبي))، وقد توقف العلماء عند الأثر، وأنكر بعضهم صحة نقله عن النبي ﷺ.(٤) وإن كان معناه صحيحًا في عناية الله ﷻ بنبيه، أخذًا من قوله -

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٢/٢٠٧؛
الزبيدي، تاج العروس، ج/١٤٤.

(٢) انظر: صالح بن حميد وآخرون، نضرة النعيم، ج٢/١٤١.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب الأدب، ج٧/٦٨.

(٤) ا نظر: موقع الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله *https://binbaz.org.sa/* بتاريخ ١٤٤١/٩/١٩م.

تعالى ـ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ [الضحى].(١)

قال ابن القيم: (والأدب ثلاثة أنواع، أدب مع الله سبحانه وتعالى وأدب مع رسول الله ﷺ وشرعه، وأدب مع خلقه).(٢)

كان ﷺ مثال الرحمة والعطاء وحسن الخلق، خبرته خديجة رضي الله عنها وهدأت من روعه بعد نزول الوحي عليه، مذكرة بأخلاقه العالية (كلا والله لا يخزيك الله أبدًا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرئ الضيف وتعين على نوائب الدهر)،(٣) وفي ذلك تأكيد للأمة جمعاء: (إن مكارم الأخلاق وخصال الخير سبب للسلامة من مصارع السوء).(٤) كما عرفه بذلك قومه من أحبابه وأعدائه حتى وصل خبر هذا الأدب إلى هرقل الروم أكبر الملوك في زمانه. ونقلت الأمة لنا هذا الخُلق العظيم، مصداقًا لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم]. فاللهم اجعلنا من المتأسين به المتمثلين خُلقه وأدبه ﷺ.

* * * * *

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، سورة الضحى، ج٢/٢٠٠٦.

(٢) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، ص ٣٠٥.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ج١/٣؛

انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٩٠٤.

(٤) أحمد بن عبد العزيز الحداد، أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة، ج١/٧٧.

الأدب مع الله ﷻ:[(١)]

واجب على كل مسلم، ومن ذلك الإيمان والعلم بالله ﷻ ومعرفة أسمائه وصفاته الحسنى. ومعرفة دينه الذي ارتضى وشرعه لخلقه، وما يحب ﷻ وما يكره ، وتكون نفس العبد مستعدة قابلة لينة متهيئة لقبول الحق من عند الله ﷻ علمًا وعملاً وحالاً.[(٢)] مع تمثل واستيقان ما علم الله ﷻ عباده من أسمائه الحسنى وصفاته العلى في أدب مع الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج].[(٣)]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر].[(٤)]

وقد علّم الله المسلمين ما له من صفات وأسماء حسنى، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه].[(٥)]

وكما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ

---

(١) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين (منزلة الأدب)، ج٢/٣٠٤.

(٢) انظر: صالح بن حميد وآخرون، نضرة النعيم، ج١/١٤٨.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٢٨٧.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٦٢٧.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٨٥٥.

﴿ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر].(١)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف].(٢)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء].(٣)

ولاشك أنه ﷺ تمثل هذه الآيات جميعًا. وكان يثني على الله ويذكره بأسمائه وصفاته ﷻ.

ومن رحمة الله ﷻ لعباده أنه علمهم الأدب معه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [التوبة].(٤)

كما علمهم شكره وذكره، وطلب منهم ذلك، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ [النساء].(٥)

وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الطور].(٦)

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/٨٠٣.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١١٤٢، ١١٤٣.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٨٨٦.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٨٨٦.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٥٠٩.

(٦) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٧٧٢.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل].(١)

والأنبياء والصالحون يدركون نعم الله ﷻ ويشكرونه، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران].(٢)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل].(٣)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [المائدة].(٤)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنفال].(٥)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ۚ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [النحل].(٦)

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٠٦٤، ١٠٦٥.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٣٦٣.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٠٥٨، ١٠٥٩.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٥٩٤.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٨٤٩.

(٦) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٠٦٩.

وقال - تعالى -: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾ [الزمر].(١)

وقال - تعالى -: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الزمر].(٢)

وقال - تعالى -: ﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾﴾ [القمر].(٣)

وقال - تعالى -: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى].(٤)

ولاشك أن الأدب مع الله يعني اتباع أوامره والعبودية الحقة له ﷻ والخضوع الكامل لأوامره، مقرونًا بمحبته ﷻ ومحبة من اصطفاهم ﷻ، قال - تعالى -: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران].(٥)

وأعظم الأدب هو خشية الله وتقواه، واليقين أنه ﷻ يراقب عباده ويراهم، قال - تعالى -: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام].(٦)

وقد رد الله ﷻ على من أساء الأدب مع الله ﷻ من أتباع الأديان الأخرى من اليهود والنصارى، كما قال ﷻ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١٦١٥/٢.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١٦٢٣/٢، ١٦٢٤.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١٧٩١/٢.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢٠٠٧/٢.

(٥) انظر: الجزء الثالث من هذه الموسوعة، (عبادته ﷺ).

(٦) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٣٦١/١.

بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ [المائدة].[١]

ففي كل عباداته يستشعر خشية الله ﷻ وحضوره بين يديه ومراقبته له في الغيب والشهادة ولكل عبادة آدابها الخاصة بها فمن كمال أدب الصلاة أن يقف العبد بين يدي ربه مطرقًا خافضًا طرفه إلى الأرض، ولا يرفع بصره إلى فوق. ومن الأدب مع الله في الصلاة: السكون والمحافظة والمداومة عليها.[٢] واستشعار خشية الله مع العبادة، فبينما النبي ﷺ يصلي رأى في قبلة المسجد نخامة فحكها بيده فتغيظ ثم قال: ((إن أحدكم إذا كان في الصلاة فإن الله حيال وجهه فلا يتنخمن حيال وجهه في الصلاة)).[٣]

وقد قال ﷺ مذكرًا بحسن الأدب مع الله: ((اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ، احْفَظُوا الرَّأْسَ وَمَا حَوَى، وَالْبَطْنَ وَمَا وَعَى، وَاذْكُرُوا الْمَوْتَ وَالْبِلَى)).[٤]

وقد كان ﷺ يعلم العباد الحياء من الله وقد قال ﷺ: ((فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ مِنَ النَّاسِ)).[٥]

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٦٣٣/١، ٦٣٤.

(٢) صالح العلي، تهذيب مدارج السالكين، ص ٣٩٦، ٤٤٢ ـ ٤٥٣.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما يكون من الغضب والشدة لأمر الله، ج٩٨/٧.

(٤) الإمام أحمد في مسنده، ج٣٨٧/١. (وسيأتي تفصيل أكثر عن الحياء).

(٥) رواه البخاري في كتاب الغسل، باب من اغتسل عريانًا وحده في الخلوة، ومن تستر فالستر أفضل، ج٧٣/١.

أدب الأنبياء والرسل مع الله ﷻ:

الأنبياء قدوة لرسول الله ﷺ، قال - تعالى -: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾ [الممتحنة]،[١] تلقى ﷺ قصصهم، وعلمها أمته، فألفوا عنهم الكتب المتعددة،[٢] وجمعوا ما نقل عنهم، وخصص المحدثون أبوابًا في فضائلهم،[٣] وتأدبوا معهم، كل ذلك بما تعلموه من رسول الله ﷺ. وكل الأنبياء يثنون على الله بما هو أهل له، ويشكرونه ويرجعون الفضل له ويحمدونه ويذكرونه ويسبحونه، ويتوكلون عليه ويؤدون العبادة له وهذا كله من حسن الأدب مع الله ﷻ والشواهد على ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية كثيرة يصعب حصرها، ومن أمثلة ذلك قول آدم عليه السلام وحواء، قال - تعالى -: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة].[٤]

وفي قوله - تعالى -: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف].[٥] وقول نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هود].[٦]

وقول هود عليه السلام: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود].[٧]

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١٨٥٩/٢.

(٢) انظر: قصص الأنبياء لابن كثير. وله عشرات الطبعات والتحقيقات. وفي كثير من اللغات.

(٣) انظر: صحيح البخاري كتاب الأنبياء، ج١٠١/٤.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١١٢/١ - ١١٤.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٦٩٤/١.

(٦) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٩٥٧/١.

(٧) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٩٥٩/١.

كذلك ثناء إبراهيم الخليل عليه السلام على الله ونعمه في قوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء].(١)

وقول المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة].(٢)

وقول موسى عليه السلام: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص].(٣)

وقول أيوب عليه السلام: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء].(٤) وربه أعلم بحاله.

وقول يوسف لأبيه وإخوته وأدبه مع ربه: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [يوسف].(٥)

ولم يقل أدخلني السجن بل قال: وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن، حفظًا للأدب مع الله، كما قال عليه السلام: وجاء بكم من البدو ولم يقل فرق

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٣٧٥.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٦٧٢.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٤١٢.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٢٤٥، ١٢٤٦.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/٩٩٣.

بيني وبينكم، ثم قال من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي، ونسب الأمر لغير إخوته.[1] والشواهد كثيرة، وما ذكرناه هنا للتذكير، وليس للمتابعة.

* * * * *

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٩٩٣.

الأدب مع كتاب الله ﷻ:

من الأدب مع الله التأدب مع كتابه القرآن الكريم وتلاوته[١] وتدبره: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد].[٢]

وجعل ﷻ تلاوته من العبادة، سواء في الصلاة أم في غيرها، وأمر الله ﷻ بذلك، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ [المزمل].[٣]

أحب ﷺ التلاوة امتثالاً لأمر الله ﷻ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [النمل].[٤]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الكهف].[٥]

وقد وضع البخاري في صحيحه (بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ، وَقَالَ ﷺ: "كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ"، يُقَالُ: مُيَسَّرٌ

---

(١) انظر: الجزء الثالث من هذه الموسوعة (عبادته ﷺ) موضوع تلاوته ﷺ للقرآن.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١٧٢٢/٢.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١٩٣٣/٢، ١٩٣٤.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١٤٠٨/٢.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١٢٥٢/٢.

مُهيَّأٌ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ بِلِسَانِكَ هَوَّنَّا قِرَاءَتَهُ عَلَيْكَ. وقيل وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ هَلْ مِنْ طَالِبِ عِلْمٍ فَيُعَانَ عَلَيْهِ).(١)

وكان ﷺ مرتلاً للقرآن، منذ أول نزوله عليه ﷺ منفذًا أمر الله ﷻ في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل].(٢)

وكان ﷺ يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم في أول قراءته، متمثلاً قول الله ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۝٩٨﴾ [النحل].(٣)

وكان ﷺ يقرأ القرآن متدبرًا مرتلاً منفذًا أمر الله ـ تعالى ـ في قوله ـ سبحانه ـ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾ [النساء]. وإذا مرت به آية رحمة سأل الله الرحمة، وإذا مرت به آية عذاب استعاذ منها.(٤)

وكان ﷺ يتدبر عند سماعه للقرآن ويُحبُّ أن يسمعه من غيره، منصتًا طالبًا الرحمة والثواب، متمثلاً قول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٢٠٤﴾ [الأعراف].(٥)

فقد أمر عبد الله بن مسعود ؓ، فقرأ عليه وهو يسمع، وخَشَع ﷺ. يقول ابن مسعود: قال لي رسول الله ﷺ اقرأ علي. فقلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: إني أحب أن أسمعه من غيري. فقرأت سورة النساء

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب التوحيد، ج٨/٢١٥. وفيه من الآية ٢٠ من سورة المزمل.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٢٢٩.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٠٧٦.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٢٥٢.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٨١٣.

حتى بلغت ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ ، قال: فرأيت عيني رسول الله تهملان.(١)

وإذا مرّ ﷺ بالقارئ يتلو القرآن يستمع إلى تلاوته ويُقيمها و يعجبه ﷺ الصوت الحسن، عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبي موسى: ((لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل دواد)).(٢)

وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت عن النبي ﷺ: (استمع قراءة رجل في المسجد لم أسمع قراءة أحسن من قراءته. فقام النبي ﷺ فاستمع قراءته ثم قال: "هذا سالم مولى أبي حذيفة، الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا". وقال النبي ﷺ لأبي موسى رضي الله عنه: "إنني مررت بك البارحة وأنت تقرأ، فقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود". فقال أبو موسى رضي الله عنه: لو أعلم أنك تستمع لحبرته لك تحبيرًا).(٣)

وهو القائل ﷺ: ((لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ، وَزَادَ غَيْرُهُ: يَجْهَرُ بِهِ)).(٤)

ووضع البخاري في صحيحه (بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ وَزَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ)، روى فيه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ

(١) انظر: سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة النساء، ج٥/٢٣٨، ح برقم: ٣٠٢٥؛ انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٤٨٤، تفسير للآية ٤١ من سورة النساء.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل القرآن وما يتعلق به، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، ج٢/١٩٣؛

وانظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة، ج٦/١١٢.

(٣) انظر: المغني، ابن قدامة، ج٢/١٧٥.

(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤]، ج ٨/ ٢٠٨، ٢٠٩.

سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: ((مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ)).[١]

كان ﷺ يقرأ القرآن محبًّا له حريصًا عليه، مستعجلاً في تعلمه، فنزل عليه قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه].[٢]

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه فِي قَوْلِهِ ـ تَعَالَى ـ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَالِجُ مِنْ التَّنْزِيلِ شِدَّةً وَكَانَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ، فَقَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لَكَ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَرِّكُهُمَا، فَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا أُحَرِّكُهُمَا كَمَا كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا، فَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. قَالَ: جَمْعُهُ فِي صَدْرِكَ ثُمَّ تَقْرَؤُهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ؛ قَالَ: فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ، قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام اسْتَمَعَ، فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا أَقْرَأَهُ.[٣]

ووعد الله نبيه ﷺ أن يقرأه فلا ينسى كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾﴾ [الأعلى].[٤]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ الماهر بالقرآن مع الكرام البررة وزينوا القرآن بأصواتكم، ج٨/٢١٤.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٩٨٦.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ج١/٤.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٩٨٦.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الكهف].(١)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾ [الرعد].(٢)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت].(٣)

وقد كانت أمهات المؤمنين مراقبات لتلاوته ﷺ. فقد روي عن عبد الله ابن أبي قيس رضي الله عنه قال: (سألت عائشة رضي الله عنها: كيف كانت قِراءةُ النبيِّ ﷺ أكان يُسِرُّ بالقراءَة أم يَجهرُ؟ فقالت: كُلُّ ذلك قد كان يفعلُ، رُبَّما أسَرَّ بالقراءةِ، ورُبَّمَا جهَرَ، فقلتُ: الحمدُ للّهِ الذي جَعلَ في الأمرِ سَعةً).(٤)

ووصفت أم سلمة رضي الله عنها قراءة رسول الله ﷺ بأنها: قراءة مفسرة حرفًا حرفًا.(٥)

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقرَأُ الْقُرْآنَ وَرَأْسُهُ فِي حَجْرِي وَأَنَا حَائِضٌ).(١)

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١١٥٢.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/١٠١٤، ١٠١٥.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٤٣٧، ١٤٣٨.

(٤) انظر: سنن الترمذي كتاب الصلاة، باب ما جاء في قراءة الليل، ح برقم: ٤٤٩، ج٢/٣١١.

(٥) انظر: سنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء كيف كانت قراءة النبي ﷺ، ح برقم: ٢٩٢٣، ج٥/١٨٢.

ووصفت ﵂ ترتيله فقالت: (لو أراد السامع أن يعد حروفه لعدها لا كسردكم هذا). وفي حديث حفصة ﵂: (أن النبي ﷺ يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها).[٢]

ففي ذلك تعظيم لله وآياته ﷻ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال].[٣]

ومن الأدب مع الله دعائه والثناء عليه: ﴿قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا ﴿٧٧﴾﴾ [الفرقان].[٤]

وحثّنا ﷺ على قراءته في البيوت فقال: ((لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقابِرَ، إنَّ الشَّيطانَ يَنْفِرُ مِنَ البَيْتِ الذي تُقْرَأُ فيه سُورَةُ البَقَرَةِ)).[٥]

الأدب مع الرسول ﷺ:

الأدب مع رسول الله ﷺ ليس موضوعنا في هذا القسم من شمائله ﷺ.[٦]

لكن من المهم والمفيد الإشارة والتأكيد ومعرفة ما ينبغي له من حقوقﷺ، والأدب معه ﷺ يعني محبته،[٧] وكمال التسليم له، والانقياد

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ الماهر بالقرآن مع الكرام البررة وزينوا القرآن بأصواتكم، ج٨/٢١٥.

(٢) رواه الإمام مالك في الموطأ، كتاب الصلاة، باب ما جاء في صلاة القاعد في النافلة، ص١٢٠، ح برقم: ١٥٧.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٨١٩.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٣٦٩.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، ج٢/١٨٨.

(٦) انظر: الجزء الأول من هذه الموسوعة، موضوع مقام النبوة.

(٧) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، ج٢/٤٠٣، بتصرف.

لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، والنقل الصحيح عنه ﷺ. وهو الذي أمر ﷺ بذلك وحذر من الكذب عليه قال ﷺ فيما رواه المغيرة بن شعبة وغيره: ((إنَّ كَذِبًا عَلَيَّ ليسَ كَكَذِبٍ على أَحَدٍ، مَن كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)).(١)

ويكون الأدب مع رسول الله بمعرفته ومعرفة حقه وقدره ﷺ. قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [المؤمنون].(٢)

والتأسي به ﷺ هو طريق المؤمنين به المتأدبين بأدبه ﷺ يقول ـ تعالى ـ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب].(٣)

ومن الأدب مع الرسول الكريم ﷺ أن لا يتقدم بين يديه بأمر ولا نهي ولا إذن ولا تصرف حتى يأمر هو ﷺ وينهى ويأذن، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا

---

(١) انظر: الجزء الرابع من هذه الموسوعة (عواطفه ﷺ) موضوع الحب لرسول الله ﷺ.

(٢) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، ج ٢ /٤٠٤ ـ ٤٠٥، بتصرف.

ولمزيد من المعلومات حول الموضوع انظر: الجزء الأول من هذه الموسوعة. موضوع: الرسول ﷺ وأتباعه.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٤٨٧.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾ [الحجرات].[1]

وهذا الأمر باق إلى يوم القيامة، فتجاوز سنته وأمره وتفضيل غيره عليه في الحكم بعد وفاته كأنما هو بين يديه في حياته ﷺ، لا فرق في ذلك.

وهذا سبب لحبوط الأعمال فما الظن برفع الآراء ونتائج الأفكار على سنته وما جاء به؟

ومن الأدب معه ﷺ أن لا تُرفع الأصوات فوق صوته. كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢﴾ [الحجرات].[2]

ومن الأدب معه أن لا يجعل دعاءه كدعاء غيره قال ـ تعالى ـ: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾ [النور].[3]

ومن الأدب معه ﷺ: أنهم إذا كانوا معه على أمر جامع ـ من خطبة، أو جهاد، أو رباط ـ لم يذهب أحد منهم في حاجته حتى يستأذنه ﷺ. كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١٧٤٢/٢.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١٧٤٣/٢، ١٧٤٤.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١٣٤٨/٢.

﴿ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ [النور].[1]

ومخاطبة الرسول ﷺ ومناداته تكون بأدب، يقول ـ تعالى ـ: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور].[2]

والحديث معه ﷺ ينبغي أن يكون واضحًا بينًا لا لبس فيه، يقول ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾ [البقرة].[3]

ورأس الأدب معه ﷺ: كمال التسليم له، والانقياد لأمره، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء].[4]

وينغي أن يراعي من حوله أدبه وحياءه، يقول ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٣٤٨.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٣٤٨.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/١٨٠.

(٤) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، ج٢ /٤٠٣، (بتصرف).

ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾
[الأحزاب].[1]

* * * * *

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٥١٤، ١٦١٥.

الأدب النبوي مع الخلق:

الأدب مع الخلق يصعب حصره، لتشعبه في أحكام مختلفة متعلقة بالتعامل مع الناس وهو يعني حسن الخلق معهم ومعاملتهم بأدب وإحسان، على اختلاف منازلهم؛ امتثالاً لأمر الله ﷻ لرسوله ﷺ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم].[1] والرسول ﷺ هو القائل: ((إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)).[2] وفي رواية أخرى ((مكارم الأخلاق)).[3]

وكان ﷺ يدعو الله ﷻ ((اللهم كما أحسنت خَلقي أحسن خُلقي)).[4]

ووصفت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها خلقه ﷺ بقولها: ((فإن خُلق نبي الله ﷺ كان القرآن)).[5] وقد قال ﷺ: ((إن أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحسنكم أخلاقًا، الموطئون أكنافًا، الذين يألفون ويؤلفون...)) الحديث.[6]

وقال عليه الصلاة والسلام: ((إن أحسن الناس إسلامًا أحسنهم خلقًا)).[7]

وقال عليه الصلاة والسلام: ((أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خُلقًا)).[8]

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٩٠٣.

(٢) رواه أحمد في مسنده، ج٢/٣٨١.

(٣) انظر: البخاري في الأدب المفرد، نقلاً عن رش البَرَد شرح الأدب المفرد، ص ١٦٢.

(٤) انظر هذه الأحاديث مخرجة في صفة حُسن الخلق.

(٥) انظر: الجزء الثالث من هذه الموسوعة (عبادته ﷺ) موضوع: تلاوة القرآن.

(٦) الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٨/٢٤؛ حسنه الألباني سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج٢/٣٧٨، ح برقم: ٧٥١.

الموطئون أكنافًا: هم المتبسطون مع الناس؛ المتفيهقون: المتكبرون.

(٧) رواه أحمد في مسنده، ج٦/٤٤٦؛ ورواه أبو داود في سننه، كتاب السُّنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، ج٤/٢١٩، ح برقم: ٤٦٨٢ مع اختلاف في اللفظ.

(٨) رواه أحمد في مسنده، ج٥/٨٩ ـ ٩٩؛

انظر: الألباني. صحيح الجامع الصغير وزياداته، ج١/٢٦٦، ح برقم: ١٢٣٢.

كما روى عبد الله بن عمرو: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا وإنه كان يقول: ((إن خياركم أحاسنكم أخلاقًا)).(١)

وقد ألفت الكثير من الكتب عن خُلقه ﷺ، التي تدارستها الأمة وتأسست بها، وكلها رحمة للعالمين وإحسانًا بين الخلق بعضهم من بعض وتأليفًا لقلوبهم، وحفظًا لحقوقهم. سيأتي تفصيلها بإذن الله ﷻ.

* * * * *

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا، ج٧/٨٠، ٨١.

أدبه ﷺ في التأليف بين الناس:

كل أخلاقه وسلوكه وسننته مستمدة من القرآن الكريم مع تفصيلاتها الدقيقة في السنة النبوية، وجميعها تؤدي للتأليف والتلاحم والترابط والتآلف بين الخلق.

وأشار الله ـ سبحانه ـ إلى التأليف بين قلوب المؤمنين وفضل الله على رسوله في ذلك، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال].(١)

والتأليف بين القلوب لا يكون بالمال بل بالتشريع والنظام والسلوك، كان ﷺ يأمر بالرفق وهو من أسباب الألفة في الأسرة والمجتمع فقال ﷺ: ((إنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأمْرِ كُلِّهِ))،(٢) كما قال ﷺ: ((مَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إلا زَانَهُ)).(٣) وقد طبق الرسول ﷺ الرفق واللين مع الصحابة كما وصفه ﷻ بقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران].(٤) ومع الرفق واللين كانت محبة النبي ﷺ للأمة وحرصه عليهم. قال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٨٥١/١، ٨٥٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، ج٨/٧.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، ج٢٢/٨؛ ورواه الإمام أحمد في مسنده، ج٥٨/٦، ١١٢.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٤١٣/١، ٤١٤.

بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة].[١]

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الحجر].[٢]

وقوله ـ تعالى ـ في موضع آخر: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ [الشعراء].[٣]

وكان ﷺ مثال الرحمة والعطاء وحسن الخلق، خبرته خديجة رضي الله عنها وهدأت من روعه بعد نزول الوحي عليه، مذكرة بأخلاقه العالية (فَوَاللَّهِ لا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ)،[٤] وفي ذلك تأكيد للأمة جمعاء: "أَنَّ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ وَخِصَالَ الْخَيْرِ سَبَبُ السَّلَامَةِ مِنْ مَصَارِعِ السُّوءِ"[٥] وسبب لمحبة الخالق والخلق ولما دخل ﷺ مكة فاتحًا كان متواضعًا مطأطًا رأسه بلا فخر ولا خيلاء.[٦]

يقف ﷺ مع المرأة الضعيفة والصبي يسمع لهم ويحدثهم ويقضي حوائجهم.[٧] ولعل حديث أنس رضي الله عنه يوضح ذلك في قوله: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٠٥١.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٣٨٧.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ وهو الحديث الثالث عند البخاري في صحيحه، ج١/٣.

(٥) أحمد بن عبد العزيز الحداد، أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة، ج١/٧٧.

(٦) انظر: عبد العزيز العُمري، رسول الله وخاتم النبيين ـ دين ودولة، (فتح مكة)، القسم الثالث، ص ٨٠٢.

(٧) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب قرب النبي ﷺ من الناس وتبركهم به، ج٧/٧٩.

يَعُودُ الْمَرِيضَ، وَيَشْهَدُ الْجِنَازَةَ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْعَبْدِ).[١] وكان لا يأنف أن يُردف معه رجلاً آخر أو صبيًا، فكان كثيرًا ما يردف أسامة بن زيد رضي الله عنهما ويردف بعض نسائه أحيانًا.[٢] وقد قال ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لا يَبْغِي بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، ولا يَفْخُر أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ)).[٣]

وكان ﷺ لطيفًا في معاتبته لمن يستحق ذلك، وقد وضع البخاري في صحيحه باب من لم يواجه الناس بالعتاب.[٤] ورد فيه عن عائشة رضي الله عنها: ((صنع النبي ﷺ شيئًا فرخص فيه فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطب فحمد اللّه ثم قال: ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه؟! فواللّه إني لأعلمهم باللّه وأشدهم له خشية)).[٥]

كان ﷺ يعمل مع أصحابه في السفر، فيحتطب ويقوم بجزء من العمل كغيره من الناس. وقد شارك ﷺ في بناء مسجده، كما شارك أهله في أعمالهم المنزلية: (يكون في مهنة أهله)،[٦] وقد اعتاد ﷺ على الحياء من الناس ووصفه اللّه سبحانه وتعالى بذلك في قوله ـ تعالى ـ: ﴿... إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي

(١) الترمذي، كتاب الجنائز، باب (٣٢)، ج٣/٣٣٧، ح برقم: ١٠١٧

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب قول الرجل جعلني اللّه فداك، ج٧/١١٦.

(٣) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب البراءة من الكبر والتواضع، ح برقم: ٤١٧٩، ج٢/١٣٩٩.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب باب من لم يواجه الناس بالعتاب، ج٧/٩٦.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، ج٧/٩٦.

(٦) من حديث عائشة رضي الله عنها عند البخاري، كتاب الأدب، باب كيف يكون الرجل في أهله، ج٧/٨٣. ورد الاستشهاد به في عدة مواضع لمقتضى الموضوع.

ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأحزاب: من الآية ٥٣].(١)

وقد طبق الرسول ﷺ الرفق،(٢) ولعل منه التيسير على الناس، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها).(٣)

واللين مع أصحابه، ومع أهله، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران].(٤)

ومع الرفق واللين كانت محبة النبي ﷺ للأمة وحرصه عليهم قال ـ تعالى ـ: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة].(٥)

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٥١٤؛
(وانظر حياته في بيته) الجزء السابع من هذا الموسوعة.
(٢) وضع البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، ج٧/٨؛
كما وضع مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، ج٨/٢٢.
(٣) وضع البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، ج٧/٨؛
ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثام، واختياره من المباح أسهله، وانتقامه لله عند انتهاك حرماته، ج٧/٨٠؛ وانظر: (التيسير) من هذا الكتاب.
(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٤١٣، ٤١٤.
(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٩٢٠ ـ ٩٢١.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾ [الشعراء].(١)

وقد وضع البخاري في صحيحه في كتاب الأدب (باب الإخاء والحلف) وقد آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء. وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لما قدمنا المدينة آخى النبي ﷺ بيني وبين سعد بن الربيع رضي الله عنه.(٢)

كان الرسول ﷺ حريصًا على إقامة روابط خاصة بين المسلمين يواسي بعضهم بعضًا، ويتفقد بعضهم بعضًا، ويعوض بعضهم بعضًا ما فقده من المال والأهل والأصحاب نتيجة إسلامه أو هجرته، ولذلك ورد أن المؤاخاة(٣) أول ما كانت في مكة قبل الهجرة بين عدد من المسلمين، منهم أبو بكر وعمر وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وعثمان ابن عفان. وأن عليًّا رضي الله عنه قال للنبي ﷺ حينما كان في مكة: (يا رسول الله إنك آخيت بن أصحابك فمن أخي، قال: "أنا أخوك").(٤)

ولما استقر المسلمون في المدينة بُعيد الهجرة عقد ﷺ بين المهاجرين والأنصار أُخوة. وقد سمى الرواة كل صحابي ومن آخى رسول الله ﷺ معه. وكانت المؤاخاة في الغالب بين أنصاري ومهاجر.(٥) ووجدت حالات من المؤاخاة بين بعض المهاجرين ومهاجرين آخرين ولعلها جاءت في مراحل

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٣٨٧.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الإخاء والحلف، ج٧/٩٢.

(٣) وضع البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب كيف آخى النبي ﷺ بين أصحابه، ج٤/٢٦٧.

(٤) انظر: محمد أبو شهبة، السيرة النبوية، ج٢/٥٢؛ البلاذري. أنساب الأشراف، ج١/٢٧٠. ولمزيد من التوسع راجع: د. أكرم العُمري السيرة النبوية الصحيحة، ج١/٢٤٠.

(٥) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٥٠٥.

متأخرة أو لظروف خاصة، وإلا فالراجح أنها كانت بين مهاجر وأنصاري.

ومبدأ التأليف في الإصلاح بين الناس، يكون بين الأقرب فالأقرب ثم عامة الناس وبين الأزواج، حين الحاجة لذلك.

والإصلاح والتأليف هدف شرعي، أشارت له الآية الكريمة، قال ـ تعالى ـ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء].(١)

وأكّد ﷻ على إخوة المؤمنين في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات].(٢)

وقد وضع البخاري في صحيحه (باب الانبساط إلى الناس ...).(٣)

كما وضع البخاري في صحيحه (باب إكرام الكبير، ويبدأ الاكبر بالكلام والسؤال).(٤)

وجعل صلاح المجتمعات والأرض عمومًا هدفًا عامًا للمسلم قال ﷻ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف].(٥)

وجعل التواصي بالحق والصبر عليه أمرًا إنسانيًا واجبًا قال ـ تعالى ـ:

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسير، ج١/٥٣٢.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسير، ج٢/١٧٤٦.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس، ج٧/١٠٢.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب إكرام الكبير ويبدأ الأكبر بالكلام والسؤال، ج٧/ ١٠٦.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسير، ج١/٧٦٢.

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر].[١]

روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا)).[٢]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابيًا بال في المسجد فثار إليه الناس ليقعوا به، فقال لهم رسول الله ﷺ: ((دعوه وأهريقوا على بوله ذنوبًا من ماء أو سجلاً من ماء فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين)).[٣]

وكان ﷺ يأمر بأخلاق متعددة تزيد من التألف بين الناس، عن البراء رضي الله عنه قال: ((أمرنا النبي ﷺ بسبع ونهانا عن سبع، أمرنا بعيادة المريض واتباع الجنازة وتشميت العاطس وإجابة الداعي ورد السلام ونصر المظلوم وإبرار المقسم ...)) الحديث.[٤]

وكان ﷺ يثني على أهل الخير، ويكره المدح الذي يضر بصاحبه. عن أبي بكرة رضي الله عنه قال أثنى رجل على رجل عند النبي ﷺ فقال: ويلك قطعت عنق أخيك ثلاثًا. من كان منكم مادحًا لا محالة فليقل أحسب فلانًا والله حسيبه ولا أزكي على الله أحدًا، إن كان يعلم.[٥]

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسير، ج٢/٢٠٢٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ يسروا ولا تعسروا وكان يحب التخفيف واليسر على الناس، ج٧/١٠١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ يسروا ولا تعسروا وكان يحب التخفيف واليسر على الناس، ج٧/١٠٢.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب تشميت العاطس إذا حمد الله، ج٧/١٢٤.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما جاء في قول الرجل ويلك، ج٧/١١٠.

وكان ﷺ يأمر بالهدية، ويقبلها ويهدي بنفسه. فقد أهديت له ﷺ أقبية من ديباج مزررة بالذهب فقسمها في ناس من أصحابه وعزل منها واحدًا لمخرمة. فلما جاء قال: ((قد خبأت هذا لك)).(١)

كما أمر الله ﷻ بالدفع بالحسنى لتقليل العداء قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فصلت].(٢)

ولذلك فإن العلاقة داخل الأسرة ينبغي أن يكون أساسها قويًّا، وتأتي أحكام النكاح والطلاق لتخدم هذا الأمر، وما يؤدي للتآلف وللتلاحم الأسري.(٣)

وقد وضع البخاري في كتاب الأدب بابًا جامعًا بعنوان: باب قول الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل].(٤) وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾ [يونس].(٥)

وقد اعتاد الخطباء التذكير بهذ الآية، وهي مما يحدد الحقوق والواجبات للجميع، ويقلل من العداء، ويساعد على التآلف.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ﴾ [الحج].(٦)

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب المداراة مع الناس، ج١٠٢/٧.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢٠٢٩/٢.

(٣) انظر: كتابي: (بناء المجتمع المدني من خلال السيرة النبوية)، ص ٣٣.

(٤) من الآية ٩٠ من سورة النحل؛ انظر، ابن كثير، تفسيره، ج١٠٧٣/٢.

(٥) من الآية ٢٣من سورة يونس؛ انظر، ابن كثير، تفسيره، ج٩٢٨/٢.

(٦) من الآية ٦٠ من سورة الحج؛ انظر، ابن كثير، تفسيره، ج١٢٨٤.

كما حرم ﷻ ما يؤدي للفساد والعداء والبغضاء. ومن ذلك تحريم الزنا، حيث كان الإسلام حاسمًا في تحريمه وتشديد العقوبة عليه، إذ إنه من أهم أبواب الفساد الاجتماعي والأسري، وضياع الأنساب وظهور الأمراض الجسيمة والنفسية، وضياع المسؤوليات وقطيعة الأرحام.

وجاء التشديد في ذلك يقول الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ ﴾ [المؤمنون].(١)

كما أن العبادات الإسلامية كلها دافعة للقيم ناهية عن الفحشاء والمنكر، ومنها الصلاة، قال ـ تعالى ـ: ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ۝٤٥ ﴾ [العنكبوت].(٢)

كما جعل للأزواج حقوقًا محددة فيما بينهم، وأمر بالاحترام وحسن العلاقة والمودة والرحمة والإحسان المتبادل، وطبق ﷺ ذلك في تعامله مع زوجاته، فكان مثالاً حيًّا في هذا الجانب.(٣)

كما حرم الله شرب الخمر لما فيه من مشاكل أسرية واجتماعية وإثم مضر بالجميع. وحرم الله ﷻ التكبر والاستعلاء على الآخرين كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ۝١٨ ﴾ [لقمان].(٤)

---

(١) انظر، ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٢٩١.

(٢) انظر، ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٤٣٧.

(٣) الكمداني: أديب، فن تعامل النبي في الحياة الزوجية، ط١ ـ دمشق: دار البشائر الإسلامية ١٤٢٥هـ، ص ١٧.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٤٦٣.

وقد جعل الله ﷻ الناس سواسية كأسنان المشط. كما قال ﷺ وأكد على ذلك في خطبته في حجة الوداع.[١]

وأعلن القرآن أن أصل البشرية واحد قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات].[٢]

وقد نهى الله ﷻ عن السخرية بين الناس، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات].[٣]

وقد حارب ﷺ العنصرية والتحزب لطائفة على حساب الحق، روى جابر رضي الله عنه قال: (اقتتل غلامان: غلام من المهاجرين وغلام من الأنصار فنادى المهاجر أو المهاجرون: يا للمهاجرين، ونادى الأنصاري: يا للأنصار. فخرج رسول الله ﷺ فقال: "ما هذا؟ دعوى أهل الجاهلية؟". قالوا: لا. يا رسول الله! إلا أن غلامين اقتتلا فكسع[٤] أحدهما الآخر. قال: "فلا بأس، ولينصر الرجل أخاه ظالمًا أو مظلومًا: إن كان ظالمًا فلينهه؛ فإنه له نصر، وإن كان مظلومًا فلينصره").[٥]

---

(١) انظر تفاصيل الخطبة، في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، الجزء الرابع. "حجة الوداع"

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٧٥١.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٧٤٧.

(٤) الكسع: الضرب باليد، ولا تزال اللفظة تستعمل حتى الآن في نجد والعراق.

(٥) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالمًا أو مظلومًا، ج٨/ ١٩.

وقد نهى ﷺ عن سباب المسلم، وقد قال ﷺ: ((سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)).(١)

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: إني ساببت رجلاً فعيرته بأمه، فقال لي النبي ﷺ: ((يا أبا ذر، أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية. إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم)).(٢)

عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: ((لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك)).(٣)

عن أنس رضي الله عنه قال: (لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا لعانًا ولا سبابًا. كان يقول عند المعتبة: ما له ترب جبينه).(٤)

كما حرمت النميمة والغيبة بين المسلمين، وقد وضع البخاري في صحيحه، باب الغيبة وقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَاتَّقُوا اللَّهَۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات].(٥) روى فيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((مر رسول الله ﷺ على قبرين فقال: إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما هذا فكان لا يستتر من

---

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، ج١/١٧ ـ ١٨. وكتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، ج٧/٨٤؛
رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر، ج١/٥٧ ـ ٥٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، ج٧/٨٥.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، ج٧/٨٤.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، ج٧/٨٤.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الغيبة وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ ج٧/٨٥.

بوله وأما هذا فكان يمشي بالنميمة ثم دعا بعسيب رطب فشقه باثنين فغرس على هذا واحدًا وعلى هذا واحدًا ثم قال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا)).(١) وقد وضع البخاري في صحيحه (باب النميمة من الكبائر).(٢) و(باب ما يكره من النميمة وقوله هماز مشاء بنميم ويل لكل همزة لمزة يهمز ويلمز ويعيب واحد).(٣) عن حذيفة سمعت النبي ﷺ يقول: ((لا يدخل الجنة قتات)).(٤)

وقد نهى ﷺ عن التحاسد وقد وضع البخاري في صحيحه، (باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر)(٥) وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾(٦) أورد فيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانًا)).(٧)

وقد وضع البخاري في صحيحه باب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ ... ۝١٢﴾(٨) أورد فيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الغيبة وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًا﴾ ج٨٥/٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، ج٨٦/٧.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، ج٨٦/٧.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من يكره من النميمة وقوله ـ تعالى ـ: ﴿هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ﴾ ، ج٨٦/٧.

(٥) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما ينهي عن التحاسد...، ج٨٨/٧.

(٦) سورة الفلق، آية ٥: وانظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢٠٥٥/٢.

(٧) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما ينهي عن التحاسد...، ج٧/ ٨٨.

(٨) سورة الحجرات من الآية ١٢، وانظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٧٤٧/٢؛ صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا﴾، ج٨٩/٧.

اللهﷺ قال: ((إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا)).(١)

كما وضع البخاري في صحيحه (باب الهجر وقول رسول الله ﷺ: "لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ").(٢)

أورد فيه حديث عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه: ((أن رسول الله ﷺ قال: لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام. فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم)).(٣)

وقد وضع البخاري في صحيحه في كتاب الاستئذان، (باب إفشاء السلام من الإسلام)،(٤) كما وضع في صحيحه في كتاب الإيمان (باب السلام من الإسلام) ووضع الترمذي في صحيحه (باب ما ذكر في فضل السلام).(٥)

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ ...﴾، ج٧/٨٩.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الهجرة وقول رسول الله ﷺ لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث، ج٧/٩١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، ج ٧/ ٩١ ؛ رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي، ج٨/٩.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب إفشاء السلام، ج٧/١٢٨.

(٥) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب السلام من الإسلام، ج١/١٢؛
رواه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب من حق الجلوس على الطريق رد السلام، ج٧/٢؛
وانظر: كتاب الآداب، باب الاستئذان، ج٦/١٧٧ ـ ١٨٠.

كما حث ﷺ على سلوكيات متعددة تزيد المودة والتآلف بين الناس كما في قوله ﷺ: (عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: أمرنا رسول الله ﷺ بسبع: بعيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، ونصر الضعيف، وعون المظلوم، وإفشاء السلام) ... الحديث.(١)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (إن كانت الأمة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ والعبد، ويجيب إذا دعي).(٢)

(وفي رواية) قال: (كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت).(٣)

وإجابة الدعوة من أسباب التآلف ورد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه)).(٤)

روى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: (أن رجلاً سأل النبي ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: "تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف").(٥)

---

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب إفشاء السلام، ج٧/ ١٢٨؛ مسلم، كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس...، ج٩٢/٥، ٩٣.
ومر الحديث - سابقاً - في موضع استشهاد آخر.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الكبر، ج٨٩/٧.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، ج٨٥/٧.

(٤) رواه النسائي في سننه، ج٨٢/٥، ح برقم: ٢٥٧٦؛ ورواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في الرجل يستعيذ من الرجل، ج٣٣١/٤، ح برقم: ٥١٠٩ واللفظ له؛ وأخرجه أحمد في مسنده، ج٦٨/٢؛ وصححه الألباني في سنن أبي داود، ج٣١٤/١.

(٥) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إطعام الطعام من الإسلام، ج٩/١؛

عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)).[1]

ومن أسباب التآلف بين الناس تنزيل الناس منازلهم، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المُقسط)).[2]

والتعرض للناس في طرقهم لا يجوز إلا بحقه، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((إياكم والجلوس في الطرقات. فقالوا يا رسول الله، ما لنا بد من مجالسنا. نتحدث فيها فقال: فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه. قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر)).[3]

كما أن عدم التدخل في شئون الناس، وبعد الإنسان عن ما لا يعنيه من

رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل، ج١/٤٧.

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ج١/ ٩؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحبه لنفسه من الخير، ج١/٤٩.

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم، ص ٨٧٧، ح برقم: ٤٨٤٣، وحسنه الألباني.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا﴾[النور: من آية٢٧]؛ ج٧/ ١٢٦ ـ ١٢٧؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن الجلوس في الطرقات، وإعطاء الطريق حقه، ج٦/١٦٥.

أسباب التألف، عن حسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه)).(١)

وكان ﷺ يزور دور الصحابة، وقد وضع البخاري في صحيحه (باب الزيارة ومن زار قومًا فطعم عندهم...).

أورد فيه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: ((أن رسول الله ﷺ زار أهل بيت من الأنصار، فطعم عندهم طعامًا، فلما أراد أن يخرج أمر بمكان من البيت فنضح له على بساط فصلى عليه ودعا لهم)).(٢)

كما حث ﷺ على حسن التعامل في البيع والشراء، وهذا يطيب الخواطر، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((رحم الله رجلاً سمحا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى)).(٣)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يومًا لأصحابه: ((من يأخذ (عني) هؤلاء الكلمات فيعمل بهن، أو يعلم من يعمل بهن؟ قال أبو هريرة: قلت: أنا يا رسول الله، فأخذ بيدي وعد خمسًا، فقال: اتق المحارم تكن أعبد الناس، وأرض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى

---

(١) رواه مالك في الموطأ، كتاب البيوع، باب جامع البيوع، ص ٥٧١؛ ورواه أحمد في مسنده، ج٢٠١/١؛ والطبراني في الثلاثة؛ ورواه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، ج٥٥٨/٤، ح برقم: ٢٣١٧، ٢٣١٨.

(٢) انظر: البخاري، صحيحه، كتاب الأدب، باب الزيارة ومن زار قومًا فطعم عندهم، ج٩١/٧.

(٣) البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في اللشراء والبيع، ومن طلب حقًا فليطلبه في عفاف، ج٩/٣.

جارك تكن مؤمنًا، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلمًا، ولا تكثر الضحك؛ فإن كثرة الضحك تميت القلب)).(١)

واحترام الناس في المجالس مما يؤلف بينهم، عن جابر رضي الله عنه قال: ((نهى رسول الله ﷺ أن يرفع الرجل إحدى رجليه على الأخرى، وهو مستلق على ظهره)).(٢)

ويأتي ترتيب الأولويات في التفاضل بين الناس، رفعًا للحرج ولإيضاح الحقوق الأدبية، بعيدًا عن الجفوة والعنصرية، بمواقف يتساوى فيها الناس. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((يسلم الصغير على الكبير، والمار على القاعد، والقليل على الكثير)). وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير)).(٣)

كما علم ﷺ الناس تقدير الأولى بالفضل، ومن ذلك كبار السن.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((أراني أتسوك بسواك، فجاءني رجلان أحدهما أكبر من الآخر، فناولت السواك الأصغر منهما، فقيل لي: كبر، فدفعته إلى الأكبر منهما)).(٤)

---

(١) انظر: الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس، ج٤/٥٥١، ح برقم: ٢٣٠٥، وأحمد في مسنده، ج٢/٣١٠؛ ورواه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب الورع والتقوى، ج٢/١٤١٠، ح برقم: ٤٢١٧.

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في الرجل يضع إحدى رجليه على الأخرى، ص٨٨١، ح برقم: ٤٨٦٥؛ وحسنه الألباني.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب يسلم الراكب على الماشي، ج٧/١٢٧.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب دفع السواك إلى الأكبر، ج١/٦٦ - ٦٧؛ ومسلم قي صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب مناولة الأكبر، ج٨/٢٢٩.

عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله. فإن كانوا في القراءة سواء، فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء، فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء، فأقدمهم سلمًا[(١)] ولا يؤمن الرجل الرجل في سلطانه، ولا يقعد في بيته على تكرمته[(٢)] إلا بإذنه)).[(٣)]

عن أنس بن مالك ﷺ قال: ((خرجت مع جرير بن عبد الله البَجلي في سفر فكان يخدمني، فقلت له: لا تفعل. فقال: إني قد رأيت الأنصار تصنع برسول الله ﷺ شيئًا آليت أن لا أصحب أحدًا منهم إلا خدمته)).[(٤)]

والتحية لها مكانته في الشريعة وفي إشاعة المحبة والتآلف بين الناس، ويكون الرد عليها بأحسن منها، أو مثلها، كما أمر الله ﷻ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [النساء].[(٥)]

---

(١) سلمًا: أي إسلامًا. كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ أي الإسلام.

(٢) مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة، ج١٣٢/٢؛ تكرمته: قال العلماء: التكرمة الفراش ونحوه.

(٣) صحيح البخاري، صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير، باب فضل الخدمة في الغزو حديث ج٣/ ٢٢٣؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة، ج١٣٣/٢.

(٤) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب في حسن صحبة الأنصار ﷺ، ج١٧٦/٧.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٥١١/١.

وقد وضع البخاري في صحيحه (باب التبسم والضحك)، وقالت فاطمة عليها السلام: "أسر إلي النبي ﷺ فضحكت" وقال ابن عباس: (إن الله هو أضحك وأبكى).(١)

والتبسم قد يصحبه أحيانًا ضحك، كما أشار القرآن الكريم لسليمان عليه السلام في قوله - تعالى -: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل].(٢)

وهنا تجدر الإشارة إلى ما ورد في القرآن الكريم عن الضحك، منه قوله - تعالى -: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الزخرف].(٣)

وقال - تعالى -: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ [النجم].(٤)

وقال تعالى -: ﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [النجم].(٥)

وقال - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [المطففين].(٦)

وقال - تعالى -: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [المطففين].(٧)

---

(١) البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب التبسم والضحك، ج٩٢/٧.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٣٩٢/٢.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٦٨١/٢.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٧٨٥/٢.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٧٨٦/٢.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٩٧٣/٢.

(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٩٧٣/٢.

وقد وضع البخاري في صحيحه، كتاب الأدب (باب التبسم والضحك....) أورد فيه روايات متعددة لتبسمه ﷺ. وقد أورد عن جرير بن عبد الله قال: ما حجبني النبي ﷺ منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم في وجهي ولقد شكوت إليه أني لا أثبت على الخيل، فضرب بيده في صدري وقال اللهم ثبته واجعله هاديًا مهديًا.(١)

وقد حرم الله السخرية والازدراء بين الناس، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ [الحجرات].(٢)

كما حُرمت القطيعة بين المسلمين، عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام)).(٣)

هذه بعض القيم الاجتماعية التي قامت عليها الشريعة وطبقها ﷺ فكانت سببًا لقيام التآلف بين الناس.

* * * * *

(١) البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب التبسم والضحك...، ج٧/٩٤.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٧٤٧.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الهجرة وقول رسول الله ﷺ: لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث، ج٧/٩٠ ـ ٩١؛ رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الهجر فوق ثلاث...، ج٨/٩، ١٠.

أدب المجلس:

الرسول ﷺ يجلس مع أهله ومع أصحابه مجالس يوميه، في حله وفي ترحاله. وكثيرًا ماورد في السنة النبوية: كنا جلوسًا عند رسول الله ﷺ أو مع نبي الله ﷺ، أو مع رسول الله ﷺ. وقد تعرضنا لشيء من جلوسه مع أهله في الحديث عن أدب البيوت.(١)

وكان غالب جلوس رسول الله ﷺ لأصحابه في المسجد حيث كانت حجراته ﷺ ملاصقة له. وفي كثير من الروايات لم يحدد بدقة ذلك المجلس، ومن الأرجح أنه غير ثابت في مكان معين، كما يكون الجلوس لسبب معين، كزيارة مريض أو شهود ميت، أو مناسبة زواج، أو استقبال وفد، أو غير ذلك.(٢)

كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا قدموا للجلوس معه ﷺ قبل خروجه إليهم ينتظرونه، حتى إذا خرج ﷺ يقومون له، فنهاهم عن ذلك، روى أبو أُمامة رضي الله عنه. قال: خرج علينا رسول الله فقمنا له، فقال: ((لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضًا)).(٣)

(١) انظر: أدب البيوت من هذا الجزء من الموسوعة.

(٢) انظر: الجزء السابع من هذه الموسوعة.

(٣) رواه أحمد في مسنده، ج٥/٢٥٣؛ رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب الرجل يقوم للجل يعظمه بذلك، ص ٩٤٥، ح برقم: ٥٢٣٠؛ رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الدعاء، باب دعاء رسول الله ﷺ، ج٢/١٢٦١، ح برقم: ٣٨٣٦.

ومن آداب مجلسه ﷺ أن أصحابه رضي الله عنهم في مجلسه على غاية التؤدة والسكينة؛ فقد روى أبو داود في سننه عن أسامة بن شريك قال: ((أتيت النبي وأصحابُه كأنما على رؤوسهم الطير)).(١)

وورد أنه ﷺ كان يجلس حيث انتهى به المجلس، ويجلس بين أصحابه مختلطًا بهم.(٢)

وكانت مجالس العظماء والملوك فيها كِبر وفخامة وتعالٍ على الناس، أما مجلسه ﷺ فهو مجلس عبد متواضع لله عز وجل ومع خلقه. وصف مجلسه كما في رواية الترمذي أن قيلة بنت خرمة جاءت رسول الله ﷺ وهو في المسجد قاعدًا القرفصاءَ قالت: فلما رأيت رسول الله المتخشع في الجلسة أرعدت من الفرق.(٣)

وكان ﷺ إذا استقبل في مجلسه أحدًا أقبل بوجه باشًّا كُله بشر وسرور، فإذا صافحه لم ينزع يده الشريفة من يده حتى ينزع القادم يده أولاً، ولا يصرف وجهه الكريم عنه حتى يكون هو أول صارف لوجهه، فإذا استقر في مكانه بالمجلس وحدثه ﷺ أقبل بوجهه وحديثه إليه، فيتألفه بذلك.(٤)

---

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الطب، باب في الرجل يتداوى، ص ٦٩٣، ح برقم: ٣٨٥٥؛ انظر: الترمذي في سننه، كتاب الطب، باب ما جاء في الدواء والحث عليه، ج٤/٣٨٣، ح برقم: ٢٠٣٨.

(تعرضنا لمواقفهم من النبي ﷺ حين الحديث عن الأدب مع رسول الله ﷺ) من هذا الكتاب.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس، ج١/٢٤؛ القاضي عياض، الشفاء في تعريف حقوق المصطفى، ج١/١٣١.

(٣) انظر: أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في جلوس الرجل، ج٤/٢٦٤، ح برقم: ٤٨٤٧.

(٤) انظر: رابط الموضوع: *https://www.alukah.net*. بتاريخ ١٤٤٢/١/٢٠هـ

وتدل الآثار أن مجلس رسول الله ﷺ كان على صورة الحلقة الواحدة، كما في حديث أبي واقد الليثي؛ إذ قال فيه: (فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم).(١)

وطريقة مجالسه ﷺ شبه دائرية يتساوى فيها الجلوس، مع أن رسول الله ﷺ هو محور المجلس. وأحق بأفضل المجلس ولذلك كثيرًا ما كان القادمون من الخارج يعجبهم عدم تميزه ﷺ.(٢)

كانت هيئة جلوس رسول الله ﷺ في مجلسه غالبًا الاحتباء، عن أبي سعيد الخدري: ((كان رسول الله إذا جلس في المجلس احتبى بيديه)).(٣)

وكان الاحتباء من طرق جلوس العرب، وربما جلس رسول الله القُرْفُصَاء وهي الاحتباء باليدين، وربما جعلت اليدان تحت الإبطين، وهي جلسة الأعراب والمتواضعين.(٤)

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس،ج٢٤/١؛ ورواه ومسلم في صحيحه،كتاب السلام، باب من أتى مجلسًا فوجد فرجة فجلس فيها، ج٩/٧.

(٢) انظر: *http://mercyprophet.org/mul/ar/node*. ١٤٤٢/١/٢٠هـ

(٣) انظر: الترمذي، الشمائل النبوية، باب ما جاء في جلسة رسول الله ﷺ، ص ٥١، ح رقم ١٢٣؛

والاحتباء: هو الجلوس وإيقاف الساقين، فتجعل الفخذان تجاه البطن بإلصاق، ويلف الثوب على الساقين والظهر، أو أن يجعل المُحْتَبي يديه يشد بهما رجليه عوضًا عن الثوب فإذا أراد المحتبي أن يقوم أزال الثوب أو أطلق يديه.، فإذا قام قالوا حلَّ حِبوته بكسر الحاء وضمها.

(٤) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٦٠/١٤؛ المعجم الوسيط، ص ١٥٤.

وقد وُصِف جلوس رسول الله "القرفصاء" في حديث قيلة بنت مخرمة رضي الله عنها، وربما اتكأ رسول الله في مجلسه في المسجد.(١)

وكانت تفد عليه الوفود وهو في مجلسه، ويأتيه سفراء المشركين من أهل مكة.(٢)

وحين استقباله للوفود ﷺ يكون للصحابة وضع خاص، من خطباء وشعراء وغيرهم، "وكان أبو بكر إذا قدم على رسول الله ﷺ الوفود أرسل من يعلمهم كيف يسلمون، ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله".(٣)

وكان ﷺ يتكئ أحيانًا، عن أبي بكرة أن رسول الله ﷺ قال: ((ألا أحدثكم بأكبر الكبائر؟ الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئًا فجلس، وقال: ألا وقول الزور...))إلخ.(٤)

ولم يكن ﷺ يتميز عن غيره، جاء من حديث ضمام بن ثعلبة الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه: (بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد دخل عليه رجل على جمل فأناخه في المسجد، ثم عقله، ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبي متكئ بين ظهرانيهم، فقلنا: هذا الرجل الأبيض... الحديث).(٥)

---

(١) انظر: أبو داود في سنن، كتاب الأدب، باب في جلوس الرجل، ص ٩٤٥، ح برقم: ٥٢٣٠.
جلوس القرفصاء أن تجلس مرتكزًا على قدميك دون مقعد مع خفض الوركين وملامستهما الأرض بحيث يكون وزنك موزعًا بالتساوي بين المقعد والقدمين، ولا تزال هذه الطريقة مستعملة في القرى، في عموم الشعوب الآسيوية.

(٢) وضع صحيح البخاري في صحيحه، في كتاب المغازي عشرة أبواب في الوفود، ج٥/١١٥ - ١٢٣؛ وانظر الوفود، من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، القسم الرابع، ص ٨٤٧.

(٣) انظر: عبد الحي الكتاني، التراتيب الإدارية، ج١/٢٢.

(٤) انظر: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، ج٧/٧٠و٧١؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، ج١/٦٤.

(٥) انظر: وفادة ضمام بن ثعلبة، ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٥٧٤؛
وكتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، الجزء الرابع (الوفود).

ولعل معظم جلوس رسول الله ﷺ للناس كان في أوقات يتفرغ فيها بعض الصحابة من العمل، مع أن بعضهم من ذوي العمل كانوا يتناوبون مجلسه ﷺ كما كان يفعل عمر رضي الله عنه.(١)

كان يجلس ﷺ لهم بعد صلاة الصبح، ويشهد لذلك حديث توبة كعب ابن مالك رضي الله عنه، قال كعب: (ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا؛ فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل منا سمعت صوت صارخ أَوْفَى على سلع، يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر، قال: فخررت ساجدًا، وعرفت أن قد جاء الفرج....) الحديث.

إلى أن قال كعب رضي الله عنه: (حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله جالس في المسجد وحوله الناس...) الحديث.(٢)

وكان ﷺ يؤتى بشيئ من الطعام في مجلسه أحيانًا كالتمر والأقط وغيره، وقد جاء من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه قال: (بينا نحن عند النبي جلوس إذا أُتِيَ بجُمَّار نخلة... إلخ، أي أُتي به ليؤكل في مجلسه ﷺ ....) الحديث.(٣)

ولكل وضع أحكامه الخاصة الواردة في المجلس.

---

(١) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة الأحزاب.

(٢) انظر: رواية البخاري في صحيحة، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك وقول الله عز وجل ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾، ج٥/١٣٠؛ ورواه ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٣٩٨؛ وانظر: كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، ج٣/٨١٧.

(٣) رواه البخاري، كتاب الأطعمة، باب أكل الجُمّار، ج٦/٢١١؛ ومسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب مثل المؤمن مثل النخلة، ج٨/١٣٧.

وقد جاءت الآيات القرآنية لتعلم المسلم أدب المجالس، ومنها الفسح للآخرين وعدم التضييق عليهم.

ومن آداب المجلس ما ورد في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١ ﴾ [المجادلة].[1]

وكانت مجالسه ﷺ علمية وأدبية، حديث وفعل مفيد، نقلها لنا أصحابه رضي الله عنهم، ويكاد يكون معظم ما نقل عنه ﷺ من سنة جاء من خلال تلك الجلسات، وإن لم يصرح بذلك الرواة من الصحابة رضي الله عنهم. والمطلع على أطراف الحديث التي ورد فيها: (كنا جلوسًا عند الرسول أو النبي ﷺ أو مع النبي ﷺ) يجد عددًا لا يحصى من تلك الروايات، ومن أمثلة ذلك ما ورد عن مجلس النبي ﷺ في ثلاثة أيام متتالية.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((كنَّا جلوسًا مع الرَّسول ﷺ فقال: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنَّة، فطلع رجل من الأنصار، تَنْطِفُ لحيته من وضوئه، قد تَعَلَّق نَعْلَيه في يده الشِّمال، فلمَّا كان الغد، قال النَّبي ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرَّجل مثل المرَّة الأولى، فلمَّا كان اليوم الثَّالث، قال النَّبي ﷺ مثل مقالته أيضًا، فطلع ذلك الرَّجل على مثل حاله الأولى، فلمَّا قام النَّبي ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، فقال: إنِّي لاحَيْت[2] أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثًا، فإن رأيت أن تُؤْوِيَني إليك حتَّى تمضي، فَعلتَ. فقال: نعم. قال أنس: وكان عبد الله يحدِّث أنَّه بات معه تلك الليالي الثَّلاث، فلم يره يقوم من اللَّيل شيئًا، غير أنَّه إذا تعارَّ وتقلَّب على فراشه،

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١٨٤٠/٢.

(٢) انظر: الإمام أحمد في مسنده، ج١٦٣/٣.

ذَكَر الله ﷻ وكبَّر حتَّى يقوم لصلاة الفجر، قال عبد الله: غير أنِّي لم أسمعه يقول إلاَّ خيرًا. فلمَّا مضت الثَّلاث ليال، وكدت أن أحتقر عمله، قلت: يا عبد الله، إنِّي لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هَجْرٌ، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول ثلاث مِرَار: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنَّة، فطلعت أنت الثَّلاث مِرَار، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك، فأقتدي به، فلم أرك تعمل كثير عملٍ، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أنِّي لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غِشًّا، ولا أحسد أحدًا على خير أعطاه الله إياه. فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق)).(١)

وفي هذه الرواية وغيرها استغلال الرسول ﷺ للمواقف في تلك الجلسات لتعليم من حوله.

عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عبد الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه قَالَ: (كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رسول الله ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَهَاجَتِ الرِّيحُ فَوَقَعَ مَا كَانَ فِيهَا مِنْ وَرَقٍ نَخِرٍ، وَبَقِيَ مَا كَانَ فِيهَا مِنْ وَرَقٍ أَخْضَرَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا مَثَلُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: مَثَلُهَا مَثَلُ الْمُؤْمِنِ إِذَا اقْشَعَرَّ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَقَعَتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ وَبَقِيَتَ لَهُ حَسَنَاتُهُ" وفي رواية: "تَحَاتَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ كَمَا يَتَحَاتُّ عَنِ الشَّجَرَةِ الْيَابِسَةِ وَرَقُهَا...").(٢)

---

(١) رواه أحمد في مسنده، ج١٦٦/٣.

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده، ج٩٤/٩، ح برقم: ٦٧٠٣؛ وانظر: البيهقي في شعب الإيمان ج٤٩٠/١، ح برقم: ٨٠٣؛ والخطيب البغدادي، في تاريخ بغداد، ج٥٦/٤؛

عن عمر ﷺ قال: (بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمّد أخبرني عن الإسلام؟! فقال رسول الله ﷺ: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً"، قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدّقه. قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"، قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك". قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل". قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: "أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاة يتطاولون في البنيان"، ثم انطلق. فلبثت مليًا، ثم قال: "يا عمر أتدري من السائل؟" قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "فإنه جبريل أتاكم يعلّمكم دينكم").[1]

لقد كانت زيارة من الملك يعلم فيها الرسول ﷺ وأصحابه معه، وهذا الحديث يبين مكانة وعظمة المجلس النبوي، على صاحبه أفضل الصلاة والسلام. حيث حضره جبريل ﷺ بمشهد من الصحابة ﷺ.

ويكون في مجلسه ﷺ سؤال عن الغائبين من أصحابه، ومنهم المرضى، عن عبد الله بن عمر ﷺ، قال: (كنا جلوسًا مع رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من الأنصار، فسلم عليه، ثم أدبر الأنصاري، فقال ﷺ: يا أخا الأنصار كيف أخي سعد بن عبادة؟ فقال: صالح، فقال رسول الله ﷺ: من يعوده منكم؟ فقام، وقمنا معه، ونحن بضعة عشر، ما علينا نعال، ولا خفاف،

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله، ج١/ ٣٠.

ولا قلانس، ولا قمص، نمشي في تلك السباخ حتى جئناه، فاستأخر قومه من حوله، حتى دنا رسول الله ﷺ وأصحابه الذين معه).(١)

وهذا دليل على الاستفادة من ذلك المجلس، والانطلاق منه للزيارة، ومعرفة عدد المرافقين له ﷺ الذين انطلقوا من مجلسه ﷺ.

والمناجاة الخاصة التي تؤدي لشك وحيرة بقية من في المجلس منهي عنها، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما، فإن ذلك يحزنه)).(٢)

وقد أمر الله ـ تعالى ـ بحفظ المودة بين الجلوس، ومن ذلك التناجي بغير الخير، يقول ـ تعالى ـ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَـٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَـٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَـٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [المجادلة].(٣)

ومن آداب المجلس التي أرشد لها ﷺ ذكر الله تعالى. قال ﷺ: ((ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار)).(٢)

وقال: ((من قعد مقعدًا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة)).(٣)

---

(١) انظر: رواه مسلم في كتاب الجنائز، باب في عناية المرضى، ج٣/٤٠.

(٢) انظر البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب لا يتناجى اثنان دون الثالث... ، ج٧/١٤٢؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه، ج٧/١٢، ١٣.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٨٣٨.

(٢) انظر: رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله، ج٤/٢٦٥، ح برقم: ٤٨٥٥؛

(٢) رواه الترمذي في سننه، كتاب الدعاء، باب في القوم يجلسون ولا يذكرون الله، ج٥/٤٦١، ح برقم: ٣٣٨٠. الترة: هي الحسرة.

وأرشد ﷺ لختام المجلس كما قال ﷺ: ((مَن جلس في مجلس فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك. إلا غُفِرَ له ما كان في مجلسه ذلك)).(١)

وروى أبو داود أنه ﷺ كان يقول ذلك إذا أراد أن يقوم من المجلس، فقال له رجل: يا رسول الله، إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضى. قال: ((ذلك كفارة لما يكون في المجلس)).(٢)

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من المجلس، ج٥/٤٩٤، ح برقم: ٣٤٣٣.

(٢) انظر: رواية أبي داود في سننه، كتاب الأدب، باب في كفارة المجلس، ج٤/٢٦٦، ٢٦٧، ح برقم: ٤٨٥٧، ٤٨٥٨ ، ٤٨٥٩؛ ورواه في، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من المجلس، ج٥/ ٤٩٤، ح برقم: ٣٤٣٣؛ وخرجه أحمد، ج٢/٤٩٤؛

وللتوسع انظر: *https://www.alukah.net*/ بتاريخ ١٤٤١/٩/٢٣هـ.

أدب البيوت:

البيوت هي سكن الإنسان ومقر راحته وإن اختلفت بين البادية والحاضرة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾﴾ [النحل].(١)

وأشار الله ﷻ لأهمية البيوت واضطرار الناس لتركها أحيانًا.

قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [النساء].(٢)

وبيوت الأنبياء ورد ذكرها في كتاب الله ﷻ يقول ـ تعالى ـ عن نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح].(٣)

وعن بيت إبراهيم عليه السلام قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [هود].(٤)

وعن لوط عليه السلام وأهل بيته، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الذاريات].(٥)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٠٧١.
(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٥٢٢، ٥٢٣.
(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٩٢٤.
(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٩٦١.
(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٧٦٦.

وعما ما تعرض له يوسف عليه السلام في بيت العزيز قال ـ تعالى ـ: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ [يوسف].(١)

وقد تحدى كفار قريش رسول الله ﷺ أن يكون له بيت مميز من زخرف قال ـ تعالى ـ: ﴿أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٣﴾ [الإسراء].(٢)

وعن حفظ الله لموسى عليه السلام وهو رضيع في بيت عدوه فرعون قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ١٢﴾ [القصص].(٣)

وعن امرأة فرعون المؤمنة وما كانت تتمناه من بيت في الجنة بعيدًا عن بيت فرعون الظالم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١﴾ [التحريم].(٤)

والنبي ﷺ كانت له بيوت متعددة بحكم تعدد زوجاته، وهي ما عرفت بحجرات أمهات المؤمنين، وقد سميت بها سورة الحجرات، وأُلفت عدد من الكتب عن تلك الحجرات الطاهرة.(٥)

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/ ٩٨٠.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/ ١١٣٩.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/ ١٤١١.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/ ١٨٩٦، ١٨٩٧.

(٥) ألفت الكثير من البحوث عن حجرات النبي ﷺ وأمهات المؤمنين منها: د محمد فارس=

وكانت مقرًا لأمهات المؤمنين في حياته ﷺ وبعد وفاته، وورد الحديث عن تلك البيوت وعن أمهات المؤمنين في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأحزاب].(١)

و كان الصحابة يأتون لبيت النبي ﷺ زائرين أو سائلين أو حاضرين لطعام في مناسبة، وقد ورد الحديث عن ذلك في القرآن الكريم مع الأدب المفروض معه ﷺ حين يدخلها أصحابه، وما كان يتأذي منه ﷺ ويستحي من تبليغه لأصحابه فبلغه الله ﷻ عنه في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأحزاب].(٢)

=الجميل، بيوت النبي ﷺ وحجُراتها (وصفة معيشية)، ط١ ـ بيروت: جداول للنشر والتوزيع ٢٠١٦م؛ محمد بن سليمان النفيسي، (الحجرة النبوية عبر التاريخ)، مجلة الفرقان، العدد: ٤١ ـ ٤٥، الكويت: ١٤١٤هـ؛ الياس عبد الغني، الصحابة حول المسجد النبوي، ط٢ ـ بيروت: مركز طيبة للطباعة، المدينة المنورة؛ صفوان داوودي، الحجرات الشريفة، سيرة وتاريخ، ط٢ ـ المدينة المنورة: وقف البركة الخيري ١٤٢٢هـ؛ عبد الرحمن ابن سعد الشثري، حجرة النبي ﷺ تاريخها وأحكامها.

(١) ا انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٤٩٥ ـ ١٤٩٩.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٥١٣، ١٥١٤.

كما ورد الحديث عنها بصيغة الحجرات، في السورة التي سميت باسمها الحجرات، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الحجرات].(١)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأنفال]. وإن كان بعض العلماء أنها تعني المدينة المنورة عمومًا.(٢)

وقد كان لرسول الله ﷺ سنن في بيته وبين أهله. سيأتي الحديث عنها في موضع آخر من هذه الموسوعة بإذن الله.(٣)

وحديثنا هنا عن تعامله ﷺ مع بيوت الناس، فبيوت الناس سترهم ولها خصوصيتها، ولكل احترام خصوصيته، سواء في بيته عمومًا، أو داخل بيته فيما بين الأسرة الواحدة، وقد وردت الكثير من الأدلة في القرآن الكريم والسنة النبوية، على الأدب في البيوت الخاصة وداخلها ومع الناس في بيوتهم ومنها تصرفاته ﷺ التي كانت تبعًا لما جاء في كتاب الله.

فالبيوت لا تؤتى إلا من أبوابها كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾ [البقرة].(٤)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٧٤٤.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٨٢٠.

(٣) انظر: الجزء السابع من هذه الموسوعة.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٢٤٧، ٢٤٨.

وكان ﷺ يزور الصحابة في بيوتهم، ويصلي لهم فيها ويأكل عندهم، ويرتاح وقت القيلولة أحيانًا عند بعضهم، ويتفقد مرضاهم، ومن يطالع تراجم الصحابة عند ابن حجر في الإصابة[١] أو غيره، يجد الكثير من الروايات عن هذه الزيارات، ولذلك فإن دواعي الزيارة كثيرة، تجمعها المحبة لمن يزور ﷺ من أهل البيوت من المهاجرين والأنصار أو ذوي الأرحام وكان ﷺ يدعو لهم، ويأكل عندهم.

ومن أدبه ﷺ في الزيارة تأكيد حرمة البيوت. ومما جاء في ذلك عن عبدالله بن بُسْر قال: ((كان رسول الله ﷺ إذا جاء الباب يستأذن، لم يستقبله يقول: يمشي مع الحائط حتى يستأذن فيؤذن له، أو ينصرف)).[٢]

وفي رواية أخرى عن عبد الله بن موسى رضي الله عنه عنه قال: ((كان النبي ﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر، ويقول السلام عليكم السلام عليكم)). وذلك لأن الدور لم يكن يومئذ عليها ستور.[٣]

وحين قَرع الباب كان يراعى عدم الإزعاج وأن يكون القرع خفيفًا بحيث يسمع، ولا يُعنف في ذلك، روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كانت أبواب النبي ﷺ تقرع بالأظافير)).[٤]

---

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة. ترجمة (أم سليم)، ج٤/٤٦١.

(٢) رواه أحمد في مسنده مع اختلاف يسير في اللفظ، ج٤/١٨٩.

(٣) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب كم مرة يسلم الرجل في الاستئذان، ج٤/٣٤٩، ح برقم: ٥١٨٦.

(٤) رواه أحمد وأبو داود في السنن والبخاري في الأدب وصححه الألباني.

وعند طرق الباب يتم التعريف بالنفس، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أتيت النبي ﷺ فدعوت. فقال النبي ﷺ: ((من هذا؟)). قلت: أنا. قال: فخرج وهو يقول: ((أنا، أنا)). وفي بعض الروايات: (كأنه كره ذلك).(١)

ويَحرم التجسس على البيوت والنظر إلى عورات أهلها، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((من اطلع في بيت قوم بغير إذن ففقئوا عينه فلا دية له ولا قصاص)).(٢)

ومن الأدب عدم الاطلاع على داخل البيوت والتجسس عليها، ورد عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: اطلع رجل من جحرٍ في حُجَر النبي ومع النبي ﷺ مدرى - أي: مشط - يحك به رأسه، فقال النبي: ((لو أعلم أنك تنظر؛ لطعنت به في عينك، إنما جعل الاستئذان من أجل البصر)).(٣)

والبيت لا يُدخل إلا بإذن أهله، ولا يدخل إلا بسلام يُؤنس أهل البيت، بنص القرآن الكريم كما أمر سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨ ﴾ [النور].(٤)

---

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب إذا قال من ذا قال أنا، ج١٣١/٧؛ ورواه مسلم كتاب الأدب، باب كراهة قول المستأذن أنا إذا قيل من هذا، ج١٨٠/١.

(٢) رواه أحمد في مسنده، ج٤١٤/٢.

(٣) صحيح، البخاري، كتاب: الاستئذان، باب الاستئذان من أجل البصر، ج١٢٩/٧ - ١٣٠؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب تحريم النظر في بيت غيره، ج١٨٠/٦، ١٨١.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١٣٢٦/٢.

وجاء الأمر واضحًا بعد هذه الآية بغض البصر عمومًا، ومن ذلك يتأكد غض البصر في بيوت الناس فهو أمر شرعي تحدثت عنه الآية بعد الحديث عن دخول البيوت، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٢٩) قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠)﴾ [النور].[١] وبيّن الله ﷻ كما في الآية حكم البيوت غير المسكونة، فقال: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ﴾ [النور] أي لا إثم ولا حرج عليكم من الدخول إلى بيوت لا تستعمل للسكنى الخاصة، ولعله يدخل في ذلك الفنادق وحوانيت التجار والحمامات العامة ونحوها من الأماكن العامة، إذا كان لكم فيها مصلحة أو انتفاع كالمبيت فيها، وإيواء الأمتعة، والمعاملة بيعًا وشراءًا، وغيرهما، والاغتسال والراحة، ونحو ذلك.

وتأتي بعض الأحكام الشرعية داخل البيت لتحفظ الخصوصية، وتحمي العورات من الخدم والموالي ومن صغار السن الذين لم يبلغوا الحلم، والذين هم في الغالب من أولاد أصحاب البيت، وفي ذلك تربية لهم.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ۚ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٨) وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٩)﴾ [النور].[٢]

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٣٢٧، ١٣٢٨.

(٢) ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٣٤٤، ١٣٤٥.

ومن هذه الآية تؤخذ أحكام الاستئذان في داخل البيوت وبين سكانه ويتأكد الاستئذان في الأوقات الثلاثة، قبل صلاة الفجر؛ لأنه وقت النوم، وقت الظهيرة: أي وقت القيلولة والراحة، وبعد صلاة العشاء: ابتداء وقت النوم وسماها ـ سبحانه ـ "عورات"؛ لما يكون فيها من قلة التحفظ في اللباس.

ورد أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: أأستأذن على أمي ؟ فقال له ((نعم أتحب أن تراها عريانة؟)) فقال لا، قال: ((فاستأذن عليها)).[١]

روى أبو مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((إذا ولج الرجل بيته فليقل: اللهم إني أسألك خير المَولَج وخير المخرج باسم الله ولجنا وباسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا ثم يسلم على أهله)).[٢]

وعن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا خرج من بيته قال: ((بسم الله توكلت على الله، اللهم إنا نعوذ بك من أن نزل أو نضل أو نَظلم أو نُظلم أو نجهل أو يجهل علينا)).[٣]

وحفظ أهل المنزل من الأخطار والأوبئة جزء من السلوك المنزلي، عَنْ جَابِرِ ابْنِ عبد اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((غَطُّوا الإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ، فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ، لا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ، أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وِكَاءٌ، إِلا نَزَلَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ)).[٤]

---

(١) الإمام مالك الموطأ، كتاب الجامع، باب الاستئذان، ص ٨٢٤.

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب ما يقول الرجل إذا دخل بيته، ص ٩٢٢، ح برقم: ٥٠٩٦.

(٣) رواه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب ما يقول الرجل إذا خرج من بيته، ج٥/٤٩٠، مع اختلاف في اللفظ.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب الأمر بتغطية وإيكاء السقاء، ج٦/١٠٧.

وقد ورد الحديث عن الإذن بالأكل في البيوت واعتبار بيوت الآباء والأمهات والأقارب والأصدقاء في هذا الأمر سواء كما قال ـ تعالى ـ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُواْ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النور].[(١)]

ومن الآية فالمسلم في بيته لا يحتاج الإذن في الدخول، وقد أُمر إذا دخل بالسلام على نفسه وعلى أهله، فإن كان فيه مع الأهل أمك أو أختك، فقال العلماء: (تنحنح واضرب برجلك، وأشعرهم بقدومك لكيلا تقع على ما تكره ويكرهون).[(٢)]

وحثّنا ﷺ على قراءة القرآن في البيوت ـ كما مر بنا سابقًا ـ في قوله ﷺ: ((لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقابِرَ، إنَّ الشَّيطانَ يَنْفِرُ مِنَ البَيْتِ الذي تُقْرَأُ فيه سُورَةُ البَقَرَةِ)).[(٣)]

وقد ورد أن هناك استئذانًا آخر عند انصراف الإنسان من اجتماع مع من له مكانة بين المسلمين، كإمام المسلمين أو القاضي، فإنه لا ينصرف إلا

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٣٤٦، ١٣٤٧.

(٢) انظر: https://almoslim.net/node/ بتاريخ ١٤٤١/٩/١٩م.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، ج٢/١٨٨؛

وانظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٧٧ ـ ٨٠.

باستئذان، وقد نزلت آيات خاصة بالرسول ﷺ والاستئذان منه، وقاس العلماء عليها بعد ذلك الاجتماعات الأخرى الخاصة بمصلحة المسلمين. لقوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ [النور].(١)

فهذا نوعٌ من الأدب أرشد إليه ربنا ﷻ عباده، وقد رأى بعض العلماء إن استئذان الزائر بالانصراف بعد الزيارة يكون من هذا الباب.(٢)

وأرشدنا ﷺ إلى أدعية خاصة بدخول البيوت والخروج منها.

ورد عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله. فإن كانوا في القراءة سواء، فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء، فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء، فأقدمهم سلمًا(٣) ولا يؤمن الرجل الرجل في سلطانه، ولا يقعد في بيته على تكرمته(٤) إلا بإذنه)).(٥)

ولصاحب البيت أن يخص بعض زواره بمجلسه أو تكرمته من وسادة وغيرها، كما فعل ﷺ مع عدي بن حاتم رضي الله عنه، حيث تناول ﷺ وسادة من أدم محشوة ليف فقذفها إليه ليجلس عليها.(٦)

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٦٢/٢.

(٢) انظر: www.alukah.net/sharia.

(٣) سلمًا: أي إسلامًا. كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ أي الإسلام.

(٤) تكرمته: قال العلماء: التكرمة الفراش ونحوه.

(٥) مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة، ج١٣٣/٢.

(٦) انظر: رواية ابن أبي شيبة في المغازي، ص ١٤٢، وابن هشام، السيرة النبوية، ج٥٨١/٤.

ورد عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء)).(١)

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور فقال: استأذنت على عمر ثلاثًا فلم يؤذن لي فرجعت، فقال: ما منعك؟ قلت: استأذنت ثلاثًا فلم يؤذن لي فرجعت، وقال رسول الله ﷺ: "إذا استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يؤذن له فليرجع".

فقال: والله لتقيمن عليه بينة. أمنكم أحد سمعه من النبي ﷺ؟ فقال أُبي ابن كعب: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم، فكنت أصغر القوم فقمت معه، فأخبرت عمر أن النبي ﷺ قال ذلك).(٢)

شكر الناس:

يقول - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [لقمان].(٣)

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامها، ج١٠٨/٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإستئذان، باب التسليم والإستئذان ثلاثًا، ج١٣٠/٧؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب الاستئذان، ج١٧٧/٦، ١٧٨.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٤٦١/٢ - ١٤٦٦.

هذه الآيات واضحة في شكر الله ﷻ ثم شكر الوالدين، وهما أولى البشر بالشكر بعد الله ﷻ. وهما من أحسن للإنسان قبل ولادته ومع الولادة وما تلاها، وليس أكثر من الوالدين إحسانًا على الإنسان.

وقد أكد ﷺ في عدة روايات على شكر المحسن من الناس، وطبق ذلك بنفسه ﷺ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((لا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لا يَشْكُرُ النّاسَ)).(١)

وورد في رواية الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((مَنْ لمْ يشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يشْكُرِ الله)).(٢)

وورد في رواية الإمام أحمد رحمه الله عن الأشعث بن قيس رضي الله عنه قال: قال ﷺ: ((إن أشكرَ الناس لله ﷻ أشكرُهم للناس)).(٣)

الحديث فيه ذم لمن لم يشكر الناس على إحسانهم. مع الحث على شكر الناس على إحسانهم. وشكر الناس على إحسانهم يكون بالثناء والكلمة الطيبة والدعاء لهم ومن أحسن الشكر أن تقول لمن أحسنَ إليك: "جزاك الله خيرًا" فعن أسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((من صُنع إليه معروفٌ فقال لفاعله: جزاك الله خيرًا، فقد بالغ في الثناء)).(٤)

---

(١) رواه أحمد في مسنده، ج٥/٢١١ ـ ٢١٢؛ ورواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، ج٤/٢٥٦، ح برقم: ٤٨١١.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف والبيهقي في السنن الكبرى، وصححه العلامة الألباني.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٥/٢١٢؛ والترمذي في كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ في باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ج٤/٣٣٩، ح برقم: ١٩٥٤، ١٩٥٥.

(٤) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في يستعيذ مني الرجل، ج٤/٣٣١؛ ورواه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المُتشبِّع بما لم يعطه، ج٤/٣٨٠، ح برقم: ٢٠٣٥، ورواه النسائي في سننه، ٢٥٦٧؛ ورواه أحمد في مسنده، ج٢/ ٦٨، وابن حبان وصححه العلامة الألباني.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((من صنعَ إليكم معروفًا فَكَافِئُوهُ، فإن لم تجدوا ما تُكَافِئُونَهُ فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه)).[١]

وقد علق الإمام ابن باز رحمه الله على هذه الروايات بقوله: ((ولهذا يشرع للمؤمن أن يدعو لمن دعا له وأن يقابل من أحسن إليه بالإحسان وأن يثني عليه خيرًا في مقابل إحسانه إليه وبذل المعروف له، هذا من مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال)).[٢]

وكان ﷺ يثني على المحسنين من الصحابة أمام الأخرين، فقد أثنى على أبي بكر رضي الله عنه في أكثر من موضع وعلى عمر رضي الله عنه وعلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وعلى سعد بن معاذ رضي الله عنه وعلى بلال رضي الله عنه وعلى عثمان رضي الله عنه وعلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعلى غيرهم ممن بذل جهدًا متميزًا ﷺ.[٣]

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال المهاجرون: (يا رسولَ الله، ذهَب الأنصار بالأجر كلِّه، ما رأينا قومًا أحسن بذلاً لكثيرٍ ولا أحسن مُواساة في قليلٍ منهم، ولقد كَفَونا المُؤْنة، قال ﷺ: "أليس تُثنُون عليهم به، وتَدعون لهم"، قالوا: بلى، قال: "فذاك بذاك").[٤]

* * * * *

---

(١) رواه أحمد في مسنده، ج٢/٦٨؛ وأبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في الرجل يستعيذ من الرجل، ج٤/٣٣١، ح برقم: ٥١٠٩.

(٢) انظر: موقع ابن باز *https://binbaz.org.sa/fatwas* بتاريخ: ١٤٤١/١٢/١هـ.

(٣) انظر: صحيح مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم.

(٤) انظر: أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، ج٤/٢٥٦، ح برقم: ٤٨١٢؛ وأخرجه أحمد في مسنده، ج٣/٢٠٠ ـ ٢٠٤.

الأدب مع الوالدين وبرهما:

إن أولى الناس بالأدب معهم وحسن الخلق والصحبة هم الوالدان، وهو ما يعبر عنه برقي، بـ (بر الوالدين)، ويعني الإحسان إليهما وفعل الجميل معهما وفعل ما يسرهما ويدخل فيه الإحسان إلى صديقهما.(١)

قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [لقمان].(٢)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [البقرة].(٣)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء].(٤)

---

(١) انظر: تعريفات البر في موقع: *https://ust.edu/usty/images/hss/Study* بتاريخ: ١٤٤١/٩/١٩هـ.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٤٦٢/٢.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٥٤/١، ١٥٥.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٤٧٩/١ ـ ٤٨١.

وقال - تعالى -: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام].[1]

وقال - تعالى -: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء].[2]

وقال - تعالى -: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [العنكبوت].[3]

وقال - تعالى -: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [لقمان].[4]

وقال - تعالى -: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٧٣١ - ٧٣٣.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١١١٣، ١١١٣.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٤٢٩، ١٤٣٠.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٤٦٢.

وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأحقاف].(١)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾ [البقرة].(٢)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء].(٣)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام].(٤)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾ [مريم].(٥)

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٧٠٤ ـ ١٧٠٦.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٢٧٠.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١١١٣، ١١١٤.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/٧٣١ ـ ٧٣٣.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١١٨٠، ١١٨١.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [مريم].(١)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾ [التوبة].(٢)

سأل رجل رسول الله ﷺ، فقال: ((يا رسولَ اللَّهِ إنِّى كنتُ أردتُ الجِهادَ معَكَ أبتغى بذلِكَ وجْهَ اللَّهِ والدّارَ الآخرةَ، قالَ: ويحَكَ أحيَّةٌ أمُّكَ؟. قُلتُ: نعم، قالَ: ارجَع فبرَّها، ثمّ أتيتُهُ منَ الجانبِ الآخَر، فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ إنِّى كنتُ أردتُ الجِهادَ معَكَ أبتغى بذلِكَ وجهَ اللَّهِ والدّارَ الآخرَةَ، قالَ: وَيحكَ أحيَّةٌ أمُّكَ؟ قلتُ: نعَم يا رسولَ اللَّهِ، قالَ: فارجِع إليْها فبرَّها، ثمّ أتيتُهُ من أمامِهِ، فقُلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، إنِّى كنتُ أردتُ الجِهادَ معَكَ أبتغى بذلِكَ وجْهَ اللَّهِ والدّارَ الآخرةَ، قالَ: ويحَكَ أحيّةٌ أمُّكَ؟ "قُلتُ: نعَم يا رَسولَ اللَّهِ، قالَ: ويحكَ الزَم رِجلَها فثمّ الجنّةُ)).(٣)

سأل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه رسول الله ﷺ، فقال: ((أيُّ الأعمال أحبُّ إلى اللهِ تعالى؟ قال: الصّلاةُ لِوَقتِها. فقُلتُ: ثم أيٌّ؟ قال: ثم برُّ الوالدينِ، ثم قُلتُ: ثم أيٌّ؟ قال: الجِهادُ في سَبيلِ اللهِ عز وجل ولوِ استَزَدتُه لزادَني)).(٤)

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١١٨٦/٢، ١١٨٧.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٩١١/١، ٩١٢.

(٣) رواه ابن ماجه، في صحيحه، كتاب الجهاد، باب الرجل يغزو وله أبوان، ص ٩٢٩، ح برقم: ٢٧٨١.

(٤) رواه شعيب الأرناؤوط، في تخريج مشكل الآثار، عن عبد الله بن مسعود، الصفحة أو الرقم: ٢١٢٥، إسناده صحيح على شرط البخاري.

سأل رجل رسول الله ﷺ فقال: ((يا رَسولَ اللَّهِ، مَن أحَقُّ النّاس بحُسْن صَحَابَتِي؟ قالَ: أُمُّكَ قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: ثُمَّ أُمُّكَ قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: ثُمَّ أُمُّكَ قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: ثُمَّ أبُوكَ)).(١)

وقال ﷺ: ((رَغِمَ أنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أنْفُهُ قيلَ: مَنْ؟ يا رَسولَ اللَّهِ، قالَ: مَن أدْرَكَ والِدَيْهِ عِنْدَ الكِبَرِ، أحَدَهُما، أوْ كِلَيْهِما، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ)).(٢)

جاء رَجُلٌ إلى رسول اللّهِ ﷺ، واستأذَنَه في الجهادِ، فقال له ﷺ: ((أحَيٌّ والداكَ؟ قال: نعمْ، قال: ففيهما فجاهِدْ)).(٣)

قال ﷺ: ((رضا الربِّ في رضا الوالدينِ، وسخطُهُ في سخطِهما)).(٤)

قال ﷺ: ((لن يجزيَ ولدٌ والدَه إلا أن يجدَه مملوكًا فيشتريَه فيعتقَه)).(٥)

وقد أجازت الشريعة صلة الوالدين حتى لو كانا على الشرك. وقد وضع البخاري رحمه الله في صحيحه في كتاب الأدب (باب صلة الوالد المشرك) روى فيه عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت أتتني أمي راغبة في عهد النبي ﷺ فسألت النبي ﷺ أصلها؟

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٩٧٣/٢.

(٢) رواه مسلم في صحيحه مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر ولم يدخلاه الجنة، ج٥/٨، ٦.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند، عن عبد الله بن عمرو، ج٢٢١/٢.

(٤) رواه الترمذي، في سننه، ج٣١٠/٤، ح برقم: ١٨٩٩؛ وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج٤٢/٢، ح برقم: ٥١٦.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب العتق، باب فضل عتق الوالد، ج٢١٨/٤.

قال: نعم. قال ابن عيينة فأنزل الله ـ تعالى ـ فيها: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ الآية..... ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة].[١]

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال، قال ﷺ: ((ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا بلى يا رسول الله. قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين)).[٢] وفي صحيح البخاري في كتاب الأدب (باب عقوق الوالدين من الكبائر ...).[٣] وفيه عن المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ قال: ((إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ومنعًا وهات ووأد البنات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال)).[٤]

كما ورد عن أبي بكرة رضي الله عنه قال ﷺ: ((ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله، قال الإشراك بالله وعقوق الوالدين. وكان متكئًا فجلس فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يقولها حتى قلت لا يسكت)).[٥]

وقد أجمع العلماء على وجوب بر الوالدين وتقديم رضاهما على المال، قال أحد العلماء: (لا تعقن والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك).[٦]

---

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب صلة الوالد المشرك، ج٧/٧١.
وفيه من الآية ٨ من سورة الممتحنة؛ انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٨٦٠.
(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، ج٧/٧٠.
(٣) البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، ج٧/٧٠.
(٤) البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، ج٧/٧٠.
وانظر: مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل...، ج٥/١٣٠.
(٥) متفق عليه، البخاري، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، ج٧/٧٠؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، ج١/٦٤.
(٦) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد، ج٤/٢١٨ ؛ وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ح برقم: ٥٧٠.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال ﷺ: ((إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قيل: يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه)).(١)

وقد نشأ ﷺ يتيم الأبوين، وهذا ما اختاره الله لنبيه ﷺ، حيث آواه الله عز وجل فكان هاديًا له ومغنيًا. وكان يرى أن أم أيمن رضي الله عنها بمثابة أمه فيبرها، ويرى أن عمه أبا طالب بمثابة الأب فيعينه ويبره، ويحرص على هدايته، وكذلك كان يرى عمه العباس رضي الله عنه بمثابة أبيه فيبره ويأمر بالإحسان إليه.(٢)

* * * * *

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه، ج٦٩/٧؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، ج٦٤/١، ٦٥.

(٢) انظر: القسم الخامس من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين).

الأدب مع (مع الزوجات) والأولاد:

البيوت، بما فيها من الزوجات،[١] والأولاد والذرية نعمة من اللّه ﷻ، وورد الحديث عنهم مع أبي البشر آدم عليه السلام. قال ـ تعالى ـ: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الإسراء].[٢]

قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [الكهف].[٣]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأعراف].[٤]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [الأعراف].[٥]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأعراف].[٦]

---

(١) سيأتي الحديث عن الأدب مع الزوجات في القسم الخاص بأخلاقه ﷺ في بيته.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١١٢٦.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١١٥٩، ١١٦٠.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٧٥٠، ٧٥١.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٧٩٧ ـ ٨٠٠.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٧٥٤.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة].(١)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿٤١﴾﴾ [يس].(٢)

وقد تحدث القرآن الكريم عن السعي والدعاء الصالح لهم مع عدد من الأنبياء، منذ آدم عليه السلام مرورًا ببقية الأنبياء.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [النحل].(٣) وقال ـ تعالى ـ:﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [آل عمران].(٤)

وقد وعد الله بإلحاق الذرية الصالحة بالآباء الصالحين، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴿٢١﴾﴾ [الطور].(٥)

ومسؤولية الآباء تأديب وتربية الأبناء، لينالوا سعادة الدارين برضا الله وتقواه، والبعد عما يغضبه، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٦٠٤ ـ ٦٠٦.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/ ١٥٧٠، ١٥٧١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٠٦٩.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٣٦١.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٧٧١.

﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم][1] والبحث عن الذرية الطيبة ودعاء الله لطلبها فعله الأنبياء عليهم السلام، قال - تعالى -: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٤١ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٤٢ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ۝٤٣﴾ [هود].[2]

وقال - تعالى -: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ۝٧٧﴾ [الصافات].[3]

وقال - تعالى -: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ۝٣٨ فَنَادَتْهُ﴾ [آل عمران].[4]

وقال - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ۝٢٦﴾ [الحديد].[5]

وقال - تعالى -: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٢٤﴾ [البقرة].[6]

وقال - تعالى -: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٢٧﴾ [العنكبوت].[7]

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/١٨٩٤.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٩٥٦.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٥٨٧، ١٥٨٨.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٣٦٣.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٨٣٢.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/١٩٤ - ١٩٧.

(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٤٣٣ - ١٤٣٥.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾ [الصافات].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة].(١)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف].(٢)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾ [النساء].(٣)

وإن كان الحديث في هذه الآية عن المواريث التي نظمها الله سبحانه وتعالى بين الأبناء، وهم الأولى بتركة الميت في تشريعه عز وجل للمواريث التي وردت في آيات متعددة من القرآن الكريم، إلا أنها بدأت بالحديث عن الأولاد، وهم الأبناء والبنات من الذكور والإناث، الذين لكل منهم حق مشروع أوضحته الآية الكريمة. والخوف على الذرية أمر طبيعي قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٢١١.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٧٠٣/٢ ـ ١٧٠٥.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٤٤٦/١ ـ ٤٤٩.

﴿تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩﴾ [النساء].(١)

وقد رزق ﷺ بعدد من الأولاد والبنات، وتوفي أولاده الذكور، وهم صغار السن، ولذلك لم يبق له من الأبناء الذكور أحد وصدق الله في قوله ﷻ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠﴾ [الأحزاب].(٢)

وعاشت بناته رضي الله عنهن في حياته ﷺ. وأشارت لهن الآيات القرآنية في معرض التوجيه، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥٩﴾ [الأحزاب].(٣)

وكان ﷺ مدرسة في التعامل معهن وتعليمهن وتربيتهن على الدين والأدب، وقد تحدثنا عن شيء من ذلك في الجزء الخاص عن رحمته ﷺ، كما تحدثنا عنهن رضي الله عنهن في عواطفه ومحبته ﷺ، وهنا نشير إلى شيء من أدبه ﷺ مع الأولاد ويقصد بذلك البنات والأبناء، والشواهد تستمد من تعامله مع بناته ﷺ، وما نقل من سنته ﷺ في ذلك.

كان ﷺ يحتفي بهن ويرحب. وقد وضع البخاري في صحيحه (باب قول الرجل مرحبًا) وقالت عائشة رضي الله عنها: قال النبي ﷺ لفاطمة عليها السلام: ((مرحبًا بابنتي))، وقالت أم هانئ: جئت إلى النبي ﷺ فقال: ((مرحبًا بأم هانئ)).(٤)

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٤٤٤.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٥٠٤ ـ ١٥٠٦.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٥٢٦.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قول الرجل مرحبًا، ج٧/١١٤.

والأولاد كما أشار الله ﷻ فتنة، قال - تعالى -: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنفال].(١)

وقال - تعالى -: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التغابن].(٢)

وقال - تعالى -: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾ [الأحزاب].(٣)

وقال - تعالى -: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾ [النساء].(٤)

وقال - تعالى -: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة].(٥)

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٨٣٢، ٨٣٣.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٨٨٢.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٤٨٠، ١٤٨١.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٤٤٦ - ٤٤٩.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٨٤٣، ١٨٤٤.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح].[1]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون].[2]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد].[3]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَـٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سبأ].[4]

كان ﷺ حريصًا على التسمية الصحيحة لأولاده، وهذا جزء من الأدب معهم والتربية لهم. والمتمعن في أسماء أبناء الرسول ﷺ وأسباطه يجدها أفضل الأسماء. وحين ولد الحسن بن علي رضي الله عنهما سماه النبي ﷺ، وأذن في أذنه.[5]

وكان النبي ﷺ يحبه حبًا شديدًا ويأنس به. قال عنه وعن الحسين ﷺ:

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٩٢٢.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٨٧٩.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٨٣٠، ١٨٣١.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٥٤٤.

(٥) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، أبواب النوم، باب في الصبي يولد فيؤذن في أذنه، ص٩٢٤، ح برقم: ٥١٠٥؛ وانظر: الصلابي، الحسن بن علي، ص ٢٠؛ (انظر: القسم الرابع من هذه الموسوعة، محبته ﷺ للصغار).

((اللهم إني أحبهما فأحبهما)).[١] وقال عنه وعن الحسين رضي الله عنهما: ((هما رَيْحَانَتَايَ من الدنيا)).[٢] كان يصعد على ظهر رسول الله ﷺ وهو يصلي فيرفع النبيُّ رفعًا رفيقًا لئلا يقع. وقد قال عنه ﷺ: ((إن ابني هذا سيد وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين)).[٣]

وكان ﷺ يدعو لأبناء بنته فاطمة رضي الله عنها الحسن والحسين رضي الله عنهما بقوله: ((أُعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة، يقول ﷺ هكذا كان إبراهيم يعوذ ابنيه إسماعيل وإسحاق)).[٤]

وكان ﷺ عطوفًا شديد المحبة لهما، يؤنسهما، ويصحبهما ويلعب معهما، ويحملهما على ظهره، ويركبهما معه على الدابة، ولا شك أنه يتخلل ذلك مداعبة وأحاديث تناسب سنهما.

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: (لقد قُدت بنبي الله ﷺ والحسن والحسين بغلته الشهباء حتى أدخلتهم حجرة النبي ﷺ، هذا قُدّامه، وهذا خلفه).[٥]

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان النبي ﷺ حاملاً الحسن بن علي رضي الله عنهما على

---

(١) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، ج٤/٢١٦؛ رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٢/٢٤٩، ٣٣١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، ج٤/٢١٧.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، ج٤/٢١٦.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾، ج٤/١١٩.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما، ج٧/١٣٠.

عاتقه، فقال رجل: نِعْمَ المركب ركبتَ يا غلام، فقال النبي ﷺ: "نِعْمَ الراكبُ هو").(١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كنَّا نصلي مع النبي ﷺ، فإذا سجد وثب الحسن والحسين رضي الله عنهما على ظهره، فإذا رفع رأسه أخذهما فوضعهما على الأرض، فإذا عاد عادا حتى يقضي صلاته).(٢)

وقد ربى ﷺ صغارًا آخرين ليسوا من أبنائه، منهم عبد اللّه وزينب أبنا أبي سلمة رضي الله عنه. وكانت أمهم أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها وبالتالي فكانا ربيبي رسول اللّه ﷺ وله مواقف خاصة منهما تدل على رحمتهما ومحبتهما.

كما نقل من سنته بعض أفعاله مع أبناء الصحابة، وفيها شيء من التربية، من ذلك عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (ذهبت بعبد اللّه بن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه إلى رسول اللّه ﷺ حين ولد، ورسول اللّه ﷺ في عباءة يهنأ بعيرًا له، فقال: "هل معك تمر؟" فقلت: نعم، فناولته تمرات، فألقاهن في فيه، فلاكهن، ثم فغر فاء الصبي، فمجَّه في فيه، فجعل الصبي يتلمظه. فقال رسول اللّه ﷺ: "حب الأنصار التمر، وسماه عبد اللّه").(٣)

عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: (خرج علينا النبي ﷺ وأُمامه بنت أبي العاص على عاتقه، فصلى، فإذا ركع وضعها وإذا رفع رفعها).(٤)

---

(١) الصلابي، أمير المؤمنين الحسن بن علي، ص ٦٣، وضعفه.

(٢) انظر: الذهبى، سير أعلام النبلاء، ج٣/٢٥٦.

(٣) انظر: رواه مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب (استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى صالح يحنكه وجواز تسميته يوم ولادته)، ج٦/١٧٤؛ وانظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب الذبائح والصيد، باب (الوسم والعلم في الصورة)، ج٦/٢٣٢. انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٩٧٣.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ج٧/٧٤، ٧٥.

وقد وضع البخاري في صحيحه، باب الرفق في الأمر كله.[١]

روى فيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قبل رسول ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: "من لا يرحم لا يرحم").[٢]

عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: تقبلون الصبيان فما نقبلهم فقال النبي ﷺ: ((أوأملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة)).[٣] كما شارك ﷺ صغار السن من أبناء الصحابة ما يسرهم.

فحين خرجت جواري بني النجار يرحبن برسول الله ﷺ عند وصوله للمدينة مرددات:

نحن جوار من بني النجار ... يا حبذا محمد من جار

روي أنه قال أتحبينني؟ فقلن: أي والله قال ﷺ: ((وأنا والله أُحِبّكنّ)).[٤]

هذا الحوار كله يدل على الحب المتبادل والحوار الراقي المُربي بين جوار من صغار بنات الأنصار رضي الله عنهم، وبين رسول الله ﷺ.

عن أم خالد بنت خالد بن سعيد رضي الله عنهما قالت: أتيت رسول الله ﷺ مع أبي وعلي قميص أصفر، قال رسول الله ﷺ: ("سنه سنه" قال عبد الله: وهي بالحبشية حسنة قالت: فذهبت ألعب بخاتم النبوة فزبرني أبي. قال ﷺ:

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب الأدب باب الرفق في الأمر كله، ج٧/٨٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، بابباب رحمة الولد وتقبيله، ج٧/٧٥.

ورواه مسلم في صحيحه، باب رحمته ﷺ بالصبيان وتواضعه وفضل ذلك، ج٧/٧٦ ـ ٧٧.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، بابباب رحمة الولد وتقبيله، ج٧/٧٥.

ورواه مسلم في صحيحه، باب رحمته ﷺ بالصبيان وتواضعه وفضل ذلك، ج٧/٧٧.

(٤) ابن حجر، فتح الباري، ج١٥/١٢٥؛ وانظر: مهدي رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص ٢٨٦.

"دعها" ثم قال رسول اللّه ﷺ: "أبلي وأخلقي ثم أبلي وأخلقي ثم أبلي وأخلقي" قال عبد اللّه: فبقيت حتى ذكر يعني من بقائها).[١]

وقد أُتي بالمنذر بن أبي أسيد إلى النبي ﷺ حين ولد فوضعه على فخذه، وأبو أسيد جالس فلها النبي ﷺ بشيء بين يديه فأمر أبو أسيد بابنه فاحتمل من فخذ النبي ﷺ فاستفاق النبي ﷺ فقال: "أين الصبي" فقال أبو أسيد: قلبناه يا رسول اللّه، قال: "ما اسمه"، قال: فلان، قال: "ولكن أسمه المنذر" فسماه يومئذ المنذر.[٢]

عن أبي موسى رضي الله عنه قال ولد لي غلام فأتيت به النبي ﷺ فسماه إبراهيم فحنكه بتمرة ودعا له بالبركة ودفعه إلي وكان أكبر ولد أبي موسى.[٣]

وقد وضع البخاري في صحيحه (باب الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل)[٤] وذلك من باب التقدير للصغير، روى فيه عن أنس: (كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقًا وكان لي أخ يقال له أبو عمير قال أحسبه فطيمًا وكان إذا جاء قال: "يا أبا عمير ما فعل النغير"، نغر كان يلعب به، فربما حضر الصلاة وهو في بيتنا فيأمر بالبساط الذي تحته فيكنس وينضح ثم يقوم ونقوم خلفه فيصلي بنا).[٥]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من ترك صبية غيره حتى تلعب به أو قبّلها أو مازحها، ج٧/٧٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه، ج٧/١١٧.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من سمى بأسماء الأنبياء، ج٧/١١٨.

(٤) البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل، ج٧/١١٩.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل، ج٧/١١٩.

وكان ﷺ يعلم الصغار التقوى، والصدق والأمانة. وقد وضع البخاري في صحيحه، في كتاب الأدب، باب قول ـ الله تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة]. وما ينهى عن الكذب.[١]

روي عن عبد الله بن عامر رضي الله عنه أنّه قال: (دعتني أمّي يومًا ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطيك، فقال لها رسول الله ﷺ: "وما أردت أن تعطيه"؟ قالت: أعطيه تمرًا، فقال لها رسول الله ﷺ: "أما إنّك لو لم تعطه شيئًا كتبت عليك كذبة").[٢]

وتأتي إقامة الصلاة من أهم ما يربى عليه الأبناء، قال ﷺ: ((مُرُوا صِبْيَانَكُمْ بِالصَّلَاةِ لِسَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ)).[٣]

وكان الأنبياء قبله حريصين على صلاة أبنائهم، فهذا إبراهيم يدعو الله بذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم].[٤]

---

(١) البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، ج٩٥/٧؛ وفيه الآية ١١٩ سورة التوبة؛ وانظر: ابن كثير في تفسيره، ج٩١٥/١، ٩١٦.

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في التشديد في الكذب، ج٢٩٩/٤، ح برقم: ٤٩٩١.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج١٨٧/٢؛ وأبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، ج١٣١/١، ح برقم: ٤٩٤، ٤٩٥.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٠٣٧/٢، ١٠٣٨.

والأبناء في الصغر يدربون على الصلاة، وإن كانت غير واجبة عليهم في الصغر.[(١)] وينبغي أن يتلطف الأب في أمر أولاده الصغار بالصلاة، وأن يشجعهم على أدائها، حتى يعتادوا عليها ويحبوها.

وكذلك أشار الحديث إلى فصلهم عن بعض في المضاجع حين بلوغهم سن سبع سنوات، ولا شك أن هذا جزء من تأديب الصغار في هذه المرحلة، فلكل خصوصيه، ولكل عورته، كما أشرنا في موضع آخر إلى الآيات التي تأمر الصغار الذين لم يبلغوا الحلم بالاستئذان في أوقات محددة من اليوم وقت الراحة، بحيث لا يطلعوا على عورات الكبار من آبائهم وغيرهم، وهذا فيه تأديب عظيم لهم.

وكذلك يتربى الأبناء على طاعة الوالدين وبرهما، كما في قصة إسماعيل مع أبيه إبراهيم عليه السلام، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات].[(٢)]

وقد كان فرعون يعذب بني إسرائيل بقتل أبنائهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص].[(٣)]

ولعل مما يؤدب الأولاد على الطاعة والبر، رؤيتهم العملية لوالديهم يبرون أباءهم إن كانوا أحياء، كما ورد ((بروا أباءكم تبركم أبناؤكم)).[(٤)]

---

(١) انظر: موقع الشيخ عبد العزيز بن باز، *https://binbaz.org.sa/audios* بتاريخ ١٤٤١/٩/٢٠هـ.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٥٩٠/٢.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٤٠٩/٢.

(٤) انظر: الطبراني في المعجم الأوسط، ج٢٩٩/١، ح رقم ١٠٠٢.

كما أن على الأب أن لا يشق على أبنائه، فمع أن الابن وماله لأبيه، كما ورد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رجلاً قال: (يا رسول الله إن لي مالاً وولدًا وإن أبي يجتاح مالي . فقال ﷺ: "أنت ومالك لأبيك"). (١)

ومع ذلك فقد أمر الآباء بعدم المشقة على الأبناء، وأن يكونوا عونًا لهم على برهم، ولا يكلفوهم مالا يطيقون، وأن يربوهم على العدل والإنصاف ويكونوا عادلين معهم، فحينما جاء أحد الصحابة قد نحل ابنًا له شيئًا مميزًا له عن بقية أبنائه رفض الرسول ﷺ الشهادة على ذلك.

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما: ((أن أمه بنت رواحة سألت أباه بعض الموهوبة من ماله لابنها فالتوى بها سنة، ثم بدا له، فقالت: لا أرضى حتى تُشهد رسول الله ﷺ على ما وهبت لابني، فأخذ أبي بيدي، وأنا غلام فأتى رسول الله ﷺ ، فقال: يا رسول الله إن أم هذا بنت رواحة أعجبها أن أشهدك على الذي وهبت لابنها ، فقال رسول الله ﷺ : يا بشير ألك ولد سوى هذا؟ قال: نعم، فقال: أكلهم وهبت له مثل هذا؟ قال: لا ، قال: فلا تشهدني إذًا ، فإني لا أشهد على جور)). (٢) وفي رواية: قال ﷺ: ((فكل بنيك نحلت مثل الذي نحلت النعمان؟ قال: لا ، قال: فأشهد على هذا غيري، قال: أليس يسرك أن يكونوا لك في البر سواء؟ قال: بلى، قال فلا إذًا)). (٣)

---

(١) انظر: رواه ابن ماجه في سننه، كتاب التجارات، باب ما للرجل من مال ولده، ج٢/٧٦٩، ح برقم: ٢٢٩١.

(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الهبات، باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة، ج٥/٦٦.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب الهبة للولد وإذا أعطى بعض ولده شيئًا لم يجز له حتى يعدل بينهم ويعطي الآخرين مثله، ج٣/١٣٤؛
ورواه النسائي في سننه، كتاب النحل، ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر النعمان بن بشير في النحل، ج٦/٢٥٨.

وفي رواية: ((أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟ قال: لا، قال: فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم. قال: فرجع فرد عطيته)).(١)

وقد أمر ﷺ بالعناية بالبنات. ولاشك أن تأديبهن يدخل في هذا الأمر، فقال ﷺ: ((من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين وضم أصابعه)).(٢)

عن عائشة رضي الله عنها قالت جاءتني امرأة معها ابنتان تسألني فلم تجد عندي غير تمرة واحدة فأعطيتها، فقسمتها بين ابنتيها، ثم قامت فخرجت فدخل النبي ﷺ فحدثته فقال: ((من يلي من هذه البنات شيئًا فأحسن إليهن كن له سترًا من النار)).(٣)

وكان ﷺ لطيفًا مع البنات صغيرات السن. ممن يتصل بآل بيته وأصحابه.

عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ، وكان لي صواحب يلعبن معي فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه فيسربهن إلي فيلعبن معي.(٤)

ولا شك أن النصح للأبناء والبحث عن الخير لهم مطلب شرعي. ويمكن الاستئناس بقوله ﷺ: ((ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو

---

(١) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب الهبة للولد وإذا أعطى بعض ولده شيئًا لم يجز له حتى يعدل بينهم ويعطي الآخرين مثله، ج٣/١٣٤.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والآداب والصلة، باب فضل الإحسان إلى البنات، ج٨/٣٨.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ج٧/٧٤.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس، ج٧/١٠٢.

غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة))[١] ولعل هذا من باب التأديب لهم، وقال ﷺ: ((من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترًا من النار)).[٢]

وفي حادثة المباهلة جمع رسول الله ﷺ من بقي من ذريته وطبق قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٦١)﴾[آل عمران].[٣]

ولكن نصارى نجران تراجعوا عن المباهلة فسلموا من العقوبة.[٤]

وكانت عناية جميع الأنبياء بأبنائهم تمتد حتى ساعة موتهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢)﴾[البقرة].[٥]

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣)﴾[البقرة].

ولذلك تأتي قصة فاطمة رضي الله عنها وحديثها معه ﷺ في مرضه الذي مات فيه،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب من استرعى رعية فلم ينصح، ج٨/١٠٧؛ رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، ج٦/٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ج٧/٧٤؛ رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات، ج٨/٣٨.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٣٦٩ ـ ٣٧٢.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٣٦٩ ـ ٣٧٢.

(٥) انظر: كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين) القسم الرابع. "وفد نصارى نجران".

كما ورد في الرواية التي نقلتها لنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بكل صدق وأمانة وتبين موقفًا يبين مكانة فاطمة رضي الله عنها من رسول الله ﷺ وما خصها به من علم لم يعطه أحدًا آخر عند وفاته وهي الوحيدة الباقية من بناته حينها، فقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((دعا النبي ﷺ فاطمة ابنته في شكواه الذي قبض فيه، فسارَّها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارَّها، فضحكت. فسألنا عن ذلك؟ فقالت: سارَّني النبي ﷺ أنه يُقبض في وجعه الذي توفي فيه، فبكيت، ثم سارَّني فأخبرني أني أوَّل أهل بيته يتبعه، فضحكت)).(١)

وقد أورد البخاري تفصيلات أكثر عن هذه الحادثة برواية عائشة رضي الله عنها قالت: ((أقبلت فاطمة تمشي كأنّ مشيتها مشيّ النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: مرحبًا بابنتي ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسرّ إليها حديثًا فبكت. فقلت لها: لم تبكين؟ ثم أسرّ إليها حديثًا فضحكت. فقلت: ما رأيت كاليوم فرحًا أقرب من حزن. فسألتها عما قال؟ فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ، حتى قبض النبي ﷺ فسألتها. فقالت: أسر إليّ أن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقًا بي فبكيت. فقال: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين؟ فضحكت لذلك)).(٢)

ويرتبط صالحو الذرية بآبائهم وأجدادهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٥/١٣٨.
(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٥/١٣٨.

يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾﴾ [يوسف].(١)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [يوسف].(٢)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ [آل عمران].(٣)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنعام].(٤)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان].(٥)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ [لقمان].(٦)

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٢١٣.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٩٧٥ ـ ٩٧٧.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٩٨٨، ٩٨٩.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٣٦٢.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٤٦٢.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٤٦٣.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾ [لقمان].(١)

وقد تكبر الكفار لوجود أولاد عندهم ظانين أنها تقرب من الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٥٥﴾ [التوبة].(٢)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٧﴾ [المجادلة].(٣)

وهذا وإن كان في مقام ذكر فضل الله عليهم وجحودهم وكفرهم، إلا أن فيه لفتة عجيبة إلى أن حضور الأبناء وشهودهم أمام والديهم وبين يديهم، نعمة ومنة من الله: ﴿وَبَنِينَ شُهُودٗا ١٣﴾ [المدثر].

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٨٥﴾ [التوبة].(٤)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ٦٤﴾ [الإسراء].(٥)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٣٥﴾ [سبأ].(١)

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٤٦٣.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٨٨٦.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٨٤٢، ١٨٤٣.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٩٣٦.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٩٠١.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ۚ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾ [الممتحنة].[2]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾﴾ [آل عمران].[3]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾ [القلم].[4]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [آل عمران].[5]

* * * * *

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١١٢٦، ١١٢٧.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٥٤٤.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٨٥٧ ـ ١٨٥٩.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٨٩٩، ١٩٠٠.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٣٩٣، ٣٩٤. ج٢/١٢٩٧، ١٢٩٨.

الأدب مع الأقارب:

جعلت الشريعة للأقارب وذوي الأرحام مكانة خاصة، وعُرِّفت صلة الرحم عند المحدثين والفقهاء، بالإحسان إلى ذوي القرابة بكل أنواع الإحسان المادي والمعنوي، وبرهم، وعدم قطيعتهم، مع تفاوت في الأولوية بينهم، وذوو القربى أشارت لهم الآيات الكريمة في عدد من المواضع، قال - تعالى -: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [البقرة].[1]

وقال - تعالى -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء].[2]

وقال - تعالى -: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة].[3]

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/١٥٤، ١٥٥

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٤٣٩.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٢٣٠ - ٢٣٢.

وجاءت الإشارة إلى قرابته ﷺ كما في قوله - تعالى -: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الشورى].(١)

وقال - تعالى -: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر].(٢)

وقال - تعالى -: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾﴾ [النساء].(٣)

وقال - تعالى -: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء].(٤)

وقال - تعالى -: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [الإسراء].(٥)

وقال - تعالى -: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور].(٦)

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٦٦٧ - ١٦٦٩.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٨٤٩، ١٨٥٠.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٤٤٤، ٤٤٦.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٤٧٩ - ٤٨٢.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١١١٥.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٣٢٢.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الروم].(١)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الأنفال].(٢)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ ﴾ [الأحزاب].(٣)

روي عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أخبرني بعمل يدخلني الجنة. فقال ﷺ: ((تعبد الله، ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم)).(٤)

وقد حث ﷺ على صلة الرحم حتى مع جحودهم أحيانًا عن أبى ذر رضي الله عنه قال: ((أوصاني خليلي أن لا تأخذني في الله لومةُ لائم، وأوصاني بصلة الرحم وإن أدبرت)).(٥)

وصلة الرحم من أسباب الرزق. وقد وضع البخاري في صحيحه (باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم)، روى فيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٤٥٤.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٨٥٨، ٨٥٩.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٤٨٢، ١٤٨٣.

(٤) رواه البخاري، في صحيحه، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، ج٢/١٠٩؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإيمان الذي يدخل به الجنة، ج١/٣٣.

(٥) رواه الطبراني في الصغير، ص ٣٩١، ح برقم: ٧٥٨.

رسول الله ﷺ يقول: ((من سره أن يبسط له في رزقه. وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه)).[١] عن عائشة رضي الله عنها. قالت: قال رسول الله ﷺ: ((الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله)).[٢] كما روي عن عبدا لله بن سلام رضي الله عنه قال: (لما قدم النبي ﷺ المدينة، انجفل الناس قِبَلَهُ. وقيل: قد قدم رسول لله ﷺ، قد قدم رسول الله ﷺ، قد قدم ﷺ ثلاثًا، فجئت في الناس لأنظُرَ، فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء سمعتهُ تكلم به أن قال: "يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام").[٣]

وكان أبو سفيان أجاب هرقل حينما سأله ماذا يأمركم؟ قال أبو سفيان: قلت يقول: ((اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة)).[٤]

وصلة الرحم تعجل الثواب، وقطيعتها تعجل العقاب، عن أبي هريرة رضي الله عنه

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم، ج٧/٧٢.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله، ج٢/٧٢ ـ ٧٣؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحمة وتحريم قطيعتها، ج٨/٧.

(٣) انظر: الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، ج٤/٦٥٢، ح برقم: ٢٤٨٥؛ ورواه ابن ماجه في سننه، كتاب الأدب، باب إفشاء السلام، ج٢/ ١٢١٧، ح برقم: ٣٦٩٢؛ ورواه أحمد في سننه، ج٥/٤٥١.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ج١/٤ ـ ٧؛ رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، ج٥/١٦٣ ـ ١٦٦.

قال: قال رسول الله ﷺ: ((ليس شىء أُطِيع الله فيه أعجل ثوابًا من صلة الرحم وليس شيء أعجل عقابًا من البغي وقطيعة الرحم)).(١)

ما من ذنب أجدر أن يعجل الله ـ تعالى ـ لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم.(٢)

من قطع رحمًا أو حلف على يمين فاجرة رأى وباله قبل أن يموت.(٣)

عن أبى هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال ﷺ: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت)).(٤)

وكان ﷺ يَحرَص على صلة الرحم، عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول: ((ولكن لهم رحم أبلها ببلاها يعني أصلها بصلتها)).(٥)

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل].(٦)

---

(١) انظر: البيهقي في السنن الكبرى، ج١٠/٦٢؛ وصححه الألباني في صحيح الجامع، ج٢/٩٥٠.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٤/٨٠ ـ ٨٤.

(٣) انظر: الإمام أحمد في مسنده، ج١/١٩١ ـ ١٩٤، وصححه أحمد شاكر؛ ورواه أبو داود في سننه، كتاب الزكاة، باب في صلة الرحمة، ج٢/١٣٦ ـ ١٣٧، ح برقم: ١٦٩٤.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ج٧/٧٨ ـ ٧٩؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا من الخير وكون ذلك كله من الإيمان، ج١/٤٩ ـ ٥٠.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب يَبُلُّ الرحِمَ ببلالها، ج٧/٧٣.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٠٧٣، ١٠٧٤.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [محمد].(١)

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: (يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون إلي وأحلم عنهم ويجهلون علي، فقال: "لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك").(٢) وقد ثبت أن قاطع الرحم لا يدخل الجنة، ففي الحديث عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((لا يدخل الجنة قاطع)).(٣)

وفي الحديث: ((ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها)).(٤)

كما ورد عنه ﷺ: ((إن أعمال بني آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم)).(٥)

وفي الحديث القدسي. قال الله ـ تعالى ـ: ((أنا خلقت الرحم، وشققت لها اسمًا من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته، ومن بتها بتته)).(٦)

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٧٢١/٢، ١٧٢٢.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحمة وتحريم قطيعتها، ج٨/٨.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، متاب الأدب، باب إثم القاطع، ج٧٢/٧؛ رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والأدب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، ج٧/٧ ـ ٨.
ورواه أحمد في مسنده، ج٨٠/٤ ـ ٨٣.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ليس الواصل بالمكافئ، ج٧٣/٧.

(٥) انظر: الإمام أحمد في سننه ج٤٨٣/٢، ٤٨٤.

(٦) انظر: الإمام أحمد مسنده، ج١٩١/١ ـ ١٩٤؛
وأبو داود في سننه، كتاب الزكاة، باب في صلة الرحمة، ج١٣٦/٢، ح برقم: ١٦٩٤.

أمانته ﷺ:

الأَمَانَةُ مَصْدَرُ قَوْلِهِمْ: أَمُنَ يَأْمُنُ أَمَانَةً، مِنْ مَادَّةِ (أَمَ نَ) وتعني سُكُونِ الْقَلْبِ، وهي من الأمن ضد الخوف، حيث لا خوف من المؤتمن على الأمانة.(١)

وَالأَمَانَةُ: ضِدُّ الْخِيَانَةِ وَيُقَالُ: أَمِنْتُهُ عَلَى كَذَا، وَائْتَمَنْتُهُ بمعنى وثقت به.

والأَمَانَةُ: اسْمٌ لِمَا يُؤْمَنُ عَلَيْهِ الإِنْسَانُ. وتعني الْعَدَالَةُ والقيام بالمسؤولية.

وأداء الواجبات الَّتِي افْتَرَضَهَا اللّهُ عَلَى العبد، والطَّاعَةُ للّه. والقيام بدينه. وجاء الحديث عنها في أكثر من سبع وأربعين آية في كتاب اللّه.(٢)

أداء أَمَانَات الناس كودائع الأَمْوَالِ وَغَيْرِهَا من الحقوق.

وَيُقَالُ: رَجُلٌ أَمِينٌ أو مَأْمُونٌ ثِقَةٌ يؤدي مَا عَلَيْهِ مِنْ حَقٍّ لِغَيْرِهِ. والأَمِينُ هو موضع الثقة والإنصاف يُحِبُّهُ اللّهُ وَيُحِبُّهُ النَّاسُ، والأمانة من أعلى مراتب الأدب.

والأمانة خُلُقٌ ثَابِتٌ فِي البعد عَمَّا لَيْسَ لَهُ بِهِ حَقٌّ، وإِنْ تَهَيَّأَتْ لَهُ ظُرُوفُ أخذه، والأمين هو من يُؤَدِّي مَا عَلَيْهِ أَوْ لَدَيْهِ مِنْ حَقٍّ لِلغَيْرِ وَهِيَ جزء من الاستقامة للمسلم على طاعة اللّه ورضاه. وهي ضِدُّ الْخِيَانَةِ.(٣)

وعُرف رسول اللّه ﷺ بأنه أكثر الخَلق أمانة قبل مبعثه ﷺ وبعده، ولما بلغ ﷺ مبلغ الرجال كان محل ثقة الناس واحترامهم، فلم يُعرف من هو

---

(١) انظر: القاموس المحيط، ص ٢٨.

ابن منظور، لسان العرب، ج١٣/٢٢.

(٢) انظر: أحمد بن عبد العزيز قاسم الحداد، أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة، ج٢/٥٣٢.

(٣) انظر: صالح بن حميد وآخرون، نضرة النعيم، ج٣/٥٠٧.

أصدق منه بمكة، ولا أكثر أمانة منه حتى أنه عرف بالصادق الأمين.(١)

وهناك مواقف متعددة كشفت عن ذلك، فقبل مبعثه ﷺ حينما أعادت قريش بناء الكعبة بعد تهدمها تقاسموا الأركان بينهم. فلما أتموا البناء اختلفوا في وضع الحجر الأسود مكانه، فكل فريق من قريش يريد أن يذهب بفخر وضع الحجر الأسود في مكانه حتى كادوا أن يقتتلوا.

ثم اتفقوا أن يحكِّموا أول داخل للحرم، فكان أول داخل للحرم هو المصطفى ﷺ، فلما رأوه صاحوا جميعا: "هذا الأمين هذا محمد رضينا بالأمين"، وهذه شهادة مباشرة من قومه له قبل مبعثه ﷺ حتى من عاداه بعد ذلك.(٢)

فما كان منه ﷺ إلا أن تصرف بحكمة وأمانة، فوضع رداءه، وحمل الحجر الأسود ووضعه على الرداء، وأمر كل قبيلة أن تأخذ بطرف من أطرافه وحملوه، حتى إذا وازى موضعه في الكعبة وضعه الرسول ﷺ بيده الشريفة، فرضي القوم وطابت نفوسهم.(٣)

كانت أمانته ﷺ لافتة للنظر. وفي قريش من يرغب في تشغيل أمواله ومن يعمل في التجارة بُجعل له نصيب معين، وكانت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها من ثريات قريش، لا تأمن كل أحد أن يتاجر بمالها، حيث يرغب كثير من الرجال في ذلك. فكانت تسأل وتتحسس وتبحث عن أكثر الرجال أمانة ليعمل في مالها، مع وجود الخبرة في هذا المجال. فسمعت بمحمد ﷺ وصدقه وأمانته، فحرصت على أن تستأجره ليعمل في مالها بشيء تجعله له من

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/١٩٧.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/١٩٧.

(٣) مسند الإمام أحمد، ج٣/٤٢٥؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/١٩٧.

الربح، فوافق ﷺ على العمل في مالها.(١)

فسافر ﷺ في تجارتها إلى عدد من الأسواق المجاورة لمكة في بلاد العرب.(٢)

وأرسلت معه ﷺ مولاها ميسرة، وسمعت خديجة رضي الله عنها من مولاها ميسرة ما يؤكد لها صدق الرسول ﷺ وأمانته وجربته وخبرته، فقد كان متسامحاً حسن المعاملة، محافظاً على حقوق الآخرين، فأعجبت خديجة رضي الله عنها بأخلاق النبي ﷺ وأمانته وتقديمه الأدب والأخلاق على المال، وتؤكد الأخبار نمو مال خديجة ببركة النبي ﷺ وعمله لها بأمانة.

ولا شك أن أسفار النبي ﷺ في تجارة خديجة ودخوله أسواق العرب واحتكاكه بالناس وزعماء العرب وأشراف القبائل قد أفاده كثيرًا، وأثبت عمليًا أمانته، ونمّى خبرته ومعرفته بالناس والقبائل والبلدان وأخبارها.(٣)

كما أكد أعداؤه أمانته ﷺ وأمره بها والثقة فيه، وفي حديث أبي سُفْيَانَ أَنَّ هِرَقْلَ قَالَ لَهُ: (سَأَلْتُكَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُ بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالْوَفَاءِ بِالعَهْدِ وَأَدَاءِ الأَمَانَة قَالَ: وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيٍّ).(٤)

وفي رواية أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها مِنْ كَلَامِ جَعْفَر بن أبي طالبٍ فِي مُخَاطَبَةِ النَّجَاشِيِّ. فَقَالَ لَهُ: (أَيُّهَا المَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعبد الأَصْنَامَ،

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها، ج٤/٢٣٠.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ج٤/٢٨٢.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/١٨٧؛ ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١/١٣١.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ج١/٤ ـ ٧.

وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الجِوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولاً مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ. لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الحِجَارَةِ وَالأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ. وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الجِوَارِ، وَالكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ. وَأَمَرَنَا أَنْ نَعبد اللَّهَ وَحْدَهُ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ. قَالَ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الإِسْلاَمِ ـ فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا، وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ ...) الحَدِيثُ.(١)

وحفظ أسرار الناس أمانة، تربى عليها أصحاب النبي ﷺ. عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: (مَرَّ بِيَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ فَسَلَّمَ عَلَيْنَا ثُمَّ دَعَانِي فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ لَهُ، فَجِئْتُ وَقَدْ أَبْطَأْتُ عَنْ أُمِّي، فَقَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟ أَيْنَ كُنْتَ؟ فَقُلْتُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى حَاجَةٍ فَقَالَتْ أَيْ بُنَيَّ وَمَا هِيَ؟ فَقُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ، قَالَتْ: لاَ تُحَدِّثْ بِسِرِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَدًا، ثُمَّ قَالَ: يا ثَابِتُ لَوْ كُنْتُ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا لَحَدَّثْتُكَ يا ثَابِتُ).(٢)

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: ((إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِالْحَدِيثِ ثُمَّ الْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ)).(٣)

---

(١) انظر: أحمد في مسنده، ج١/ ٢٠١ ـ ٢٠٢.

(٢) انظر: أحمد في مسنده، ج٣/ ٢٥٣، وأصل الحديث في الصحيحين. وفيه من رواية، البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب حفظ السر، ج٧/ ١٤٢؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أنس بن مالك رضي الله عنه، ج٧/١٦٠.

(٣) أخرجه أحمد، ج٣/٣٢٤؛ رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في نقل الحديث، ج٤/٢٦٩، ح برقم: ٤٨٦٨؛ رواه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء أن المجالس أمانة، ج٤/٣٤١، ح برقم: ١٩٥٩.

ولعل الأسرار الزوجية بين الزوجين من أهم الأمانات التي نص عليها ﷺ، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: ((إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الأَمَانَةِ عِنْدَ اللّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ: الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا))، وَفِي رِوَايةٍ: ((مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ)).(١)

وَقَالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ رضي الله عنه: (لاَ تَسْتَقِيمُ أَمَانَةُ رَجُلٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، وَلاَ يَسْتَقِيمُ لِسَانُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ).(٢)

وَالْأَمَانَةُ مِنْ أَبْرَزِ أَخْلاَقِ الرُّسُلِ ـ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ـ وهي الأمانة العظمى، حيث حملوا رسالة اللّه لخلقه وأشارت الآيات القرآنية لذلك.

والأمانة صفة مميزة لأنباء اللّه من أصحاب الرسالات، فقد كان كل منهم يقول لقومه: إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ.. قالها نبيُّ اللّه نوح عليه السلام، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ [الشعراء].(٣)

وقالها نبيُّ اللّه هود عليه السلام، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾﴾ [الشعراء].(٤)

ونبيُّ اللّه صالح عليه السلام، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [الشعراء].(٥)

---

(١) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب تحريم إفشاء سر المرأة، ج٤/١٥٧؛ رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في نقل الحديث، ج٤/٢٦٩، ح برقم: ٤٨٧٠.

(٢) رواه أحمد في مسنده، ج٣/١٩٨. بلفظ مختلف وقد خرجه الألباني مرفوعًا في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج٦ ق٢، ص ٨٢٢، ح برقم: ٢٨٤١

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٣٧٧.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٣٧٧.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٣٧٩.

ونبيُّ الله لوط عليه السلام، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾﴾ [الشعراء].(١)

ونبيُّ الله شعيب عليه السلام، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [الشعراء].(٢)

و جبريل عليه السلام، مِن أسمائه: (الرُّوح الأمين). كما قال ـ تعالى ـ: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء].(٣)

ومن أعظم الأمانات التي تحملها ﷺ وأداها أحسن الأداء وأكمله أمانة الوحي والرسالة التي كلفه الله ـ تعالى ـ بتبليغها للناس، فبلَغ ﷺ الرسالة وأحسن البلاغ، وأدى الأمانة فشرح لدعوته صدور المؤمنين، فآمنوا به وصدقوه ونصروه وآزروه، حتى علت كلمة التوحيد لله ﷻ، وانتشر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها.

وفي حجة الوداع قال ﷺ للناس: ((إن الله سألكم عني فماذا أنتم قائلون)) ففرح ﷺ لسماع الله لشهادة الناس بأن رسوله قد بلغ وأدى الأمانة ونصح الأمة، قائلاً ﷺ: ((اللهم فاشهد)). ثم تأتي الآيات لتؤكد كمال الدين وتمام نعمة الله بأداء محمد ﷺ لمهمته وتأديته لرسالته، وتوديعه للناس، وقرب رحيله بعد أدائه للأمانة، وصدّق قول الصحابة (كنا نتحدث بحجة الوداع والنبي ﷺ بين أظهرنا ولا ندرى ما حجة الوداع).(٤)

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٣٨٠/٢.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٣٨٠/٢.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٣٨٢/٢.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، ج١٢٥/٥، ١٢٦.

وما تزال الأمة تشهد له بأداء الأمانة ﷺ، فعند زيارة قبره ﷺ يردد الزائرون فيما تناقلته الأمة بعضها عن بعض: نشهد أنك أديت الرسالة وبلغت الأمانة ونصحت الأمة فجزاك الله عن الإسلام والمسلمين خير ما جزى نبيًا عن أمته.(١)

ومع حفظ الأنبياء لأمانة الوحي والرسالة، فقد أكدوا على الأمانة في حقوق الناس، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأعراف].(٢)

وقال ـ تعالى ـ عن شعيب عليه السلام: ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [هود].(٣)

وأكد على المؤمنين رعاية الأمانة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾﴾ [المؤمنون].(٤)

وعن عموم الأمانات الدينية والدنيوية قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب].(٥)

---

(١) انظر: كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، القسم الرابع (حجة الوداع).

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٧٧١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٩٦٤.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٢٨٩.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٥٢٩.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المعارج].(١)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال].(٢)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء].(٣)

وقد قالَ ﷺ: ((أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ)).(٤)

والإيمان مقرون بالأمانة وقد ورد عنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: مَا خَطَبَنَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِلاَّ قَالَ: ((لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ، وَلاَ دِينَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ لَهُ)).(٥)

وقد حث القرآن الكريم على أداء أمانة المال والحكم، حيث الأمانة تعم جميع وظائف الدين والدنيا حسب ما شرع الله.(٦)

ومن الأمانة أن يؤدي المرء ما عليه على خير وجه، فالعامل يتقن عمله ويؤديه بإجادة وأمانة وإتقان، والمعلم كذلك، والخازن وسائر الوظائف، والطالب يؤدي ما عليه من واجبات، ويجتهد في تحصيل علومه ودراسته، ويخفف عن والديه الأعباء، وهكذا يؤدي كل امرئٍ واجبه بجد وأمانة

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٩١٩/٢.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٨٣٢/١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٤٩٩/١.

(٤) انظر: أبو داود في سننه، كتاب البيوع، باب في الرجل يأخذ حقه من تحت يده، ج٢٨٨/٣، ح برقم: ٣٥٣٤.

(٥) انظر: أحمد في مسنده، ج١٣٥/٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع وزياداته، ج١٢٠٥/٢، ح برقم: ٧١٧٩.

(٦) تفسير القرطبي، ج٢٥٥/١٤.

واجتهاد. عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ((إِنَّ الله يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ)).(١)

وابنة شعيب قالت عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص].(٢)

وقد أعجب ﷺ بأمانة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حين اختبره وهو يرعى الغنم، عَنْ عبد اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: ((كُنْتُ أَرْعَى غَنَمًا لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا غُلَامُ، هَلْ مِنْ لَبَنٍ؟ قَالَ قُلْتُ: نَعَمْ. وَلَكِنِّي مُؤْتَمَنٌ. قَالَ: فَهَلْ مِنْ شَاةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الفَحْلُ؟ فَأَتَيْتُهُ بِشَاةٍ، فَمَسَحَ ضَرْعَهَا، فَنَزَلَ لَبَنٌ، فَحَلَبَهُ فِي إِنَاءٍ، فَشَرِبَ وَسَقَى أَبَا بَكْرٍ. ثُمَّ قَالَ لِلْضَّرْعِ: اقْلِصْ فَقَلَصَ. قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُهُ بَعْدَ هَذَا. فَقُلْتُ: يَارَسُولَ اللّهِ، عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ، قَالَ: فَمَسَحَ رَأْسِي، وَقَالَ: يَرْحَمُكَ اللّهُ، فَإِنَّكَ غُلَيِّمٌ مُعَلَّمٌ)).(٣)

وكل إنسان مسئول عن كل شيء يعتبر أمانة في عنقه، سواء أكان حاكمًا أم حارسًا، أم والدًا أم ابنًا، وسواء أكان رجلاً أم امرأة، فهو راعٍ ومسئول عن رعيته، عَنْ نَافِعٍ عَنْ عبد اللَّهِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((كُلُّكُمْ رَاعٍ فَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالأَمِيرُ الذي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْهُم، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ

---

(١) أخرجه البيهقي فى شعب الإيمان، ج٤/٣٣٤، ح برقم: ٥٣١٢؛ وانظر: الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، ج١/٣٨٣، ح برقم: ١٨٨٠.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٤١٣.

(٣) انظر: أحمد في مسنده، ج١/٣٧٩.

بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِىَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)).(١)

وقد قال ﷺ: ((مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ، إِلاَّ لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ)).(٢)

كما قال ﷺ: ((مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنكُمْ عَلَى عَمَلٍ، فَكَتَمَنَا مِخْيَطًا فَمَا فَوْقَهُ، كَانَ غُلُولاً يأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ أَسْوَدُ مِنَ الأَنْصَارِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ. فَقَالَ: يَارَسُولَ اللَّهِ اقْبَلْ عَنِّي عَمَلَكَ، قَالَ: وَمَا لَكَ؟ قَالَ: سَمِعْتُكَ تَقُولُ: كَذَا وَكَذَا. قَالَ: وَأَنَا أَقُولُهُ الآنَ. مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ فَلْيَجِىء بِقَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ. فَمَا أُوتِيَ مِنْهُ أَخَذَ، وَمَا نُهِيَ عَنْهُ انْتَهَى)).(٣)

وقد غضب ﷺ غضبًا شديدًا حين اتهم في أمانته، وذكر بأمانته العظمى في حمل الرسالة ﷺ، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: ((بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ منَ اليَمَنِ بِذُهَيْبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ لَمْ تُحَصَّلْ مِنْ

---

(١) ورواه البخاري في صحيحه، كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب العبد راعٍ في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه، ج٣/٨٧؛ أَخْرَجَهُ أحمد في مسنده، ج٢/٥؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، ج٦/٧، ٨.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب من استرعى رعية فلم ينصح، ج٨/١٠٧؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، ج٦/٩.

(٣) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال، ج٦/١٢؛ ورواه أبو داود في سننه، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في أرزاق العمال، ج٣/١٣٤، ح برقم: ٢٩٤٣.

تُرابِهَا.[1] قالَ فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعةِ نَفَرٍ: بَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ، وَأَقْرَعَ بْنِ حَابِسٍ، وَزَيْدِ الْخَيْلِ، وَالرَّابِعُ إِمَّا عَلْقَمَةُ وإمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: كُنَّا نَحْنُ أَحَقَّ بِهذَا مِنْ هَؤُلاءِ. فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً؟ ... . فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ! قَالَ: وَيْلَكَ: أَوَلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الأَرْض أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ؟ قَالَ: ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ ...)) الحديث.[2]

ومن الحث على الأمانة في الوظائف والعمالات الشرعية في الدولة الإسلامية، والقدرة على القيام بمسؤولياتها، ما روي عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي. ثُمَّ قَالَ: ((يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ القِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا)).[3]

وأبو ذر رضي الله عنه ليس موضع شك أو تخوين، لكن من الأمانة القيام على المسؤولية بحقها، ولم تكن لتتحقق في أبي ذر رضي الله عنه لمقومات شخصية، وليست أخلاقية، ومن أمانة أبي ذر نقله لما دار بينه وبين رسول الله ﷺ ومن ذلك الحديث عن ضعف أبي ذر نفسه رضي الله عنه.

وقد أشار ﷺ في رواية أخرى إلى عظيم أجر العمال على وظائف الدين والدنيا، ومنها الزكاة، فعَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

---

(١) أديم مقروظ: أي جِلْد مدبوغ بالقَرَظِ وهو شجر معروف في الحجاز يستعمل ثمره للدباغة.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد... إلى اليمن...، ج٥/١١٠ ـ ١١١؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، ج٣/١١٠، ١١١.

(٣) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب كراهية الإمارة بغير ضرورة، ج٦/٦ ـ ٧.

((العَامِلُ عَلَى الصَّدَقَةِ بِالْحقِّ كَالغَازِي فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ)).(١)

روي عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((الخَازِنُ الأَمِينُ الَّذِي يُؤَدِّي مَا أُمِرَ بِهِ طَيِّبَةً نَفْسُهُ أَحَدُ المُتَصَدِّقِينَ)).(٢)

وقد تحدث العلماء عن الأمانة في اختيار عُمّال الدولة. ومنهم ابن تيمية ﷺ الذي بوب في الفصل الأول من كتابه: (السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية) بعنوان: "استعمال الأصلح".(٣) قال فيه: (ويُحَاسب على كل أمر يكلف به ويوكل إليه، بناءً على الحديث: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته").(٤)

وكان الرسول ﷺ يصدر تعليماته المستمرة لولاته على البلدان على ضوء ما يجد من أحداث، ويؤكد عليهم قبل سفرهم لولاياتهم وبعده بأهمية أداء الأمانة وينهاهم عن الخيانة ويأمرهم بالأمانة(٥) ويؤكد عليها.

---

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في السعاية على الصدقة، ج٣/١٣٢، ح برقم: ٢٩٣٦؛ ورواه الترمذي في سننه، كتاب الزكاة، باب ما جاء في العامل على الصدقة بالحق، ج٣/٣٧، ح برقم: ٦٤٥؛ وأخرجه أحمد في مسنده، ج٤/١٤٣.

(٢) البخاري في صحيحه، كتاب الإجارة، باب في الإجارة استئجار الرجل الصالح...، ج٣/٤٧ ـ ٤٨؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب أجر الخازن،الأمين...، ج٣/٩٠.

(٣) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص ٦ ـ ١٣.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب العبد راعٍ في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه، ج٣/٧٨.

(٥) انظر: أبو يوسف، الخراج، ص ١٢١.

كما نقل ابن تيمية ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: ((من استعمل رجلاً على عصابة، أي جعله مسؤولاً على جماعة، وفيهم من هو أرضى لله منه، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين)).(١)

وقد قال رسول الله ﷺ: ((إذا ضُيعت الأمانة فانتظر الساعة)). وهناك حديث طويل يشمل هذه الرواية وغيرها مما يرتبط بالأمانة.

فعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ: ((أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ نَزَلَ الْقُرآنُ، فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرآنِ، وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ، ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الأَمَانَةِ، قَالَ: يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِن قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ، فَنَفِطَ ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا، وَلَيْسَ فَيهِ شَيْءٌ. (ثُمَّ أَخَذَ حَصًى فَدَحْرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ) فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، لاَ يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ، حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلاَنٍ رَجُلاً أَمِينًا...)) الحديث.(٢)

وقد استشهد شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى بجزء من الحديث، حيث قال: فصل: فأما أداء الأمانات ففيه نوعان: أحدهما: الولايات. فيجب على ولي الأمر أن يولي على كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجده لذلك العمل، قال النبي ﷺ: ((من ولي من أمر المسلمين شيئًا فولى رجلاً وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه، فقد خان الله ورسوله)) وفي رواية: ((من ولَّى

---

(١) الحديث رواه الحاكم في المستدرك، ج٤/١٠٤؛ والطبراني في المعجم الكبير، ج١١/١١٤؛ وانظر: ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص ٦.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ج٥/٣٨٣؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب وعرض الفتن على القلوب، ج١/٨٨؛ ورواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، ج٧/١٨٨.

رجلاً على عصابة وهو يجد في تلك العصابة من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله وخان المؤمنين)).(١)

وعلق ابن تيمية في موضع آخر على الروايات التي اختصرها بقوله: ((فيجب على ولي الأمر أن يولّي على كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجده لذلك العمل)).(٢)

وأكد القرآن الكريم على أهمية أن يأمن الناس على أموالهم، ويتخذوا الأسباب المؤدية لذلك من الرهن أو الكتابة. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾﴾ [البقرة].(٣)

والأمانة على أموال اليتامى نصت عليها الآيات الكريمة؛ لما فيهم من ضعف، وعدم قدرة على استخلاص حقوقهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء].(٤)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج ٢٤٧/٨.

(٢) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص ٦.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٣٤٤/١.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١١١٧/٢.

كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [الأنعام].(١)

وأموال عامة الناس فيها قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الإسراء].(٢)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ ﴾ [الشعراء].(٣)

والوفاء بالعهد يعد من الأمانة، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [النحل].(٤)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾ [البقرة].(٥)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ ﴾ [المائدة].(٦)

وكان ﷺ يقص من أحوال الأمم الماضية ما يدل على الحرص على الأمانة ونتائج حفظها. ومن ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((اشترى رجل مِن رجل عقارًا له فوجد الرَّجل الذي اشترى العقار في عقاره

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٧٣٤.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١١١٧.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٣٨١.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٠٧٤.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/١٢١.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٥٦٩.

جرَّةً فيها ذهبٌ، فقال له الذي اشترى العقار: خذ ذهبك منِّى؛ إنَّما اشتريت منك الأرض ولم أبتع منك الذَّهب. فقال الذي شرى الأرض: إنَّما بعتك الأرض وما فيها. قال: فتحاكما إلى رجل، فقال الذي تحاكما إليه: ألكما ولدٌ؟ فقال: أحدهما لي غلامٌ، وقال الآخر: لي جارية. قال أنكحوا الغلام الجارية، وأنفقوا على أنفسكما منه وتصدَّقا)).[١]

ومن الأمانة حفظ الودائع وأداؤها لأصحابها عندما يطلبونها كما هي، مثلما فعل الرسول ﷺ مع المشركين، فقد كانوا يتركون ودائعهم عند الرسول ﷺ ليحفظها لهم، ولذا فقد حثنا ﷺ على رد الودائع إلى أصحابها، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّاهَا اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ ﷻ)).[٢]

كان ﷺ بنفسه أحرص النَّاس على أداء الأمانات والودائع للنَّاس وقد تأخر علي ﷺ عن الهجرة قليلاً بأمره ﷺ، يؤدي الأمانات والودائع التي كانت عند رسول الله ﷺ لقريش، بمن فيهم المشركون، وكان علي ﷺ أهلاً لأداء الأمانة ومحل ثقة رسول الله ﷺ،[٣] والمؤمنين والناس جميعًا.

وقد بقي علي ﷺ ثلاثة أيام بعد رسول الله ﷺ في مكة أدى فيها الأمانات ثم لحق برسول الله ﷺ في المدينة.[٤]

---

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، ج٤/١٥٠؛ رواه مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب استحباب إصلاح الحاكم بين الخصمين، ج٥/١٣٣.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها، ج٣/٨٢؛ وأخرجه أحمد في مسنده، ج٢/٤١٧.

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٨٢.

(٤) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤٩٣.

وقد حرمت عليه ﷺ الصدقة. وكان مؤتمنًا عليها ويعف عنها، ومن حرصه ﷺ ما روى أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: ((وَاللَّهِ إِنِّي لأَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِي فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَى فِرَاشِي - أَوْ فِي بَيْتِي - فَأَرْفَعُهَا لآكُلَهَا، ثُمَّ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً - أَوْ مِنَ الصَّدَقَةِ - فَأُلْقِيهَا)).(١)

ومن الأمانة في العبادة أن يلتزم المسلم بالتكاليف، فيؤدي ما عليه من فرائض بكل أمانة. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ ذَكَرَ الصَّلاَةَ يَوْمًا، فَقَالَ: ((مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا، وَبُرْهَانًا، وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ، وَلاَ بُرْهَانٌ، وَلاَ نَجَاةٌ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَونَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ)).(٢)

وهناك أحاديث كثيرة تتعلق بأمانة الصوم وأمانة الزكاة، وغيرها من العبادات، أوردناها في قسم (عبادته ﷺ) من هذه الموسوعة.(٣)

وجَاءَ فِي الحَدِيثِ قوله ﷺ: ((الْمُؤَذِّنُ مُؤْتَمَنٌ))،(٤) أي على الوقت ودقته وتتبعه.

ومن الأمانة حفظ الجوارح التي أنعم الله بها على الإنسان، عنما يغضب الله، فالجوارح والأعضاء كلها نعم من الله وأمانات، يجب أن يحافظ عليها الإنسان، ولا يستعملها فيما يغضب الله - سبحانه -، فالعين أمانة يجب عليه

---

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب اللقطة، باب إذا وجد تمرة في الطريق، ج٣/٩٤؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ وعلى آله وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون غيرهم، ج٣/١١٧.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ج٢/١٦٩؛ ورواه رالدارمي في سننه، كتاب الرقاق، باب المحافظة على الصلاة، ج٢/٣٠١ - ٣٠٢.

(٣) انظر الجزء الثالث من هذه الموسوعة.

(٤) رواه أحمد في مسنده، ج٥/٢٦٠.

أن يغضها عن الحرام، والأذن أمانة يجب عليه أن يجنِّبَها سماع الحرام، واليد أمانة، والرِّجل أمانة... وهكذا.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء].[1]

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: ((من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب في أُذنيه الآنك يوم القيامة)).[2]

وفي الحديث القدسي الصحيح: ((فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها)). وجاء في رواية أخرى يقول ـ سبحانه ـ: ((فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي)) ومعنى ذلك أن الله يوفقه ويسدده في أعماله، استعمال تلك الجوارح. فيما يرضيه ﷻ قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الملك][3] وقال ـ تعالى ـ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق].[4]

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١١١٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب من كذب في حُلمه، ج٨/٨٣؛ ورواه الدارمي في سننه، كتاب الرقائق، ج٢/٢٩٨، ح برقم: ٦٥٢٠: والآنك: هو الرصاص المذاب على النار.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٩٠٠.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٧٥٦.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٢٠ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖۚ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٢١﴾ [فصلت].[١]

كما أن العفة وحفظ الفرج أمانة، فكان ﷺ يأمر بما يعين على حفظ الإنسان من الوقوع في المعصية. وقد قال ﷺ: ((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج...)).[٢]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: ((الْعَيْنُ تَزْنِي، وَالْقَلْبُ يَزْنِي، فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا الْقَلْبِ التَّمَنِّي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ مَا هُنَالِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ)).[٣]

ولا شك أن الزِّنَا يَسْلُبُ الزَّانِي أَحْسَنَ الأَسْمَاءِ، وَهِيَ الْعِفَّةُ وَالْبِرُّ وَالأَمَانَةُ، وَيُعْطِيهِ أَضْدَادَهَا كَالْفَاجِرِ وَالْفَاسِقِ وَالزَّانِي والْخَائِنِ.[٤]

والقلب أهم الجوارح كلها، فلا تنفع الأعمال الظاهرة إلا بصلاح النية والقصد باطنًا، فإذا صلح القلب صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله. قال ـ تعالى ـ: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ۝١٩﴾ [غافر].[٥]

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٦٥٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب قول النبي ﷺ من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ج٦/ ١١٧؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، ج٤/١٢٨ ـ ١٢٩.

(٣) أخرجه أحمد، ج٢/٣٢٩.

(٤) انظر: صالح بن حميد وآخرين، نضرة النعيم، ج١٠/٤٥٦٩.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٦٣٨.

وفي الحديث: ((.. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت)).[١]

وقد قال رسول الله ﷺ: ((ثلاثة لا ترى أعينهم النار: عين حرست في سبيل الله، وعين بكت من خشية الله، وعين كفت عن محارم الله)).[٢]

وقد قال ﷺ: ((يا علي لا تتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى وليست لك الآخرة)).[٣]

فقد قال ـ سبحانه ـ في صفات عباده المؤمنين مما يمكن أن يدخل ضمن الأمانة قال ﷻ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص].[٤]

وقال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾ [الحج].[٥]

---

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره، ج٧/٧٨، ٧٩.

(٢) رواه أحمد في مسنده، ج٥/٣٥٧؛ انظر: الترمذي في سننه، كتاب الأدب، باب ما جاء في نظرة المفاجأة، ج٥/١٠١، ح برقم: ٢٧٧٧، وجزء منه في كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله...، ج٤/ ١٧٤، ح برقم: ١٦٣٩؛ ورواه أبو داود في سننه، كتاب النكاح، باب ما يؤمر به من غض البصر، ج٢/٢٥٢، ح برقم: ٢١٤٩.

(٣) رواه أبو داود في سننه، كتاب النكاح، باب ما يؤمر به من غض البصر، ص٣٧٣، ح رقم ٢١٤٩)؛ والترمذي في سننه، كتاب الأدب، باب ما جاء في نظرة الفجأة، ج٥/١٠١، ح رقم ٢٧٧٧؛ ورواه وأحمد في مسنده، ج٥/٣٥٧.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٤٢٠.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٢٧٢.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الفرقان].(١)

قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [المؤمنون].(٢)

وقوله ـ سبحانه ـ: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الفرقان](٣) أي لا يحضرون مجالس الكذب والزور والبهتان قال ﷺ: ((مَنْ يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة)).(٤)

عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: ((لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ، مَكَّةَ أَمَّنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ منهم َعبد اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِى السَّرْحِ. فاخْتَبَأَ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عفَّانَ رضي الله عنه، فَلَمَّا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ، جَاءَ بِهِ عثمان، حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى النَّبِىِّ ﷺ. قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَايِعْ عبد اللَّهِ. قَالَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثَلاثًا، كُلُّ ذَلِكَ يَأْبَى، فَبَايَعَهُ بَعْدَ ثَلاثٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ، يَقُومُ إِلَى هَذَا حَيْثُ رَآنِى كَفَفْتُ يَدِى عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَقْتُلُهُ؟ فَقَالُوا: وَمَا يُدْرِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا فِي نَفْسِكَ، هَلاَّ أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ. قَالَ: إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِى لِنَبِىٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ أَعْيُنٍ)).(٥)

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٣٦٧.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٢٨٩.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٣٦٧.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب، الرقاق، باب حفظ اللسان، ج ٧/١٨٤.

(٥) انظر: أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب قتل الأسير ولا يعرض عليه الإسلام، ج٣/٥٩، ح برقم: ٢٦٨٣؛ ورواه في كتاب الحدود، باب الحكم فيمن ارتد، ج٤/١٢٦، ح برقم: ٤٣٥٩؛ رواه النسائي في سننه، كتاب تحريم الدم، باب الحكم في المرتد، ج٧/١٠٥، ١٠٦؛ الألباني في السلسلة الصحيحة، ج٤/٣٠٠؛
وانظر: كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، القسم الثالث.

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((ثَلاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كُنْتُ خَصْمَهُ خَصَمْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ، وَلَمْ يُوفِهِ أَجْرَهُ)).(١)

والأمانة تكون في البيع والشراء: فالمسلم لا يغِشُّ أحدًا، ولا يغدر به ولا يخونه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: ((أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِرَجُلٍ يَبِيعُ طَعَامًا فَأَعْجَبَهُ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهِ، فَإِذَا هُوَ طَعَامٌ مَبْلُولٌ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَيْسَ مِنَّا مَنْ غَشَّنَا)).

وفي رواية: ((فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَ، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً، فَقَالَ: مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟ قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَفَلاَ جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ؟ مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي)).(٢)

وقد نزلت سورة كاملة في التطفيف وتعالج قلة الأمانة وخيانة الناس في الموازين. ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ① ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ② وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ③﴾ [المطففين].(٣)

والأمانة في الكلام أن يلتزم المسلم بالكلمة الصحيحة الجادة والشهادة الصحيحة، فيعرف قدر الكلمة وأهميتها.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ عز وجل، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب إثم من باع حرًا...، ج٢/٤١؛ وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، ج٢/٣٥٨.

(٢) انظر: أحمد في مسنده، ج٢/٢٤٢، ٤١٧؛ رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ من غشنا فليس منا، ج١/٦٩؛ والترمذي في سننه، كتاب البيوع، باب ما جاء في كراهية الغش في البيوع، ج٣/٦٠٦، ح برقم: ١٣١٥.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٩٧١.

بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ)).(١)

عَنْ عبد اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: ((أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ، حَتَّى يَدعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ)).(٢)

كما أن من الأمانة حفظ أسرار المستشير، فقد ورد في الحديث النبوي عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما قَالاَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ)).(٣)

كما أن الزوجات أمانة عند رجالهن يجب أداء حقوقهن وحفظهن.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عبد اللَّهِ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ فَكَانَ مِمَّا قَالَ: ((اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ؛ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ. وَإِنَّ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ ...)) الحديث.(٤)

وعنْ عبد اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((كَيْفَ بِكُمْ وَبِزَمَانٍ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ يُغَرْبَلُ النَّاسُ فِيهِ غَرْبَلَةً، ثُمَّ تَبقَى حُثَالَةٌ مِنَ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، ج٧/١٨٤، ١٨٥.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، ج١/١٤؛ رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، ج١/٥٦؛ رواه أحمد في مسنده، ج٢/١٨٩، ١٩٨؛ أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ج٢/٣٣٤.

(٣) انظر: الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ، ج٤/٥٨٣ ـ ٥٨٥؛ ورواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في المشورة، ج٤/٣٣٥، ح برقم: ٥١٢٨، وقال محقق جامع الأصول (٢/١): حديث حسن.

(٤) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، ج٤/٣٨ ـ ٤٣.

النَّاسِ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ، فَاخْتَلَفُوا هَكَذَا - وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ - قَالُوا: كَيْفَ بِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا كَانَ ذَلِكَ؟ قَالَ: تَأْخُذُونَ بِمَا تَعْرِفُونَ، وَتَدَعُونَ مَا تُنْكِرُونَ، وَتُقْبِلُون عَلَى خَاصَّتِكُمْ، وَتَذَرُونَ أَمْرَ عَوَامِّكُمْ)).(١)

وكان ﷺ يحذر من ضياع الأمانة، ويتحدث عن المستقبل وتضييع الأمانة فيه، وأن ذلك من علامات الساعة. ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: ((بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ. فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ. حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: أَيْنَ أُرَاهُ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟]. قَالَ: هَا أَنَا يَارَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ. قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ)).(٢)

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم أهل أمانة، وأشهرهم بها أبو عبيدة بن الجراح، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ، وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ)).(٣) ولا شك أن هذا الوسام الذي حظي به أبو عبيدة، أصبح معروفًا به في الأمة إلى يوم القيامة، كل يحاول أن يحذو حذوه رضي الله عنه.

---

(١) رواه أحمد في مسنده، ج٢/٢١٢، ٢٢٠، ٢٢١؛
انظر: ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب التثبت في الفتن، ج٢/١٣٠٧، ح برقم: ٣٩٥٧؛ ورواه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، ج٤/١٢١ - ١٢٢، ح برقم: ٤٣٤٢، ٤٣٤٣؛ والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحه، ج١/٤١٥.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من سُئل علمًا وهو مشتغل في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل، ج١/٢١.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، ج٥/١٢٠؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، ج٧/٢٩.

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لأَهْلِ نَجْرَانَ: ((لأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلاً أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ. فَاسْتَشْرَفَ لَهَا أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ)).(١)

كما أثنى ﷺ على بعض القبائل كما قال: ((الْمُلْكُ فِي قُرَيْشٍ وَالْقَضَاءُ فِي الأَنْصَارِ، وَالأَذَانُ فِي الحَبَشَةِ، وَالأَمَانَةُ فِي الأَزْدِ يَعْنِي اليَمَنَ)).(٢)

وفي وصف المسلم بصفات خيرة وردت الأمانة معها، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ. وَالمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ)).(٣)

وكان من دعائه ﷺ لأصحابة استيداع الله أمانتهم، عَنْ عبد اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُوَدِّعُنَا: ((أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ)).(٤)

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: ((الْقُرْآنُ أَمِينٌ عَلَى كُلِّ كِتَابٍ قَبْلَهُ)).(٥)

---

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، ج٥/١٢٠؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، ج٧/٢٩.

(٢) انظر: الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب في فضل اليمن، ج٥/٧٢٧، ح برقم: ٣٩٣٦؛ ورواه أحمد في مسنده، ج٢/٣٦٤.

(٣) انظر: الترمذي في سننه، كتاب الإيمان، باب ما جاء في أن المسلم مَن سلم المسلمون من لسانه ويده، ج٥/١٧، ح برقم: ٢٦٢٧. وقال: هذا حديث حسن صحيح؛ ورواه النسائي في سننه، ج٨/٤، ٥.

(٤) انظر: الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا ودّع إنسانًا، ج٥/٤٩٩، ح برقم: ٣٤٤٣؛ ورواه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في الدعاء عند الوداع، ج٣/٣٤، ح برقم: ٢٦٠٠.

(٥) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزول النوحي وأول ما نزل، ج٦/٩٦.

وأداء الأمانة ومنها قضاء الدين وأداء حقوق الناس وأماناتهم مقدم على الوصية وفعل الخير، ولعل في قصة الزبير بن العوام ﵁ درسًا في هذا الجانب.

عَنْ عبد اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ﵄ قَالَ: (لَمَّا وَقَفَ الزُّبَيْرُ يَوْمَ الجَمَلِ دَعَانِي فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ لاَ يُقْتَلُ اليَوْمَ إلاَّ ظَالِمٌ أو مَظْلُومٌ، وَإِنِّي لاَ أُرَانِي إلاَّ سَأُقْتَلُ الْيَوْمَ مَظْلُومًا، وَإِنَّ مِنْ أَكْبَرِ هَمِّي لَدَيْنِي، أَفَتُرَى يُبْقِي دَيْنُنَا مِنْ مَالِنَا شَيْئًا؟ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ بِعْ مَالَنَا، فاقْضِ دَيْنِي. وأَوْصَى بِالثُّلُثِ، وثُلُثِهِ لِبَنِيهِ - يَعْنِي بَنِي عبد اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، يَقُولُ: ثُلُثُ الثُّلُثِ - فَإِنْ فَضَلَ مِنْ مَالِنَا فَضْلٌ بَعْدَ قَضَاءِ الدَّيْنِ فَثُلُثُه لوَلَدِك. قَالَ هشامٌ: وَكَانَ بَعْضُ وَلَدِ عبد اللَّهِ قَدْ وَازَى بَعْضَ بَنِي الزُّبَيْرِ - خُبَيبٌ وعَبَّادٌ - ولَهُ يَوْمَئِذٍ تِسْعَةُ بَنِينَ وَتِسْعُ بَنَاتٍ. قَالَ عبداللَّهِ: فَجَعَلَ يُوصِينِي بِدَيْنِهِ وَيَقُولُ: يَا بُنَيَّ إِنْ عَجَزْتَ عَنْ شَيْءٍ منه فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ مَوْلاَيَ. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا دَرَيْتُ مَا أَرَادَ حَتَّى قُلْتُ: يَا أَبَتِ مَنْ مَوْلاَكَ؟ قَالَ: اللَّهُ. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا وَقَعْتُ فِي كُرْبَةٍ مِنْ دَيْنِهِ إلاَّ قُلْتُ: يَامَوْلَى الزُّبَيْرِ اقْضِ عَنْهُ دَيْنَهُ، فَيَقْضِيهِ. فَقُتِلَ الزُّبَيْرُ ﵁ وَلَمْ يَدَعْ دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا، إلاَّ أَرَضِينَ مِنْهَا الْغَابَةُ، وَإِحْدَى عَشْرَةَ دَارًا بِالْمَدِينَةِ، وَدَارَيْنِ بِالْبَصْرَةِ، وَدَارًا بَالكُوفَةِ، وَدارًا بِمِصْرَ. قَالَ: وَإِنَّمَا كَانَ دَيْنُهُ الَّذِي عَلَيْهِ أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَأْتِيهِ بِالْمَالِ فَيَسْتَوْدِعُهُ إِيَّاهُ، فَيَقُولُ الزُّبَيْرُ: لاَ، وَلَكِنَّهُ سَلَفٌ، فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْهِ الضَّيْعَةَ. وَمَا وَلِيَ إِمَارَةً قَطُّ وَلاَ جِبَايَةَ خَرَاجٍ وَلاَ شَيْئًا إِلاَّ أَنْ يَكُونَ فِي غَزْوَةٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ مَعَ أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وَعُثْمَانَ ﵃ قَالَ عبد اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فَحَسَبْتُ مَا عَلَيْهِ مِنَ الدَّيْنِ فَوَجَدْتُهُ أَلْفَيْ أَلْفٍ وَمِائَتَيْ أَلْفٍ، قَالَ: فَلَقِيَ حَكِيمُ بْنَ حِزَامٍ عبد اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ . فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي: كَمْ عَلَى أَخِي مِنَ الدَّيْنِ؟ فَكَتَمَهُ فَقَالَ: مِائَةُ أَلْفٍ. فَقَالَ حَكِيمٌ: وَاللَّهِ مَا أَرَى أَمْوَالَكُمْ تَسَعُ لِهَذِهِ.

فَقَالَ لهُ عبد اللَّهِ: أَرَأَيْتَكَ إِنْ كَانَتْ أَلْفَيْ أَلْفٍ وَمِائَتَيْ أَلْفٍ؟ قَالَ: مَا أَرَاكُمْ تُطِيقُونَ هَذَا، فَإِنْ عَجَزْتُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَاسْتَعِينُوا بِي. قَالَ: وَكَانَ الزُّبَيْرُ اشْتَرَى الْغَابَةَ بِسَبْعِينَ ومِائَةِ أَلْفٍ. فَبَاعَهَا عبد اللَّهِ بِأَلْفِ أَلْفٍ وسِتِّمِائَةِ أَلْفٍ. ثُمَّ قَامَ فقَالَ: مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ حَقٌّ فَلْيُوَافِنَا بِالْغَابَةِ. فَأَتَاهُ عبد اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ ـ وَكَانَ لَهُ عَلَى الزُّبيْرِ أَرْبَعمِائَةِ أَلْف ـ فَقَالَ لِعبد اللَّهِ: إِنْ شِئْتُم تَرَكْتُهَا لَكُمْ. قَالَ عبد اللَّهِ: لاَ. قَالَ: فَإِنْ شِئْتُم جَعَلْتُمُوهَا فِيمَا تُؤَخِّرُونَ إِنْ أَخَّرْتُمْ، فَقَالَ عبد اللَّهِ: لاَ. قَالَ: قَالَ: فَاقْطَعُوا لِيقِطْعَةً. قَالَ عبد اللَّهِ: لَكَ مِنْ هَاهُنَا إِلَى هَاهُنَا. قَالَ: فَبَاعَ مِنْهَا فَقَضَى دَيْنَهُ فَأَوْفَاهُ، وبَقِيَ مِنْهَا أَرْبَعَةُ أَسْهُمٍ وَنِصْفٌ، فَقَدِمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه وَعِنْدَهُ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ والْمُنذِرُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَابْنُ زَمْعَةَ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: كَمْ قُوِّمَتِ الغَابَةُ؟ قَالَ: كُلُّ سَهْمٍ مِائَةُ أَلْفٍ، قَالَ: كَمْ بَقِيَ؟ قَالَ: أَرْبَعَةُ أَسْهُمٍ وَنِصْفٌ. فَقَالَ الْمُنْذِرُ بْنُ الزُّبيْرِ: قد أَخَذْتُ سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ. وَقَالَ عمْرُو بْنُ عُثْمَانَ: قَدْ أَخَذْتُ سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ. وَقَالَ ابْنُ زَمْعَةَ: قَدْ أَخَذْتُ سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ. فَقَالَ مُعاوِيَةُ كَمْ بَقِيَ؟ فَقَالَ: سَهْمٌ وَنِصْفٌ. قَالَ: أَخَذْتُهُ بِخَمْسِينَ وَمِائَةِ أَلْفٍ. قَالَ: وَبَاعَ عبد اللَّهِ بْنُ جعْفَرٍ رضي الله عنه نَصِيبَهُ مِنْ مُعَاوِيَةَ بِسِتِّمِائَةِ أَلْفٍ. فَلَمَّا فَرَغَ ابْنُ الزُّبَيْرِ مِنْ قَضَاءِ دَيْنِهِ قَالَ بَنُو الزُّبَيْرِ: اقْسِمْ بَيْنَنَا مِيرَاثَنَا. قَالَ: لاَ واللَّهِ لاَ أَقْسِمُ بَيْنَكُمْ حَتَّى أُنَادِيَ بِالْمَوْسِمِ أَرْبَعَ سِنِينَ: أَلاَ مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا فَلْنَقْضِهِ. قَالَ: فَجعَلَ كُلَّ سَنَةٍ يُنَادِي بِالْمَوْسِمِ. فَلَمَّا مَضَى أَرْبَعُ سِنِينَ قَسَمَ بَيْنَهُمْ. قَالَ: وكَانَ لِلزُّبَيْرِ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ، وَرَفَعَ الثُّلُثَ فَأَصَابَ كُلَّ امْرَأَةٍ أَلْفُ أَلْفٍ وَمِائَتَا أَلْفٍ).(١)

---

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب فرض الخمس، باب بركة الغازي في ماله حيًّا وميتًا مع النبي ﷺ وولاة الأمر، ج٤/٥٢ ـ ٥٣.

وقد قَالَ البُخَارِيُّ رحمه الله: ((فَأَدَاءُ الأَمَانَةِ أَحَقُّ مِنْ تَطَوُّعِ الوَصِيَّةِ)).[١]

وقد قال ﷺ: ((لو أن لي بعددِ شجرِ تِهامةَ نَعَمًا لقَسَمْتُه عليكم، ثم لا تَلْقَوْنِي بخيلاً ولا جَبانًا ولا كَذُوبًا، يا أَيُّها الناسُ! ليس لي من هذا الفَيْءِ شيءٌ ولا هذه الوَبَرةِ إلا الخُمُسَ، والخُمُسُ مردودٌ فيكم، فأَدُّوا الخِيَاطَ والمَخِيطَ، فإنَّ الغُلولَ يكونُ على أهلِه عارًا ونارًا وشَنارًا يومَ القيامةِ)).[٢]

والخيانة والغدر ضد الأمانة. والحديث عنها يطول وقد ذُكرت في كتاب الله ﷻ في مواضع عدة، منها الخيانة لله ورسوله ﷺ كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧﴾ [الأنفال].[٣]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩﴾ [غافر].[٤]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣﴾ [المائدة].[٥]

---

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب تأويل قول الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، ج١٨٩/٣. (قَالَ البُخَارِيُّ فَأَدَاءُ الأَمَانَةِ أَحَقُّ مِنْ تَطَوُّعِ الوَصِيَّةِ).

(٢) انظر: أبو داود في داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في فداء الأسير بالمال، ج٦٢/٣، ح برقم: ٢٦٩٤؛ رواه النسائي في سننه، كتاب قسم الفيء، ج١٣١/٧، ١٣٢؛ ورواه أحمد في مسنده، ج١٨٤/٢.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٨٣٢/١.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٦٣٨/٢.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٥٩٥/١.

قال - تعالى -: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأنفال].[١]

وقال - تعالى -: ﴿ وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنفال].[٢]

وكان من دعائه ﷺ: ((اللهم طهر قلبي من النفاق وعملي من الرياء ولساني من الكذب وعيني من الخيانة فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور)).[٣]

وعلى لسان امرأة العزيز قال - تعالى -: ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [يوسف].[٤]

* * * * *

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٨٥٠.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٨٥٥.

(٣) أخرجه أو نعيم في معرفة الصحابة، ج٢٤/٣٨٥، ح برقم: ٧٣٩٦.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٩٨٦.

الصدق:

الصدق: مصدر صدق يصدق صدقًا. وتدل على قوة في الشيء قولاً وفعلاً، وهو خلاف الكذب وأصل الصدق، الصلابة، ورمح صدق أي صلب، والصدق دليل القوة وثقة بالنفس. لها تأثير في الآخرين، وكلام صدق، أي حقيقي ولا مراء فيه، والصادق هو البالغ في الصدق ومن يقول الصدق.(١)

وصح عن النبي ﷺ قال: ((إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا)).(٢)

والصدق من صفات الله ـ سبحانه ـ فكل ما جاء عنه فهو حق وصدق. والصدق هو الحق وما ينتج عنه كما في قوله ﷻ: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ۝٢﴾ [يونس].(٣)

قال ـ تعالى ـ وهو أصدق القائلين ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ۝١٢٢﴾ [النساء].(٤)

---

(١) انظر: ابن منظور لسان العرب، ج١٠/١٩٣.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ وما يُنهى عن الكذب، ج٧/٩٥.

ورواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، ج٨/٢٩، ح برقم: ٢٦٠٧.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٩٢٢.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٥٣٣.

في قول أصدق القائلين: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾ [النساء].[1]

والله صادق في وعده. لنبيه ﷺ قال ـ تعالى ـ: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا ٢٧﴾ [الفتح].[2]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٩﴾ [الأنبياء].[3]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٥﴾ [آل عمران].[4]

الصديقون هم أهل الصدق الذين أنعم الله عليهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء][5] والصديقون جمع صديق، وهو المبالغ في الصدق أو التصديق أو هو الذي يحقق بفعله ما يقوله بلسانه، وقيل: هم فضلاء أتباع الأنبياء الذين يسبقون إلى تصديقهم كأبي بكر الصديق رضي الله عنه. أما الصادقون الذين أمرنا المولى بأن نكون معهم في قوله ـ سبحانه ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٥١١.
(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٧٣٨.
(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٢٣٣.
(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٣٨٠.
(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٥٠٦.

[التوبة](١) فالمراد بهم الذين صدقوا قولاً وعملاً، وهم الذين خرجوا مع النبي ﷺ في غزوة تبوك وآمنوا به ونصروه، لا مع المنافقين المتخلفين حيث تستكمل الآيات المعنى في قوله - تعالى -: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [التوبة].(٢)

حيث حدث منهم التصديق أكثر من مرة. وأشارت الآيات لما حدث منهم في غزوة الأحزاب. وهذا لايعني التوقف عند هذه المجموعة من الصحابة رضي الله عنهم.

وقال - تعالى -: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].(٣)

وقال - تعالى -: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب].(٤)

والصدق يكون مقرونًا بالعلم وينطلق منه قال - تعالى -: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة].(٥)

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٩١٦.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٨٨٤.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٤٨٧.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٤٨٧.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/١٠٩ - ١١٢.

كما ورد الحديث عن الصدق والمصدق في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالَّذِى جَآءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الزمر].(١) والمراد بمن جاء بالصدق هو رسول الله ﷺ، وقيل: جبريل عليه السلام. أما الذي جاء به فهو محمد ﷺ جاء بالصدق أي جاء بـ(لا إله إلا الله)، وهو ما تشير الآية الكريمة من صدق موعود الله.

لما بلغ الرسول ﷺ مبلغ الرجال كان محل ثقة الناس واحترامهم، فلم يعرف من هو أصدق منه بمكة ولا أكثر أمانة منه، حتى أنه عرف بالصادق الأمين.(٢)

سمعت خديجة رضي الله عنها من مولاها ميسرة ما يؤكد لها صدق الرسول ﷺ وأمانته ـ كما مر ـ في الأمانة وجربته وخبرته، فقد كان متسامحًا حسن المعاملة، صادقًا في كل شيء محافظًا على حقوق الآخرين، فأعجبت خديجة رضي الله عنها بأخلاق النبي ﷺ وأمانته وتقديمه الأدب والأخلاق على المال، وتؤكد الأخبار نمو مال خديجة ببركة النبي ﷺ وعمله لها بأمانة.

ولا شك أن الله سبحانه وتعالى قد هيأ لنبيه الخير، واصطفى له المرأة الصالحة التي رغبت في الزواج منه بمبادرة منها، وبحكمة إلهية.

و بكل أدب بعثت إليه من صويحباتها من تفاتحه في ذلك وتلمح له في الأمر، ففاتحته وبينت له رغبة خديجة في الزواج منه، مع شرفها ومكانتها في النسب، وأن رغبتها منه لحسن خلقه وصدق حديثه.(٣)

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٦٢٠.

(٢) انظر: موضوع أمانته ﷺ من هذا الكتاب.

(٣) انظر: ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١/١٣٢.

ثم كان من هذه الإرهاصات الرؤيا الصالحة كما ورد في حديث عائشة رضي الله عنها: ((إن أول ما بدأ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح)).(١)

وأول من أسلم وآمن برسول الله ﷺ وصدقه من الرجال أبو بكر الصديق رضي الله عنه،(٢) وهو صاحب رسول الله ﷺ منذ وقت مبكر، ربطتهما علاقة خاصة، عرف كل منهما صدق الآخر وجربه وعرف أمانته.(٣)

وبعد مضي ما يقرب الثلاث سنوات من الدعوة إلى الإسلام وانتشاره بين بطون قريش وشدة تكتم المسلمين حتى أن بعضهم لا يعرف بعضًا(٤) نزل عليه ﷺ قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ [الشعراء]،(٥) جاء أمر الله ـ تعالى ـ لنبيه ﷺ بإظهار دعوته وإنذار قومه في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [الحجر].(٦)

فخرج رسول الله ﷺ إلى الحرم وهو منطقة فضاء، وصعد على الصفا حيث ارتفع على الصخرة وأشرف على المكان، وأخذ ينادي الناس

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب التعبير وأول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة، ج٨/٦٧؛ وابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٢٣٤.

(٢) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٣٠.

(٣) انظر: رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضائل أبي بكر بعد النبي ﷺ وباب قول النبي ﷺ لو كنت متخذًا خليلاً، ج٤/١٩١.

(٤) انظر: أكرم العُمري، السيرة النبوية الصحيحة، ج١/١٤٠.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير، ج٢/١٣٨٥.

(٦) انظر: تفسير ابن كثير، ج١/١٠٥٣.

(واصباحاه).[١] وكان هذا الأسلوب متبعًا عند العرب للدعوة للاجتماع والاستماع لمتحدث في أمر هام وخطير عند الإحساس بذلك، وأخذ ﷺ ينادي في قريش: ((يا بني فهر، يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب، يا بني فلان، يا بني فلان، حتى اجتمع القوم فقال: أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ فقالوا: ما جربنا عليك كذبًا. لقد كانت تلك شهادة عامة من الجميع بصدق الرسول ﷺ، فقال ﷺ: فإني نذير لكم بين يدي عذاب عظيم. فكان في الحضور عمه أبو لهب فرد عليه بعنف وقسوة وتجبر: تبًا لك سائر هذا اليوم! ألهذا جمعتنا)).[٢]

قال ـ تعالى ـ وهو أصدق القائلين: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩﴾ [المائدة].[٣]

واتصف الصحابة بالصدق كما قال ـ تعالى ـ: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨﴾ [الحشر].[٤]

وامتدح الله الصادقين كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣﴾ [العنكبوت].[٥]

---

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ﴾ [الشعراء: ٢١٤ ـ ٢١٥]، ج٦/ ١٦ ـ ١٧.

(٢) انظر: ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١/٢٠٠؛ وإبراهيم العلي، صحيح السيرة، ص ٥٦.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٦٧٤.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٨٥٠.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٤٢٩.

وقال - تعالى -: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٨﴾ [الأحزاب].(1)

وقال - تعالى -: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٢٤﴾ [الأحزاب].(2)

وربط الله ﷻ الإسلام والإيمان بالصدق، قال - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝٣٥﴾ [الأحزاب].(3)

وجاء في أهل الصدق من الأنبياء قوله - تعالى -: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۝٥٠﴾ [مريم].(4)

وقال - تعالى -: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥٤﴾ [مريم].(5)

واتهم الأنبياء من بعض أقوامهم بعدم الصدق فرد الله على أولئك المكذبين، يقول - تعالى - : ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٧١﴾ [النمل].(6)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٤٨٣.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٤٨٧.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٤٩٩.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١١٩٠.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١١٩١.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٤٠٤.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ [البقرة].[1]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾ [آل عمران].[2]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [العنكبوت].[3]

وتوعد الله المكذبين بما جاء به الأنبياء من صدق. قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزمر].[4]

وتحدى الله المكذبين مشيرًا لعدم صدقهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل].[5]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [الأحزاب].[6]

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/١٦٠.
(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٣٤٩.
(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٤٣٥.
(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٦٢٠.
(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٤٠٣.
(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٤٨٧.

وقال - تعالى -: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [يس].(١)

وقال - تعالى -: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [الأحقاف].(٢)

والكذب لا يستمر بل تكشفه القرائن، مع التظاهر المزيف بالصدق، ففي قصة يوسف عليه السلام يقول - تعالى -: ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [يوسف].(٣)

وجاء الحديث عن الصدق وفي موضع آخر يقول - تعالى -: ﴿ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [يوسف].(٤)

وفي قصة سليمان عليه السلام، مع الهدد وملكة سبأ. إشارة للتحقق من الصدق. قال - تعالى -: ﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [النمل].(٥)

وفي التهمة بين الزوجين ورد الصدق كما قال - تعالى -: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٥٧١.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٧٠١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٩٧٨.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٩٨١.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٣٩٤.

أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾﴾ [النور].(١)

قال - تعالى -: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾ [الأحزاب].(٢)

وفي قصة مؤمن آل فرعون قال - تعالى -: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ [غافر].(٣)

قال - تعالى -: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾﴾ [الذاريات].(٤)

وصف ﷻ أهل البر من المؤمنين بأنهم الصادقين كما قال - تعالى -: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة].(٥)

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٣١٣.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٤٨٣.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٦٤٢.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٧٦٢.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٢٣٠.

قال - تعالى -: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات].(١)

وقد وعد الله الصادقين بجناته. قال - تعالى -: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [المائدة].(٢)

والصدق صفة للنبيين والصالحين من عباده. قال - تعالى -: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة].(٣)

قال - تعالى -: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ [مريم].(٤)

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٧٥٢/٢.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٦٧٤/١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٦٣٨/١.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١١٨٩/٢.

وقال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم].(١)

وقال - تعالى -: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ [مريم].(٢)

وقال - تعالى -: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ [مريم].(٣)

وقال - تعالى -: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [يوسف].(٤)

والله يكشف الكذب وأهله. قال - تعالى -: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [التوبة].(٥)

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١١٩٢.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١١٩١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١١٩٢.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٩٨٦.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٨٨٤.

وفي الثناء على الصادقين ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك في الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة في طعمة)).(١)

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((اضمنوا لي ستًا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: أصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم)).(٢)

وفي التحذير من الكذب الذي ظاهره الصدق ورد عن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ؛ أن رسول الله ﷺ سمع خصومة بباب حجرته، فخرج إليهم فقال: ((إنما أنا بشر، وإنه يأتيني الخصم، فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض، فأحسب أنه صادق، فأقضي له بذلك. فمن قضيت له بحق مسلم، فإنما هي قطعة من النار، فليأخذها أو ليتركها)).(٣)

وقد خرج النبي ﷺ إلى المصلى فرأى الناس يتبايعون. فقال: ((يا معشر التجار! فاستجابوا لرسول الله ﷺ ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه فقال: إن التجار يبعثون يوم القيامة فجارًا، إلا من اتقى الله وبر وصدق)).(٤)

---

(١) رواه أحمد في مسنده، ج١٧٧/٢، وصحح اسناده أحمد شاكر، ج٦٦٥٢/١٠.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ج٣٢٣/٥.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه، ج١٠١/٣؛ رواه مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، ج١٢٩/٥.

(٤) رواه الترمذي في سننه، كتاب البيوع، باب ما جاء في التّجار وتسمية النبي ﷺ إياهم، ج٥١٤/٣، ح برقم: ١٢١٠؛ ورواه أحمد في مسنده، ج٤٤٤/٣.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: ((وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا)).(١)

وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((البيعان بالخيار ما لم يتفرقا أو قال: حتى يتفرقا - فإن صدقا وبيّنا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما)).(٢)

عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال: ((حفظت من رسول الله ﷺ: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة)).(٣)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد، ولا تحلفوا إلا بالله، إلا وأنتم صادقون)).(٤)

وعن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قام حين جاء وفد هوازن مسلمين فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم، فقال لهم ﷺ:

---

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، باب التوبة وما ينهى عن الكذب، ج٧/٩٥؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، ج٨/٢٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب إذا بيّن البيعان ولم يكتما ونصحا، ج٣/١٠. واللفظ له؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب البيوع، باب الصدق في البيع والبيان، ج٥/ ١٠، ح برقم: ١٥٣٢.

(٣) رواه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، ج٤/٦٦٨، ح برقم: ٢٥١٨، وقال: حديث حسن صحيح؛ ورواه النسائي، ج ٨/٣٢٧، ٣٢٨؛ ورواه أحمد في مسنده، ج١/٢٠٠.

(٤) رواه أبو داود في سننه، كتاب الإيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالآباء، ج٣/٢١٩، ح برقم: ٣٢٤٨؛ ورواه النسائي في سننه، كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بالأمهات، ج٧/٥، ح برقم: ٣٥٢٩.

((أحب الحديث إلي أصدقه، فاختاروا إحدى الطائفتين، إما السبي وإما المال فقد كنت استأنيت بهم)). الحديث.[١]

كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو من تلاميذ المصطفى ﷺ في الصدق وفي كل شيء: ((من كانت له عند الناس ثلاث وجبت له عليهم ثلاث، من إذا حدثهم صدقهم، وإذا ائتمنوه لم يخنهم، وإذا وعدهم وفى لهم، وجب له عليهم أن تحبه قلوبهم، وتنطق بالثناء عليه ألسنتهم، وتظهر له معونتهم)).[٢]

والصدق منجاة. ومن خلال صدق ثلاثة من الصحابة لرسول الله ﷺ نجاهم الله تعالى، ففي حديث توبة كعب بن مالك رضي الله عنه وصاحبيه قال: (لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط. إلا في غزوة تبوك. غير ... أني لم أكن قط أقوى، ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة. والله ما جمعت قبلها راحلتين قط. حتى جمعتهما في تلك الغزوة... وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم... فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجد. فأصبح رسول الله ﷺ غاديًا والمسلمون معه. ولم أقض من جهازي شيئًا. ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئًا. فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو..... وعرفت أني لن أنجو منه بشيء أبدًا. فأجمعت صدقه...... فجئت أمشي حتى جلست بين يديه. فقال لي: "ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟". قال: قلت يا رسول الله! إني، والله! لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر. ولقد أعطيت جدلاً. ولكني، والله! لقد علمت، لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن

---

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب فرض الخمس، باب ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين...، ج٤/٥٣ ـ ٥٤.

(٢) انظر: صالح بن حميد وآخرين، نضرة النعيم، ج٦/٢٥١٤.

الله أن يسخطك علي. ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عقبى الله. والله! ما كان لي عذر. والله! ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك. قال رسول الله ﷺ: "أما هذا فقد صدق. فقم حتى يقضي الله فيك"... فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهي عن كلامنا قال: ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة، على ظهر بيت من بيوتنا. فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله ﷻ منا، قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوفى على سلع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك! أبشر. قال: فخررت ساجدًا. وعرفت أن قد جاء فرج. قال فآذن رسول الله ﷺ الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر... حتى دخلت المسجد. فإذا رسول الله ﷺ جالس في المسجد وحوله الناس... قال كعب فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال، وهو يبرق وجهه من السرور ويقول: "أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك". قال: فقلت: أمن عندك يا رسول الله! أم من عند الله؟ فقال: "لا. بل من عند الله". وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه. كأن وجهه قطعة قمر. قال: وكنا نعرف ذلك... وقلت: يا رسول الله! إنما أنجاني بالصدق. وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقًا ما بقيت. قال: فو الله! ما علمت أن أحدًا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث، منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا، أحسن مما أبلاني الله به. والله! ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا. وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي. قال: فأنزل الله ﷻ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ

﴿بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة]. قال كعب: والله ما أنعم الله عليَّ من نعمة قط، بعد إذ هداني الله للإسلام، أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته، فأهلك كما هلك الذين كذبوا)... الحديث[1][2]

وقد أشار خصماء الرسول ﷺ إلى صدقه، فعن أبي سفيان صخر بن حرب رضي الله عنه في حديثه قبل إسلامه في قصة هرقل قال هرقل: "فماذا يأمركم؟ يعني النبي ﷺ قال أبو سفيان قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة" ... الحديث.[3]

وحين نزل الوحي على رسول الله ﷺ لأول مرة ـ كما مر سابقًا ـ دخل على خديجة. فقال: "زملوني، زملوني" فزملوه حتى ذهب عنه الروع ثم قال لخديجة: "أي خديجة! مالي" وأخبرها الخبر. قال: "لقد خشيت على نفسي". قالت له خديجة: (كلا أبشر. فو الله! لا يخزيك الله أبدًا. والله! إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق).[4]

---

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك، ج٨/ ١٠٥؛ ورواه ابن أبي شيبة، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك وقول الله ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾، ج٥/ ١٣٠، ح برقم: ٢٧٦٩.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/ ٩١٤ ـ ٩١٥.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ج١/ ٤ ـ ٧؛ رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، ج٥/ ١٦٣.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ج١/ ٣ ـ ٤؛ رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ج١/ ٩٧.

وهذه الرواية تؤكد صدقه ﷺ قبل بعثته، وأنها من صفاته الملازمة له طيلة حياته ﷺ.

قال رسول الله ﷺ في حقّ أبي بكر الصديق: ((هلْ أنتُمْ تَارِكُونَ لي صَاحِبِي، هلْ أنتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي، إنِّي قُلتُ: يا أيُّها النّاسُ، إنِّي رَسولُ اللّهِ إلَيْكُمْ جَمِيعًا، فقُلتُمْ: كَذَبْتَ، وقالَ أبو بَكْرٍ: صَدَقْتَ)).(١)

عن عبد الله بن عمرو قال: (قلنا يا نبيّ اللّهِ مَن خيرُ الناسِ؟ قال: ذو القلبِ المخمومِ، واللسانِ الصادقِ).(٢)

وصح عن النبي ﷺ قال: ((إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا)).(٣)

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: ((إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب. وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثًا. ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءًا من النبوة. والرؤيا ثلاثة: فرؤيا الصالحة بشرى من الله. ورؤيا تحزين من الشيطان. ورؤيا مما يحدث المرء نفسه. فإن رأى أحدكم ما يكره، فليقم فليصل، ولا يحدث بها الناس)).(٤)

* * * * *

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ، ج٤/١٩٢.

(٢) رواه المنذري، صحيح الترغيب، عن عبد الله بن عمرو، ج٣/٣٦٤، ح برقم: ٤٤٤١.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وما يُنهى عن الكذب، ج٧/ ٩٥، (الآية ١١٩ من سورة التوبة)؛

ورواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، ج٨/٢٩، ح برقم: ٢٦٠٧.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب اليد في المنام، ج٨/٧٦؛ رواه مسلم في صحيحه، كتاب الرؤيا، باب الرؤيا، ج٧/٥٢.

العفة في حياته ﷺ:

العفاف من عَفَّ عن الحرام يعِفُّ عِفَّةً وعَفًّا وعَفَافَةً أي: كفَّ، فهو عَفٌّ وعَفِيفٌ، ويقال: المرأة عَفَّةٌ وعَفِيفَةٌ، وأعَفَّهُ الله، واسْتَعَفَّ عن المسألة أي: عفَّ، وتَعَفَّفَ: تكلف العِفَّةَ.[١] والعِفة الكَفُّ عما لا يَحِلُّ ويَجْمُل، والاسْتِعْفاف طلَبُ العَفافِ.[٢]

فالعفيف من يُباشر الأمور على وفق الشرع والمروءة، مع البعد عن الأطماع والأخلاق الدنيئة.[٣] كما يعني ضبط النفس عن الملذات الحيوانية.[٤] والبعد عن المحارم، وُقصد بها الكف عن محارم المسلمين، من الدم والمال والعرض. وهذه العفة نوعان عند العلماء، الأول: ضبط الفرج عن الحرام؛ أي عدم الاقتراب الفعلي من الحرام سواء بالزنا أو ما قاربه من المحرمات، ويدخل فيه كفّ اللسان عن الأعراض؛ ومنه الفحش والتفحش بالكلام كالغيبة والنميمة، والخوض في أعراض الناس،[٥] وكله يدخل في البعد عن الخيانة، كما يدخل فيه ما يرتبط بأمور المال. وليس هذا موضعها، وسيكون لها موضع آخر من الموسوعة.

---

(١) انظر: الزبيدي، تاج العروس، ج٦/٢٠١.

(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٩/٢٥٣.

(٣) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٩/٢٥٣؛
القسم العلمي بمؤسسة الدار السلفية، موسوعة الأخلاق، إشراف الشيخ علوي السقاف، دار الدرر السنية، ج٢/٤٤٢؛
صالح بن حميد وآخرين، نضرة النعيم، ج٧/٢٨٧٢.

(٤) انظر: صالح بن حميد وآخرين، نضرة النعيم، ج٧/٢٨٧٢.

(٥) للكلام عن أنواع العفة انظر: صالح بن حميد وآخرين، نضرة النعيم، ج٧/٢٨٧٣.

وقد وردت آيات في كتاب الله ﷻ تناولت لفظ العفة أو مشتقاتها منها قوله - تعالى -: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾ [البقرة].(١)

وقوله - تعالى -: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾ [النساء].(٢)

وقوله - تعالى -: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ [النور].(٣)

وقوله - تعالى -: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [النور].(٤)

ومن العفة ما ورد في الحديث الذي روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((سبعة يظلُّهم الله تعالى في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه: وذكر

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٣١٣.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٤٤٢.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٣٣١.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٣٤٥.

منهم... ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله... الحديث)).(١)

وكان من دعائه ﷺ: ((اللهم إني أسألك الهدى والتقى، والعفاف والغنى)).(٢)

كما روي عنه ﷺ: ((عفوا تعف نساؤكم)).(٣)

وقد قال ﷺ ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف.(٤)

وقد وضع البخاري في صحيحه (باب فضل ترك الزنا).(٥)

والله سبحانه وتعالى ربى نبيه ﷺ وآل بيته على العفاف والحشمة، فكانوا أسوة للأمة إلى يوم القيامة. وقد وجَّهت العديد من الآيات القرآنية لأمهات المؤمنين في هذا الباب، وخصوصًا في سورة الأحزاب، منها قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، ج١/١٦٠ ـ ١٦١، وفي كتاب الحدود، باب فضل ترك الزنا، ج٨/٢٠؛
ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب إخفاء الصدقة، ج٣/٩٣.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب في الأدعية، ج٨/٨١.

(٣) رواه الطبراني، في المعجم الأوسط، ج٦/٢٤١، ح برقم: ٢٦٩٥.

(٤) رواه الترمذي في سننه، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في المجاهد والناكح، ج٤/١٨٤، ح برقم: ١٦٥٥.

(٥) انظر: صحيح البخاري، كتاب الحدود، ج ٨/٢٠.

وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب].(١)

وفي ذلك أمر بالاستقرار في البيوت وعدم الخضوع في القول، كما وقوله - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب].(٢)

وقوله - تعالى -: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ [الأحزاب].(٣)

وقد أحل الله لنبيه ﷺ الزواج كغيره من الأنبياء، قال - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾ [الرعد].

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٤٩١ - ١٤٩٦.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٤٩٩.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٥٠٤.

كما أحل الله له زوجاته ووجهن، وجعلهن عفيفات بعيدات عن الريبة، كما في قوله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٠) تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا (٥١) لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا (٥٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٣) إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٥٤) لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (٥٥)﴾ [الأحزاب].(١)

وقد أدبه الله - سبحانه - فكان لايمد عينيه لغير أزواجه ﷺ قال - تعالى -: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٣١)﴾ [طه].(٢)

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٥٠٩ - ١٥١٥.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٢٣٠.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الحجر].[1]

كما أنزل الله لهن أحكامًا في الحجاب، سارت عليها المؤمنات إلى يوم القيامة، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الأحزاب].[2]

وكان ﷺ حريصًا على أن يقطع الطريق على ظن السوء به وبأهل بيته، فهذه ((صَفِيَّةَ أم المؤمنين رضي الله عنها، جاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَزُورُهُ فِي اعْتِكَافِهِ فِي المَسْجِدِ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فَتَحَدَّثَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً، ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَهَا يَقْلِبُهَا، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ بَابَ المَسْجِدِ مَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الأَنْصَارِ، فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ ﷺ: عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ، فَقَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا)).[3]

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٠٥١.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٥٢٥ ـ ١٥٢٦.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتكاف، باب هل يخرج المعتكف من معتكفه لحاجته، ج٢/٢٥٧؛

ورواه مسلم في صحيحه، كتاب السَّلَامِ، بَابُ بَيَانِ أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ لِمَنْ رُئِيَ خَالِيًا بِامْرَأَةٍ وَكَانَتْ زَوْجَتَهُ أَوْمحرمًا له أن يقول هذه فلانة... الخ، ج٧/٨.

ومن الواضح في صفة رسول الله ﷺ التي عرفتها عنه قريش قبل فتح مكة أنه ﷺ (يأمر بالعفاف)، كما جاء في إجابة أبي سفيان لهرقل حين سأله عن رسول الله ﷺ.[(١)]

وكان بيت رسول الله ﷺ أطهر البيوت. ومن هنا تحرك المنافقون وأوقعوا تهمة الإفك التي حاولوا إلصاقها ببيت النبوة بأم المؤمنين عائشة الطاهرة رضي الله عنها، زوج المصطفى ﷺ وبنت الصديق رضي الله عنه، كما قال ـ تعالى ـ عنهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ [النور].[(٢)]

وأشارت الآيات إلى أن حب الفاحشة دافع لنشرها والرضا بها بين العباد، ولذلك اتهم بيت النبي ﷺ ليكون إتهام غيره من باب أولى، كما جاء قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور].[(٣)]

وكان ﷺ يعلم الصحابة أن العفاف وإتيان حاجة الإنسان للنكاح في الحلال هي من أبواب الأجر، حيث ورد: (أَنَّ نَاسًا مِن أَصْحَابِ النبيِّ ﷺ قالوا للنبيِّ ﷺ: يا رَسولَ اللهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بالأُجُورِ، يُصَلُّونَ كما نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كما نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ، قالَ: "أَوَليسَ

---

(١) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، ج١/٥؛
وراوه مسلم في صحيحه، كتاب السَّلَامِ، بَابُ بَيَانِ أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ لِمَنْ رُئِيَ خَالِيًا بِامْرَأَةٍ وَكَانَتْ زَوْجَتَهُ أَوْمحرمًا له أن يقول هذه فلانة... الخ، ج٧/٨.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٣١٦ ـ ١٣٢٠.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٣٢١.

قدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ ما تَصدَّقُونَ؟ إنَّ بكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بالمَعروفِ صدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عن مُنْكَرٍ صدَقَةٌ، وفي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صدَقَةٌ"، قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، أَيَأتي أَحدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكونُ له فِيهَا أَجْرٌ؟ قالَ: "أَرَأَيْتُم لو وَضَعَهَا في حَرَامٍ أَكانَ عليه فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذلكَ إذَا وَضَعَهَا في الحَلَالِ كانَ له أَجْرٌ").[١]

وكان ﷺ يغار على الأعراض، وقد وضع بعض المحدثين أبوابًا في الغيرة.[٢] وقد روي عنه ﷺ، أنه لما بلغه أن سعد بن عبادة يقول: لورأيت رجلاً مع إمرأتي لضربته بالسيف غير مصفح، فقال ﷺ: ((تعجبون من غيرة سعد، والله لأنا أغير منه، والله أغير مني...)) الحديث.[٣]

والغيرة المنضبطة هي المطلوبة، دون الشك في غير محله. روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: ((من الغيرة ما يحب الله، ومنها ما يكره الله، فأما ما يحب الله فالغيرة في الريبة، وأما ما يكره الله فالغيرة في غير ريبة)).[٤]

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزَّكَاةِ، بَابُ بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ عَلَى كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ، ج٣/٨٢.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزَّكَاةِ، بَابُ بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ عَلَى كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ، ج٣/٨٢.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب من رأى مع امرأة رجلاً فقتله، ج ٨/٣١؛
والدارمي في سننه، بَابٌ فِي الْغَيْرَةِ، ج٢/١٤٩؛
وابن ماجه في سننه، باب الغيرة، ج١/٦٤٣؛
وابن أبي شيبة في مصنفه، فِي الْغَيْرَةِ وَمَا ذُكِرَ فيها، ج٤/٤١٩.

(٤) رواه ابن ماجه في سننه، باب الغيرة، ج١/٦٤٣؛
وانظر: ابن أبي شيبة في المصنف، ج٤/٤١٩.

وغض البصر جزء من العفة والحشمة. وجاء الأمر واضحًا بغض البصر كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور].(١)

وقد قال ﷺ: ((اضمنوا لي سِتًّا مِن أنفسكم أضمنْ لكم الجنة: اصدقوا إذا حدَّثتُم، وأَوْفوا إذا وَعدتم، وأدُّوا إذا ائتُمِنتم، واحفظوا فروجَكم، وغُضُّوا أبصارَكم، وكفُّوا أيديَكم)).(٢)

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: ((سألتُ رسول الله ﷺ عن نظر الفُجاءَة، فأمرني أن أصرفَ بصري)).(٣)

وأسبابُ غض البصر كثيرة، أعظمها تقوى الله إضافةً للزواج عند تحقُّق الباءة، حيث يسد حاجة الإنسان، ويمنع الوقوع في الفاحشة، ويساعد على غض البصر، فإن لم يتمكن فالصوم، كما جاء عن الرسول ﷺ أنه قال: ((يا معشرَ الشباب، مَن استطاع منكم الباءَةَ فلْيتزوج؛ فإنَّه أَغضُّ للبصر، وأَحصنُ للفرْج، ومَن لم يستطعْ، فعليه بالصَّوْم؛ فإنَّه له وِجاء)).(٤)

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٣٢٧، ١٣٢٨.

(٢) رواه ابن حبَّان في كتاب البر والإحسان، باب: الصدق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ج١/٥٠٦، ح برقم: ٢٧١؛ ورواه الحاكم في المستدرك، كتاب الحدود، ج١٠/٦١، ح برقم: ٨٢٦٥؛

المعجم الكبير للطبراني باب: مَنْ رَوَى، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَة، ج٤/٣٥٦، ح برقم: ٧٩٤٤.

(٣) رواه مسلم في كتاب الآداب، باب: نظر الفجأة، ج٦/١٨١.

(٤) رواه البخاري في كتاب النكاح، باب قول النبي ﷺ: مَن استطاع منكم الباءة فليتزوجْ، فإنَه أغضُّ للبصر، وأحصنُ للفرج، وهل يتزوج مَن لا أربَ له في النكاح، ج٦/١١٧.

وقد أمر ﷺ من رأى امرأة أن يأتي أهله، كما في قوله ﷺ: ((إذا أحدكم أعجبته المرأة فوقعت في قلبه فليعمد إلى امرأته فليواقعها فإن ذلك يرد ما في نفسه)).(١)

وأوجد بعض الحلول لمن لا يستطيع الزواج، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۚ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٥)﴾ [النساء].(٢)

واعتبرت النظرة المحرمة زنا للعين، كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: ((الْعَيْنُ تَزْنِي، وَالْقَلْبُ يَزْنِي، فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا الْقَلْبِ التَّمَنِّي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ مَا هُنَالِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ)).(٣)

ولاشك أن الفاحشة ضد العفة والعفاف وقد ورد النهي عنها في كتاب الله في مواضع متعددة، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢)﴾ [الإسراء].(٤)

(١) رواه البخاري في كتاب النكاح، باب قول النبي ﷺ مَن استطاع منكم الباءة فليتزوجْ، فإنَه أغضُّ للبصر، وأحصنُ للفرج، وهل يتزوج مَن لا أربَ له في النكاح، ج٦/١١٧.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب ندب من رأى امرأة فوقعت في نفسه إلى أن يأتي امرأته...، ج٤/١٢٩.

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل ، في مسنده، ج٢/٣٢٩.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١١١٦.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل].(١)

منها قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأعراف].(٢)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [الأنعام].(٣)

ولا شك أن الزِّنَا يَسلُبُ الزَّانِي أَحسَنَ الصفات، وَهِيَ الْعِفَّةُ وَالْبِرُّ وَالأَمَانَةُ، وَيُعْطِيهِ أَضْدَادَهَا كَالْفَاجِرِ وَالْفَاسِقِ وَالزَّانِي والْخَائِنِ.(٤)

والزنا من الكبائر قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء].(٥)

كما أن على الزاني عقوبة مغلظة وردت في القرآن والسنة وطبقها رسول الله ﷺ، قال ـ تعالى ـ: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٠٧٣/٢.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٧١٥/١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٦٦٧/٢ ـ ١٦٦٩.

(٤) انظر: صالح بن حميد وآخرين، نضرة النعيم، ج٤٥٦٩/١٠.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١١١٦/٢.

﴿لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [النور].(١)

وقال - تعالى -: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾﴾ [النساء].(٢)

وقد وضع المحدثون أبوابًا في الحدود، بينوا فيها ما يرتبط بالزنا من عقوبات، حيث وضع البخاري في صحيحه، كتاب الحدود.(٣) وفيه (باب الزنا والخمر).(٤) وفيه (باب إثم الزناة).(٥) و(باب رجم المحصن).(٦) و(باب للعاهر الحجر).(٧) و(باب الاعتراف بالزنا)، وأبوابًا أخرى كلها تتعلق بالعقوبات المرتبطة بالزنا.(٨)

كما حرمت أمور تمهد له، كالخضوع بالقول والخلوة بالنساء وغير ذلك من الأمور التي تسبب الوقوع في الزنى.

وأبواب التوبة مفتوحة لمن يقع في الحرام، مما يعين العباد على التقليل من المعاصي، كما في قوله - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٠٣٩/٢ - ١٣١٢.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٤٥١/١.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب الحدود، ج١٣/٨.

(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب الحدود ج١٣/٨.

(٥) انظر: صحيح البخاري، كتاب الحدود ج٢٠/٨.

(٦) انظر: صحيح البخاري، كتاب الحدود ج٢١/٨.

(٧) انظر: صحيح البخاري، كتاب الحدود، ج٢٢/٨.

(٨) انظر: صحيح البخاري، كتاب الحدود، ج١٣/٨ - ٣٤.

أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [آل عمران].(١)

وأرشد ﷺ لما يعين على البعد عن الفاحشة، وينهى عنها، ومن ذلك الصلاة، كما في قوله - تعالى -: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [العنكبوت].(٢)

وحذر الله - سبحانه - من الاتهام بالفاحشة إلا ببينة، وقوله - تعالى -: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ [النساء].(٣)

وقد وضع البخاري في صحيحه (باب رمي المحصنات).(٤) وقوله - تعالى -: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ ﴾ [الطلاق].(٥)

وللخروج من أي تقاذف للتهم شرع اللعان في حال اتهام الزوج لزوجته دون وجود بينة، في قصة مشهورة، كما رويت بالتفصيل. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ: ((ذُكِرَ التَّلاعُنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ عَاصِمُ بْنُ عَدِيٍّ فِي ذَلِكَ

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٤٢٠.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٤٣٧.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٤٥٣.

(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب الحدود، ج ٣٤/٨.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٨٨٣.

قَوْلاً، ثُمَّ انْصرَفَ، فَأَتَاهُ رَجلٌ مِنْ قَوْمِهِ يَشْكُو إِلَيْهِ أَنَّهُ وَجدَ مَعَ أَهْلِهِ رَجُلاً، فَقَالَ عَاصِمٌ: مَا ابْتُلِيتُ بِهَذَا إِلا لِقَوْلِي، فَذَهَبَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي وَجدَ عَلَيْهِ امْرَأَتَهُ، وَكَانَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مُصْفَرًّا، قَلِيلَ اللَّحْمِ سَبِطَ الشَّعَرِ، وَكَانَ الَّذِي ادَّعَى عَلَيْهِ أَنَّهُ وَجدَ عِنْدَ أَهْلِهِ خَدْلاً آدَمَ، كَثِيرَ اللَّحْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللهُمَّ بَيِّنْ، فَوَضعَتْ شَبِيهًا بِالرَّجُلِ الَّذِي ذَكَرَ زَوْجُهَا أَنَّهُ وَجدَهُ عِنْدَهَا، فَلاعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهُمَا، فَقَالَ رَجلٌ لابنِ عَبَّاسٍ فِي الْمَجْلِسِ: أَهِيَ الَّتِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَوْ رَجَمْتُ أَحَدًا بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ رَجَمْتُ هَذِهِ؟، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لا تِلْكَ امْرَأَةٌ كَانَتْ تُظْهِرُ فِي الإِسْلامِ السُّوءَ)).(١)

ونزلت في الحادثة آيات كريمة، في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٦ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٧ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٨ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٩﴾ [النور].(٢)

ولذلك فالاتهام ليس سهلاً ويتبعه فراق دائم بين الزوجين، وحق الأب في الانتفاء من المولود الذي ينسب لأمه، وما أشدها من عقوبة.

---

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب، تفسير القرآن، باب سورة النور، ج٦/٣؛
ومسلم في صحيحه، كتاب اللعان، ج٤/٢٠٥؛
وانظر: روايات الدارمي، في سننه، ج٢/١٥٠؛
وقد جمع ابن كثير في تفسيره تفاصيل القصة، ج٢/١٣١.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٣١٣.

وقد أمر الله المؤمنين بالبعد عن الحرام وحفظ الفرج، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ ﴾ [المؤمنون]،[١] وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٢٩ ﴾ [المعارج].[٢]

وقد وضع البخاري في صحيحه، باب فضل من ترك الفواحش.[٣] ولعظم التهمة بالزنا وشناعتها، فقد شرع الله حماية الأعراض من الاتهام الباطل بها. وجاء حد القذف واضحًا في كتاب الله سبحانه، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤ ﴾ [النور].[٤]

في بداية التشريع جاء الإسلام ليبعد ما كانت العرب تمارسه من نكاح المحارم، وهن محرمات على الرجال لصلة أو قرابة، فعد ذلك من الفواحش كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَمَقۡتٗا وَسَآءَ سَبِيلًا ٢٢ ﴾ [النساء].[٥]

وكان الأنبياء يحذرون قومهم من الفاحشة وهي من خطوات الشيطان، ويهدون لطريق التوحيد والعفاف، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ ﴾ [البقرة].[٦]

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٢٩١/٢.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٩١٩/٢.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب الحدود، ج ٢٠/٨.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٣١٣/٢.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٤٥٦/١.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢٢٧/١.

وقوله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١)﴾ [النور].(١)

وقوله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (١٦٩)﴾ [البقرة].(٢)

وقوله - تعالى -: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦٨)﴾ [البقرة].(٣)

ومن أشهر الأقوام بالفاحشة والشذوذ قوم لوط وقد كان يحذرهم، كما قال - تعالى -: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ (٨٠)﴾ [الأعراف].(٤)

وفي قوله - تعالى -: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤)﴾ [النمل].(٥)

وقوله - تعالى -: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ (٢٨)﴾ [العنكبوت].(٦)

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٣٢١.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٢٢٧.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٣٣٠.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٧٧٠.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٤٠٠.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٤٣٥.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [العنكبوت].(١)

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأعراف].(٢)

وقد صرف الله الفاحشة عن الأنبياء والصالحين كما في قصة يوسف عليه السلام الواردة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [يوسف].(٣)

وكانت عاقبة الصبر والعفاف من يوسف عليه السلام ومن غيره. أن يؤتيه الله الحلال الذي يؤجر عليه.

* * * * *

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٤٣٧/٢.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٧٥١/١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٩٨١/١.

عدله ﷺ:

عدل الشيء نظيره، وهو الحكم بالحق، والعدل هو الاستواء والاستقامة يقال رجل مستقيم، يقال غصن عدل أي مستو ومستقيم. وعادلت بين الشيئين أي سويت بينهما كما يعادل الشيء في الميزان. وفلان يعدل فلانًا أو يعدل كذا أي يساويه، والعدل ما قام في النفوس المستقيمة أنه حق وهو ضد الجور وخلاف الظلم، وتعديل الشيء وتقويم الشيء بالشيء، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام].[١]

وفرس معتدل الغرة: إذا توسطت الغرة جبهته فلم تصب أحدى العينين، ولم تمل على واحد من الخدين.[٢]

وقيل هواستعمال الأمور في مواضعها وأوقاتها ووجوهها ومقاديرها، من غير سرف ولا تقصير ولا تقديم ولا تأخير.[٣] والعدل هوالإنصاف الذي يأتي وسطًا بين الظلم والتفضل ويكون في المعاملة، فالجور إنقاص الحق، وما قام في النفوس أنه مستقيم فهو عدل، مِن عَدَلَ يَعْدِلُ فهو عادل من عُدول وعَدْل، يقال: عَدَلَ عليه في القضية فهو عادِلٌ، وبسط الوالي عَدْلَهُ، مِن عَدَلَ يَعْدِلُ فهو عادل،[٤] والعدل شرعًا: "هو فصل الحكم على ما في كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ، وبذل الحقوق الواجبة والمساواة بين

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٦٧٦/١.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج٤٣٢/١١؛
الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج١٣/٤.

(٣) صالح بن حميد وآخرين، نضرة النعيم، ج٢٧٩٠/٧.

(٤) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٤٣٢/١١.

المستحقين في حقوقهم، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، من غير تفرقة وإعطاء كلّ ذي حقّ حقّه، ولو كان على نفسه، مع القصد في الأمور".[١] والعدل: أن يثيب على الحسنة الحسنة، ويعاقب على السيئة بالسيئة.

وبالعدل قوام الدنيا والدين وسبب صلاح واجتماع العباد والبلاد. وقد فرض اللّه - تعالى - العدل على الفرد والأسرة والمجتمع، لتوزّع به الأنصبة والحقوق، وتقدر به الأعمال والأشخاص، وهو الميزان المستقيم. ومن تعمد مخالفة العدل وقصد مُجانبته عرّض دينه للخبال وعمرانه للخراب وعزته للهوان وكثرته للنقصان. وما من شيء قام على العدل واستقام عليه إلاّ أمن الانعدام وسلم من الانهيار، وقد قال ابن تيمية: (فَإِنَّ النَّاسَ لَمْ يَتَنَازَعُوا فِي أَنَّ عَاقِبَةَ الظُّلْمِ وَخِيمَةٌ وَعَاقِبَةَ الْعَدْلِ كَرِيمَةٌ وَلِهَذَا يُرْوَى: اللَّهُ يَنْصُرُ الدَّوْلَةَ الْعَادِلَةَ وَإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً وَلا يَنْصُرُ الدَّوْلَةَ الظَّالِمَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُؤْمِنَةً).[٢]

ولذلك فإن عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة.[٣]

قال - تعالى -: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [الأنعام].[٤] واللّه ﷻ عادل لا يظلم أحدًا قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء].[٥] وقال - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾

(١) الجوهري، الصحاح في اللغة، ج٥/١٧٦٠.
(٢) ابن تيمية، الفتاوى، ج٢٨/٦٣؛
وانظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٦/٥٨.
(٣) ابن تيمية، الفتاوى، ج٢٨/٦٣.
(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٧٢٣.
(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٤٨٣.

[يونس].(١) وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام].(٢)

والعدل قيمة إنسانية عظيمة جاءت بها جميع الأديان السماوية، وفرضه الله على الناس. ونزلت الشرائع السماوية لإقامة العدل بين الناس، قال ـ تعالى ـ: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة].(٣)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة].(٤)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المائدة].(٥)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء].(٦)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور].(٧)

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٩٣٣.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٧١٤.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٢٦٨.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٦٢٤.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٦٢٠.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٥٠٢.

(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٣٤١.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [النور].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [المائدة].[١]

والأنبياء السابقين حكموا بالعدل، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴿١٨١﴾ ﴾ [الأعراف].[٢]

قال ﷻ عن داود عليه السلام: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ص].[٣]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [ص].[٤]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الأنبياء].[٥]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [آل عمران].[٦]

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٦٢٥.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٨٠٤.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٦٠٤.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٦٠٣.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٢٤٨.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٣٥٩.

وقال - تعالى -: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المائدة].(١)

وقال - تعالى -: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المائدة].(٢)

وعن ما في التوراة من العدل. قال - تعالى -: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [المائدة].(٣)

وقال ﷻ: ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [الأعراف].(٤)

وجاءت الأوامر واضحة في القرآن الكريم في أكثر من موضع بالعدل وربط بالدين الحق، وقد كان وما زال الخطباء والأئمة يذكرون بالعدل الوارد في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٦٢٥.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٦٢٠.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٦٢٢.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج/١/٧٩٢.

وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل].(١)

وأمر ﷺ بالعدل بين الناس كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الشورى].(٢)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء].(٣)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المائدة].(٤)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [البقرة].(٥)

وبعض الناس من ذوي العدل وحكمهم منصف وعادل، كما ذكروا في كتاب الله ـ تعالى ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٠٧٣.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٦٦٥.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٤٩٨.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٥٩٤.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/١٢٨.

طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾ [المائدة].(١)

وقال الله ـ تعالى ـ: ﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ [الأنعام].(٢)

وتأتي أطول آيات القرآن في قضية الكتابة والتوثيق، والشهادة لضمان العدل والإنصاف، قال ـ تعالى ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ [البقرة].(٣)

ومن معاني العدل في القرآن الكريم، المقايضة والاستبدال ومحاولة النجاة من سوء العمل، كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٦٥٣.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٧٣١.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٣٤٠.

لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنعام].(١)

والإصلاح من طرق العدل بين الناس فيما يقع بينهم من شجار، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات].(٢)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾ [النساء].(٣)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾﴾ [النساء].(٤)

وتأتي قضايا الشهادة والتوثيق لتثبيت الحقوق وضمان العدل والإنصاف، كما في الوصية. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٦٩٤.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٧٤٦.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٥٣٩.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٤٣٩.

بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [المائدة].(١)

قال الله ـ تعالى ـ:﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعام].(٢)

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأعراف].(٣)

والظلم عكس العدل وقد كرهه الله ﷻ وحذر منه عباده في مواضع مختلفة من القرآن، وأوله ظلم الخلق لأنفسهم، وهو الشرك بالله، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان].(٤)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنعام].(٥)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأعراف].(٦)

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٦٦٥.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٧٣٤.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٧٩٢.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٤٦٢.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٦٧٨.

(٦) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٧٥٤.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ [يونس].[(١)]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود].[(٢)]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام].[(٣)]

كما يأتي ظلم العباد لأنفسهم ولبعضهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [البقرة].[(٤)]

وقد جمع الله بين آياته وبين العدل مع الزوجات. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾ [البقرة].[(٥)]

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٩٢٦.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٩٥٢.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٧٠١.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/١٨٦.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٢٩٥.

وللمظلوم أن يجهر بما وقع عليه من سوء. قال ـ تعالى ـ: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾ [النساء].(١)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام].(٢)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأنعام].(٣)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَـٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَـٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأنعام].(٤)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [هود].(٥)

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٥٤٦.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٧٠٥.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٧٢٨.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٧٣٦.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٩٧٢.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ١٥ ﴾ [الكهف].(١)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩ ﴾ [الكهف].(٢)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ٥٧ ﴾ [الكهف].(٣)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧ ﴾ [الأنبياء].(٤)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٢٥ ﴾ [الحج].(٥)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ فَقَدۡ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسۡتَطِيعُونَ صَرۡفٗا وَلَا نَصۡرٗاۚ وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا ١٩ ﴾ [الفرقان].(٦)

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١١٤٧.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١١٥٨.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١١٦٢.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٢٣٨.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٢٦٨.

(٦) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٣٥٢.

وقال - تعالى -: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١١﴾ [النمل].(١)

وقال - تعالى -: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ٦٨﴾ [العنكبوت].(٢)

وقال - تعالى -: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ٢٢﴾ [السجدة].(٣)

وقال - تعالى -: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٥٤﴾ [يس].(٤)

وقال - تعالى -: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ١٧﴾ [غافر].(٥)

وقال - تعالى -: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ٣٢﴾ [الزمر].(٦)

وقال - تعالى -: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ٥٢﴾ [النجم].(٧)

وقال - تعالى -: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٧﴾ [الصف].(٨)

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٣٩٠.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٤٤٣.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٤٧٧.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٥٧١.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٦٣٧.

(٦) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٦٢٠.

(٧) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٧٨٥.

(٨) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٨٧٠.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾ [الطلاق].(١)

وقد بوب البخاري وغيره من أصحاب الصحاح والسنن أبوابًا متعددة فيما يرتبط بالعدل والظلم ومن ذلك عند البخاري (باب في المظالم والغصب). وقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ ... ﴿٤٣﴾﴾(٢) رافعي المقنع والمقمح واحد وقال مجاهد مهطعين مديمي النظر ويقال مسرعين،(٣) قال ـ تعالى ـ: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ... ﴿٤٣﴾﴾.(٤) يعني جوفًا لا عقول لهم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾ [إبراهيم].(٥)

كما وضع البخاري في صحيحه، باب قول الله ـ تعالى ـ: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾.(٦)

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٨٨٣.

(٢) الآية ٤٢ ومن الآية ٤٣ من سورة إبراهيم؛ انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/١٠٣٨.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب المظالم والغصب، ج٣/٩٧.

(٤) من الآية ٤٣ من سورة إبراهيم؛ انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/١٠٣٨.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٠٣٨.

(٦) انظر: رواه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، ج٥/٢١٣، ٢١٤. وفيه من الآية ١١٨ من سورة هود.

وفي صحيح البخاري، في (باب قصاص المظالم ما يدل على أن المظالم يؤخذ من أهل الجنة القصاص عليها قبل دخولهم الجنة).[١]

أورد فيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ((إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا نقوا وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة)) ... الحديث.[٢]

كما وضع في صحيحه (باب لا يظلم المسلم المسلم، ولا يسلمه).[٣]

روى فيه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته. ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة)).[٤]

ومطلوب من المسلم منع نفسه والآخرين عن الظلم. وقد وضع البخاري في صحيحه (باب أعن أخاك ظالمًا أو مظلومًا)، وفيه عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ: ((انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا، قالوا يا رسول الله هذا ننصره مظلومًا فكيف ننصره ظالمًا قال تأخذ فوق يديه)).[٥]

---

(١) انظر: رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب قصاص المظالم، ج٣/٩٧.

(٢) انظر: رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب قصاص المظالم، ج٣/٩٧.

(٣) انظر: رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، ج٣/ ٩٨.

(٤) انظر: رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، ج٣/٩٨.

(٥) انظر: رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغضب، باب أعن أخاك ظالمًا أو مظلومًا، ج٣/٩٨.

وفي باب نصر المظلوم أورد البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: (أمرنا النبي ﷺ بسبع ونهانا عن سبع فذكر عيادة المريض واتباع الجنائز وتشميت العاطس ورد السلام ونصر المظلوم وإجابة الداعي وإبرار المُقْسِم).(١)

كما تدل الروايات على حق المظلوم في الانتصار مع استحباب العفو عمن ظلمه، وعند البخاري في صحيحه، باب الانتصار من الظالم لقوله جل ذكره قال - تعالى -: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ١٤٨﴾(٢) قال - تعالى -: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ٣٩﴾ [الشورى]. قال ... كانوا يكرهون أن يستذلوا فإذا قدروا عفوا.(٣)

كما وضع البخاري في صحيحه، بابًا آخر بعنوان: باب عفو المظلوم لقوله - تعالى -: ﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ١٤٩﴾.(٤)

قال - تعالى -: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ٤١ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٢ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ٤٣ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ٤٤﴾ [الشورى].(٥)

---

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغضب، باب نصر المظلوم، ج٣/٩٨.

(٢) الآية ١٤٨ من سورة النساء، وانظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٥٤٦، ج٢/١٦٧٢.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب الانتصار من الظالم لقوله جل ذكره ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾، ج٣/٩٨.
وانظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٥٤٦، ج٢/١٦٧٢.

(٤) الآية ١٤٩ سورة النساء؛ انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٥٤٧.

(٥) الآيات: ٤٠ - ٤٤، ج١/١٦٧٣ من سورة الشورى؛ رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغضب، باب عفو المظلوم، ج٣/٩٨، ٩٩؛ وانظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٥٤٧.

ومن الأبواب التي تحذر من الظلم، عند البخاري رحمه الله (باب الظلم ظلمات يوم القيامة)، وفيه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ((الظلم ظلمات يوم القيامة)).(١)

ودعوة المظلوم أمر عظيم، حذر منه ﷺ ووضع البخاري في صحيحه، (باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب).(٢)

كما حث ﷺ المسلمين فيما بينهم على التسامح واستسماح بعضهم بعضًا في مظالمهم، ووضع البخاري في صحيحه (باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له .....الخ)، وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه)).(٣)

والخصومة مكروهة إلا في الحق. وقد وضع البخاري في صحيحه (باب قول الله تعالى وهو ألد الخصام) وروى فيه عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: ((إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم)).(٤)

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغضب، باب الظلم ظلمات يوم القيامة، ج٣/٩٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغضب، باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم، ج٣/٩٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغضب، باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له هل يبيّن مظلمته، ج٣/٩٩.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغضب، باب قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة] ، ج٣/ ١٠١.

والدفاع عن الظالم والخصومة للدفاع عن الظلم فيها إثم عظيم، وكذلك ظلم من لا يحسن عرض قضيته وقد يكون بعضهم ظالمًا لكنه أقدر على استحضار ما يضلل القاضي، وهو يعلم أنه على غير حق، وقد وضع البخاري في صحيحه، باب إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه، وفيه عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ سمع خصومة بباب حجرته فخرج إليهم فقال: ((إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صدق فأقضي له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو فليتركها)).[١]

كما أتبع البخاري هذه الأبواب بباب إذا خاصم فجر، وفيه عن عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ((أربع من كن فيه كان منافقًا أو كانت فيه خصلة من أربعة كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر)).[٢]

وكذلك وضع البخاري رحمه الله في صحيحه (باب قصاص المظلوم إذا وجد مال ظالمه ...).[٣]

وقد حث ﷺ على دفاع الإنسان عن حقوقه، واعتبر من يفعل بمثابة المجاهد، وفي صحيح البخاري رحمه الله (باب من قاتل دون ماله)، وفيه عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال سمعت النبي ﷺ يقول: ((من قُتل دون ماله فهو شهيد)).[٤]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغضب، باب إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه، ج٣/١٠١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغضب، باب إذا خاصم فجر، ج٣/١٠١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغضب، باب قصاص المظلوم إذا وجد مال ظالمه، ج٣/١٠١.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، والغضب، باب من قاتل دون ماله، ج٣/١٠٨.

كما عند البخاري (باب إذا كسر قصعة أو شيئًا لغيره) رواية تدل على أن أخذ الحق ممن أضر بغيره جائز فيما يماثل ضرره، روى فيه عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان عند بعض نسائه فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين مع خادم بقصعة فيها طعام، فضربت بيدها فكسرت القصعة فضمها وجعل فيها الطعام. وقال: كلوا وحبس الرسول والقصعة حتى فرغوا، فدفع القصعة الصحيحة وحبس المكسورة.[(١)]

وتأتي شهادة العدول من أهم القرائن والأدلة الشرعية في الحقوق وإقامة العدل، وتشترط في الشهود العدالة. ومما يرتبط بهذا الباب ما ورد عنها في القرآن الكريم في مواضع عديدة، منها قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ ﴾ [الطلاق].[(٢)]

ومن ذلك عند البخاري (باب إذا عدل رجل أحدًا فقال لا نعلم إلا خيرًا أو قال ما علمت إلا خيرًا).

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [النحل].[(٣)]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغصب، باب إذا كسو قطعة أو شيئًا لغيره، ج٣/١٠٨.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٨٨٤.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٠٧٠.

وشهادة الأهل بالحق بعيدًا عن الهوى مطلوبة، قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [يوسف].(١)

وكتم الشهادة ظلم، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ [البقرة].(٢)

والرهن مهم لضمان الحقوق وقد فصل في الفقهاء، انطلاقًا من قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾﴾ [البقرة].(٣)

وعند البخاري رحمه الله في صحيحه أبوابٌ كثيره تحكم القضايا والعدل بين الناس، منها كتاب الشهادات، وفيه (باب الشهداء العدول وقول الله ـ تعالى ـ وأشهدوا ذوي عدل منكم وممن ترضون من الشهداء).(٤)

وشرط الشهود الصدق والبعد عن الإثم، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٩٨١/١.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢١٥/١.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٣٤٣/١.

(٤) انظر: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب الشهداء العدول، ج١٤٨/٣ ـ ١٤٩.

يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [المائدة].(1)

والاتهام لا يكفي دون شهادة، وذلك لضمان العدل، وأحيانًا يتطلب الأمر عددًا محددًا من الشهود، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَـٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَـٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ [النور].(2)

والقسم يغني عن الشهادة فيما يخص الدفاع عن النفس، مع عدم وجود الشهود، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَـٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَـٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٦﴾﴾ [النور].(3)

والبعد عن الهوى يقتضيه العدل، وشهادة الحق مطلوبة من المسلم ولو على نفسه، قال ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النساء].(4)

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة].(5)

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٦٦٥.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٣١٣.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٣١٣.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٥٤٢.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٥٩٤

وفيما روي عن النبي ﷺ قال: ((خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته قال إبراهيم وكانوا يضربوننا على الشهادة والعهد)).(١)

وعند البخاري رحمه الله (باب ما قيل في شهادة الزور لقول الله عز وجل والذين لا يشهدون الزور وكتمان الشهادة لقوله: ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم، .. تلووا ألسنتكم بالشهادة).(٢)

عن أنس رضي الله عنه قال سئل النبي ﷺ عن الكبائر قال: ((الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وشهادة الزور)).(٣)

(باب بلوغ الصبيان وشهادتهم وقول الله تعالى: وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا)، وقال مغيرة احتلمت وأنا ابن ثنتي عشرة سنة وبلوغ النساء في الحيض لقوله عز وجل واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إلى قوله أن يضعن حملهن. وقال الحسن بن صالح: أدركت جارة لنا جدة بنت إحدى وعشرين سنة.(٤)

وإجراءات القضاء لضمان العدالة بقرائن صحيحة، واضحة في سنة رسول الله ﷺ، فقد ووضع البخاري رحمه الله في صحيحه (باب ما جاء في البينة على

---

(١) انظر: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، ج٣/١٥١.

(٢) رواه البخارى في صحيحه، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، ج٧/٧١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب بلوغ الصبيان وشهادتهم وقول الله تعالى ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ﴾، ج٣/١٥٨.

(٤) رواه البخارى في صحيحه، كتاب الشهادات، باب سؤال الحاكم المدعي هل لك بينة قبل اليمين، ج٣/١٥٩.

المدعي[1] لقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ [البقرة] الآية وآخر الباب...).[2]

ومع التأكيد على الشهادة وأهميتها والعدل فيها فإن الوعيد كان شديدًا على شهداء الزور، كما يأتي التحقق من عدالة الشهود؛ لضمان مسيرة صحيحة للعدالة. وفي البخاري (باب شهادة القاذف والسارق والزاني وقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥﴾ [النور].[3]

كما أورد البخاري رحمه الله (باب لا يشهد على شهادة جور إذا أُشهد)، وفيه عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: ((سألت أمي أبي بعض الموهبة لي من ماله ثم بدا له فوهبها لي فقالت لا أرضى حتى تُشهد النبي ﷺ فأخذ بيدي وأنا غلام فأتى بي النبي ﷺ فقال: إن أمه بنت رواحة سألتني بعض الموهبة لهذا قال: ألك ولد سواه؟ قال: نعم. قال فأراه قال لا تشهدني على جور)).[4]

---

(١) البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب سؤال الحاكم المدعي هل لك بينة قبل اليمين، ج٣/١٥٩.

(٢) البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب ما جاء في البينة على المدعي ، ج٣/١٤٦؛ انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٣٤٠.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٣١٣.

(٤) البخاري في صحيحه، كتاب الهبة وفضلها التحريض عليه، باب الهبة للولد وإذا أعطى بعض ولده شيئًا لم يجز حتى يعدل بينهم ويعطي الآخرين مثله ولا يشهد عليه، باب الإشهاد في الهبة، ج٣/١٣٣ ـ ١٣٤؛

ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الهبات، باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة، ج٥/٦٦.

ووردت أحاديث كثيرة، عن البينة وكونها على المدعي. منها قوله ﷺ: ((البيِّنةُ على المدَّعي واليَمينُ على المدَّعى علَيهِ. وفي لفظ واليمينُ على مَن أنكرَ)).[١]

وأبواب المحدثين فيما يتعلق بقضايا العدل متعددة. وتكشف أهمية العدل في سنة الرسول ﷺ.[٢]

ولعل من أهم أسباب العدل القيام على بينات واضحة تدعم المدعي فيما يدعية. وفي كتب الصحاح والسنن روايات تؤكد على ذلك، فعند البخاري رحمه الله (باب سؤال الحاكم المدعي هل لك بينة قبل اليمين)، روى فيه عن رسول الله ﷺ: ((من حلف على يمين وهو فيها فاجر ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان. قال: فقال الأشعث بن قيس: فيَّ والله كان ذلك كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجحدني، فقدمته إلى النبي ﷺ فقال لي رسول الله ﷺ: ألك بينة؟ قال: قلت لا. قال: فقال لليهودي: احلف قال: قلت يا رسول الله إذا يحلف ويذهب بمالى قال: فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنًا ...﴿٧٧﴾﴾.[٣] إلى آخر الآية)).[٤]

وفي صحيح البخاري رحمه الله، (باب اليمين على المدعى عليه في الأموال

---

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب سؤال الحاكم المدعى هل لك بينة قبل اليمين، ج٣/١٥٩؛ وباب اليمين على المدعى عليه في الأموال والحدود، ج٣/١٥٩؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب اليمين على المدعى عليه، ج٥/١٢٥.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب سؤال الحاكم المدعى هل لك بينة قبل اليمين، ج٣/١٥٩، كتاب الأحكام؛ ورواه مسلم في كتاب الاقضية، باب اليمين على المدعى عليه،ج٥/١٢٨؛ وانظر: ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين...، ج١/٨٦.

(٣) من الآية ٧٧ من سورة آل عمران؛ انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٣٧٥.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب سؤال الحاكم المدعي هل لك بينة قبل اليمين، ج٣/١٥٩.

والحدود) وقال النبي ﷺ: ((شاهداك أو يمينه)) وفيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قضى باليمين على المدعى عليه.[١]

وتأتي القرعة في حال القسمة أحيانًا كنوع من الوسائل للعدل والإنصاف، وعند البخاري في صحيحه باب القرعة في المشكلات وقوله جل جلاله: ﴿... إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ .....﴾ الآية. وقال ابن عباس رضي الله عنه: اقترعوا فجرت الأقلام مع الجرية وعال قلم زكرياء الجرية، فكفلها زكريا. وقوله فساهم أقرع فكان من المدحضين من المسهومين. وقال أبو هريرة عرض النبي ﷺ على قوم اليمين فأسرعوا فأمر أن يسهم بينهم أيهم يحلف.[٢]

عن أم العلاء امرأة من الأنصار بايعت النبي ﷺ، أخبرته أن عثمان بن مظعون طار له سهمه في السكنى،[٣] حين أقرعت الأنصار سكنى المهاجرين قالت أم العلاء: فسكن عندنا عثمان بن مظعون ... الحديث.[٤]

وهذه الرواية تدل على إقامة العدل بين المهاجرين ابتداء بالقسمة عن طريق القرعة، وبالتالي فإن الصحابة أهل عدل وإنصاف، تعلموه من رسول الله ﷺ.

---

(١) انظر: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب اليمين على المدعَى عليه في الأموال والحدود، ج٣/١٥٩.

(٢) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب إذا تسارع قوم في اليمين، ج٣/١٦١. وفي الحديث من الآية رقم: ٤٤ من آل عمران؛ وانظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٢٦٥.

(٣) رواه البخار ى في صحيحه، كتاب الشهادات، باب القرعة في المشكلات وقوله، إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم، ج٣/١٦٤.

(٤) رواه البخار ى في صحيحه، كتاب الشهادات، باب القرعة في المشكلات وقوله، إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم، ج٣/١٦٤.

كما كان يفعل ذلك بين نسائه ﷺ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه وكان يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها)).(١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا)).(٢)

والعدل لا يكون في القضاء فقط، بل يكون في الولاية على الناس، وفي الرعاية لهم، وبالتالي فالعادلون منهم من أحب الناس إلى الله عز وجل وإلى الناس عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة، وأدناهم منه مجلسًا: إمام عادل، وأبغض الناس إلى الله، وأبعدهم منه مجلسًا: إمام جائر)).(٣)

والإمام بحاجة إلى العدل. وقد رغب ﷺ في ذلك ووعد العادل من الأئمة بالجنة تحت عرش الرحمن. روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((ثلاثة لا ترد دعوتهم، الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم يرفعها الله دون الغمام يوم القيامة، وتفتح لها أبواب السماء ويقول: بعزتي، لأنصرنك ولو بعد حين)).(٤)

---

(١) رواه البخارى في صحيحه، كتاب الشهادات، باب القرعة في المشكلات وقوله إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم، ج٣/١٦٤، ١٦٥.

(٢) رواه البخارى في صحيحه، كتاب الأذان، باب الاستهام في الأذان ويذكر أن أقوامًا اختلفوا في الأذان فأقرع بينهم سعد، ج١/١٥٢.

(٣) رواه الترمذي في سننه، كتاب الأحكام، باب ما جاء في الإمام العادل، ج٣/٦١٧، ح برقم: ١٣٢٩.

(٤) رواه البيهقى في السنن الكبرى، كتاب صلاة الاستسقاء، باب استحباب الصيام للاستسقاء لما يرجى من دعاء الصائم، ج٧/٧٠، ٧١، ح برقم: ٦٤٦٤.

والعدل في القول أمر شرعي واجب. روي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: (بايعنا رسول اللّه ﷺ على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا، ومنشطنا ومكارهنا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالعدل أين كنا، لا نخاف في اللّه لومة لائم).(١)

وفي رواية عن عبد اللّه بن مسعود رضي الله عنه قال: لما كان يوم حنين آثر النبي ﷺ أناسًا في القسمة: فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناسًا من أشراف العرب فاثرهم يومئذ في القسمة. قال رجل: واللّه إن هذه القسمة ما عدل فيها، وما أريد بها وجه اللّه، فقلت: واللّه لأخبرن النبي ﷺ، فأتيته فأخبرته.

فقال ﷺ: ((فمن يعدل إذا لم يعدل اللّه رسوله؟ رحم اللّه موسى. فقد أوذي بأكثر من هذا فصبر)).(٢) وقد نظر ﷺ إلى عظم هذه التهمة وهو معلم العدل للناس ﷺ.

كما أن من عدله ﷺ أنه كان يعلم أصحابه كيفية العدل وآلياته التي تحققه بين الناس. ورد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ((بعثني رسول اللّه ﷺ إلى اليمن قاضيًا، فقلت: يا رسول اللّه! ترسلني وأنا حديث السن ولا علم لي بالقضاء؟ فقال: إن اللّه سيهدي قلبك ويثبت لسانك، فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول، فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء. قال: فما زلت قاضيًا، أو ما شككت في قضاء بعد)).(٣)

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، ج٢/١٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، ج٤/٦٠، ٦١.

(٣) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأقضية، باب كيف القضاء، ج٣/٢٩٩، ٣٠٠، ح برقم: ٣٥٨٢؛ ورواه الترمذي في سننه، كتاب الأحكام، باب ما جاء في القاضي لا يقضى بين الخصمين حتى يسمع كلامهما، ج٣/٦١٨، ح برقم: ١٣٣١؛ وأحمد في مسنده، ج١/١٥٦.

وقد حذر ﷺ قضاة الظلم من النار، عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((القضاة ثلاثة واحد في الجنة، واثنان في النار. فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به، ورجل عرف الحق فجار في الحكم، فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل، فهو في النار)).(١)

وقد حضر ﷺ بنفسه مجلس قضاء كان القاضي فيه أحد الصحابة، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ((إن أناسًا نزلوا على حكم سعد بن معاذ، فأرسل إليه فجاء على حمار، فلما بلغ قريبًا من المسجد، قال ﷺ: قوموا إلى خيركم، أو سيدكم. فقال: يا سعد، إن هؤلاء نزلوا على حكمك. قال: فإني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم. قال ﷺ: حكمت بحكم الله، أو بحكم الملك)).(٢)

وقد نجا من العقوبة كل من لم يشارك في الخيانة مع بني قريظة، وإن كان منهم.

كما قال رسول الله ﷺ: ((لا يقدس الله أمة لا يُقضى فيها بالحق، ويأخذ الضعيف حقه من القوي غير متعتع)).(٣)

كما قال ﷺ: ((لا يقضين حَكَم بين اثنين وهو غضبان)).(٤)

---

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب الأحكام، باب ما جاء عن رسول الله ﷺ في القاضي، ج٣/٦١٣، ح برقم: ١٣٢٢؛ رواه أبو داود في سننه، كتاب الأقضية، باب في القاضي يخطئ، ج٣/٢٩٧، ح برقم: ٣٥٧٣؛ ورواه ابن ماجه في سننه، كتاب الأحكام، باب الحاكم يجتهد فيصيب الحق، ج٢/٧٧٦، ح برقم: ٢٣١٥.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه، ج٤/٢٢٧.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ج٢/١٣٢٩، ح برقم: ٤٠١٠.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب هل يقضي الحاكم أو يفتي وهو غضبان، ج٨/١٠٨.

وكان ﷺ عادلاً في الحدود ومنصفًا مع الجميع، يعامل الكل بمساواة دون تحيز أو شفاعة تضيع حقًا أو حدًا أو عدلاً، وكان منصفًا ﷺ حتى مع أقرب الناس إليه، عن عائشة رضي الله عنها: ((أن قريشًا أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ ومن يجترأ عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ؟ فكلَم رسول الله ﷺ فقال: أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فخطب فقال: يا أيها الناس، إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، أالله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها)).[1]

وقد قال ﷺ: ((لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا. المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى هاهنا (ويشير إلى صدره ثلاث مرات) بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)).[2]

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿... فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ ... ٤٢﴾ [المائدة]. قال: كان بنو النضير إذا قتلوا من بني قريظة أدوا نصف الدية، وإذا قتل بنو قريظة من بني النضير أدوا إليهم الدية كاملة، فسوى رسول الله ﷺ بينهم.[3]

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود، ج٥/١١٤.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، ج٨/١٠، ١١.

(٣) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأقضية، باب الحكم بين أهل الذمة، ج٣/٣٠١، ٣٠٢، ح برقم: ٣٥٩١، وفيه من الآية ٤٢ من المائدة؛
انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٦١٨.

وكان ﷺ يساوي بين الخصوم، عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((أن الخصمين يقعدان بين يدي الحكم)).(١)

ولعل ما جاء به ﷺ من المساواة بين الناس هو تأكد لمبدأ شرعي هام انطلاقًا من قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات].(٢)

وكان ﷺ يؤكد على ذلك. ورد في خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ في حجة الوداع قوله ﷺ: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلا إِنّ رَبّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلا لا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلا لِعَجَمِيٍّ على عَرَبِيٍّ وَلا لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلا بِالتّقْوَى، أَبَلّغْتُ؟ قَالُوا: بَلّغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ)).(٣)

ولاشك أن ما أعلنه ﷺ في حجة الوداع يُعد تشريعًا للأمة وللإنسانية جمعاء إلى يوم القيامة في قوله وحين توسعت الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول ﷺ، وتولاها من بعده خلفاؤه الراشدون من تلاميذه أبي بكر وعمر، كانوا أهل عدل وحققوه في أنفسهم كأئمة، مساوين وعادلين بين الناس، ونظموا القضاء بأنفسهم مما تعلموه من النبي ﷺ، بل ووضعوا دروسًا للأمة والإنسانية جمعياء في آليات تحقيق العدالة, ولعل من يطلع على كتاب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وهو واليه على البصرة في حينه، عن القضاء يدرك القيمة العليا لما تعلمه عمر من رسول الله ﷺ في القضاء وسطره في تلك الأحرف ومما جاء في هذا الكتاب: (أن القضاء

(١) رواه أبو داوود في سننه، كِتَاب الْأَقْضِيَةِ بَابُ كَيْفَ يَجْلِسُ الْخَصْمَانِ بَيْنَ يَدَيِ الْقَاضِي، ج٣/٣٠١، ح برقم: ٣١٦٩.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٧٥١/٢.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٤١١/٥.

فريضة محكمة، وسنة متبعة، فافهم إذا أُدلي إليك فإنه لا ينفع تكلم حق لا نفاذ له، وآس بين الناس في وجهك ومجلسك وقضائك حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك، البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر. والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحًا أحل حرامًا أو حرم حلالاً، ومن ادعى حقًا غائبًا، أو بينة فاضرب له أمدًا ينتهي إليه؛ فإن جاء ببينة أعطيته بحقه فإن أعجزه ذلك استحللت عليه القضية؛ فإن ذلك أبلغ في العذر، وأجلى للعمى، ولا يمنعك من قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه لرأيك، وهديت فيه لرشدك، أن تراجع الحق؛ لأن الحق قديم لا يبطل الحق شيء. ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل، والمسلمون عدول بعضهم على بعض في الشهادة إلا مجلود في حد، أو مجرب عليه شهادة الزور، أو ظنين في ولاء أو قرابة، فإن الله ﷻ تولى من العباد السرائر وستر عليهم الحدود إلا بالبينات والأيمان. ثم الفهم الفهم فيما أدلي إليك مما ليس في قرآن ولا سنة. ثم قايس الأمور عند ذلك واعرف الأمثال والأشباه، ثم اعمد إلى أحبها إلى الله فيما ترى وأشبهها بالحق. وإياك والغضب والقلق والضجر والتأذي بالناس عند الخصومة والتنكر؛ فإن القضاء في مواطن الحق يوجب الله له الأجر، ويحسن به الذخر، فمن خلصت نيته في الحق ولو كان على نفسه، كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين لهم بما ليس في قلبه شانه الله، فإن الله ـ تبارك وتعالى ـ لا يقبل من العباد إلا ما كان له خالصًا، وما ظنك بثواب من عند الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته).(١)

ولا شك أن عمر رضي الله عنه أخذ هذه القواعد في القضاء مما تعلمه من سنة رسول الله ﷺ فيه.

---

(١) لأصل الخطاب وتخريجه. انظر: محمد حميد الله، الوثائق السياسية للعصر النبوي والخلافة الراشدة، ص ٤٢٥، برقم: ٣٢٧؛
ورواه الدارقطني، سننه، ج٤/٢٠٦؛ الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٧١.

وقد شرح ابن القيم رحمه الله كتاب عمر رضي الله عنه فيما يزيد على (٣٠٠) صفحة في كتابه: (إعلام الموقعين عن رب العالمين).[١]

وكان ابن الخطاب وبقية الصحابة حريصين على العدل والإنصاف مع أهل البلاد المفتوحة، فحين فرض الخراج على الأراضي حرصًا أن يكون معتدلاً وأقل مما كانوا يدفعونه للروم والفرس قبل الفتوح، عن عمرو بن ميمون قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل أن يصاب بأيام بالمدينة. ووقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف رضي الله عنهما قال: كيف فعلتما؟ أتخافان أن تكونا قد حملتما الأرض ما لا تطيق؟ قال: حملناها أمرًا هي له مطيقة.[٢] ما فيها كبير فضل قال: انظرا أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق. قالا: لا. فقال عمر: لئن سلمني الله لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبدًا.[٣]

وقد فهم المشاركون في الفتوح قيمة العدل حيث قال ربعي بن عامر رضي الله عنه لرستم قائد الفرس لما سأله قبيل معركة القادسية، ما جاء بكم؟ قال له: إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.[٤]

---

(١) انظر: ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ص ٨٥ ـ ٤٠١؛
وانظر: كتابى: (الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين)، ص ١٦٠.

(٢) أبو يوسف، كتاب الخراج، ص ٣٢؛
ابن الجوزي، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ص ٧٠؛
خليفة بن خياط، الطبقات، ص ١٣٥.

(٣) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبى ﷺ، باب قصة البيعة، والاتفاق على عثمان بن عفان وفيه مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ج٤/٢٠٤ ـ ٢٠٧.

(٤) انظر: الطبري، تاريخه، ج٤/١٠٤؛ وانظر: كتابي: (الفتوح الإسلامية عبر العصور)، ص١٣١.

وقال ابن تيمية رحمه الله السياسة: أخبر الله في كتابه أنه أنزل الكتاب والحديد ليقوم الناس بالقسط، فقال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥)﴾ [الحديد].[١]

كما يؤكد رحمه الله تقديم الأعلم والأورع في ولاية القضاء مستشهدًا ببعض ما روي عن النبي ﷺ في هذا الجانب.[٢]

كما أكد ـ سبحانه ـ على الصدق والعدل في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١١٥)﴾ [الأنعام].[٣]

وكان ﷺ يقضي في المسجد وكأنه المحكمة. وقد وضع البخاري في صحيحه (باب من قضى ولاعن فى المسجد).[٤]

وافق أبو حنيفة في أن القضاء عبادة، فيصح في المسجد. فإن كان المدعى عليه ممن لا يجوز له الدخول في المسجد، كالحائض، يخرج إليه، أو يرسل نائبه، وقال الشافعية: إنه ليس بعبادة، فلا يقضى في المسجد.[٥]

---

(١) انظر: ابن تيمية السياسة الشرعية في إصلاح الراعى والرعية، ص ٢٦.

(٢) انظر: ابن تيمية، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ص ٢٠.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٧١٤.

(٤) انظر: صحيح البخاري، باب من قضى ولاعن في المسجد، ج٨/١١٢؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب اللعان، ج٤/٢٠٦ .

(٥) انظر: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب من قضى ولاعن في المسجد، ج٨/١١٢.

ومن إنصافه وعدله ﷺ القَوَّد من نفسه. ففي معركة بدر أشرف الرسولﷺ بنفسه على تنظيم صفوف المسلمين وتوجيههم، وكان مما قال لهم ﷺ: ((إذا كثبوكم - يعني أكثروكم - فارموهم واستبقوا نبلكم))،[(١)] وكان ﷺ يعجبه الرمي ويحث عليه. وبينما رسول الله ﷺ يسوي الصفوف إذ بـ (سواد بن غُزية) رضي الله عنه[(٢)] قد ند من الصف فيسوسه الرسول ﷺ بسهم كان في يده ويقول له استو يا سواد، فيقول أوجعتني يا رسول الله فدعني أقتد منك، فيكشف له ﷺ عن بطنه الشريف ليقتاد لنفسه، فيُقبل بطن رسول الله ﷺ .. فيقول له الرسول ﷺ: ((ما حملك على هذا يا سواد؟)) فيقول: يا رسول الله قد حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك فدعا له ﷺ.[(٣)]

كما علم ﷺ أصحابه كيف يقضون بين الناس، وخصوصًا بعض من بعثهم خارج المدينة، من أمثال علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل. روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه وهو ممن تعلم على يد رسول الله ﷺ قال: من عرض له قضاء فليقض بما في كتاب الله، فإن جاءه أمر ليس في كتاب الله عز وجل فليقض بما قضى به النبي ﷺ. فإن جاءه أمر ليس في كتاب الله عز وجل ولم يقض به نبيه ﷺ فليقض بما قاله الصالحون، فإن جاءه أمر ليس في كتاب الله ولم يقض به نبيه ﷺ ولم يقض به الصالحون. فليجتهد رأيه، فإن لم يحسن فليقر، ولا يستحي.[(٤)]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة بدر، ج١٠/١٠ - ١١.
(٢) ابن حجر، الإصابة، ج٩٥/٢؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٣٧٤/٢.
(٣) الواقدى، المغازى، ج٥٦/١ - ٥٧؛ ابن حجر، الإصابة، ج٩٥/٢.
(٤) رواه النسائي في سننه، كتاب أدب القضاة، الحكم باتفاق أهل العلم، ج٢٣٠/٨ - ٢٣١.

وقد سار خلفاؤه الراشدون من بعده على ما تعلموه منه حتى صاروا أئمة في العدل والقضاء، وعرف عنهم ذلك، وألفت المؤلفات فيما نظموه وقعدوه في العدل، مما تعلموه من رسول الله ﷺ.(١)

* * * * *

(١) انظر: ناصر بن عقيل بن جاسر، القضاء في عهد عمر بن الخطاب، ط١- دار المدني ١٤٠٦هـ.

العهد والوفاء:

العهد أو الوعد يعني إلزام الشخص نفسه بالفعل. وقد يكون الوعد على شكل عقد، والوفاء بالعهد هو تنفيذ تلك الوعود والعهود، وعدم النكوث واحترامه، والالتزام به؛ والوفاء بالعهد أحدى مكارم الأخلاق التي أمر بها الله تعالى، ورسوله ﷺ؛ وقد ذم ﷻ ناقض العهد قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٥ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ۝٥٦﴾ [الأنفال].

والوفاءُ ضد الغَدْر، يقال: وَفَى بعهده وأَوْفَى بمعنى، ووفى بعهده يفي وفاءً، وأوفى: إذا تمم العهد ولم ينقض حفظه.[1]

كما يعني الصبر والثبات على ما يبذله الإنسان من نفسه، ويرهن به لسانه، ويتعهد به، والخروج مما يضمنه.

وهو خصلة اجتماعية خلقية تتمثل في التفاني من أجل قضية ما بصدق خالص. والوفاء أصل الصدق. وكل وفاء صدق.

والوفاء صفة إنسانية جميلة، تدل على الفضيلة والمروءة وتتضمن الصدق في القول والفعل معًا. والغدر عكسه والوفاء من القيم المثلى للإنسان، وهو الحفظ والصون للعهود والوعود، مع الحرص على أداء الأمانات والحقوق لأصحابها، والاعتراف بما قدّموه من الأفعال الحسنة، وحسن العهد لهم، ويكون مع الوالدين وبين الزوجين، والأصدقاء، والأقارب أحياءًا وأمواتًا. فالوفيّ يحفظ الجميل ولا ينساه ولو بعد عشرات السنين. ولعل عقود الزواج وما يرتبط بها من شروط من أهم الالتزامات التي ينبغي الوفاء بها. فقد ورد

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج١٥/٣٩٨؛ صالح بن حميد وآخرون، نضرة النعيم، ج٨/٣٦٣٨.

عن رسول الله ﷺ قال: ((أحقّ ما أوفيتم من الشّروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج)).(١)

والوفي صاحب خُلق رفيع، ووفاء غير منقطع، ومنه الوفاء لله وعهده والوفاء لرسوله ﷺ، ومنه وفاء الدين، فيقال مات وترك وفاءً أي ما يكفي وفاء دينه.(٢)

ومنه الحرص على صيانة المودّة والمحبّة، قال الله - تعالى - واصفًا المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨﴾ [المؤمنون].(٣)

والوفاء خلق من أخلاق الإسلام الراقية، وصفة من صفات النفوس الأبيّة.

والوفاء إذا انتشر بين الناس ملأ حياتهم صفاء ونقاء، وظللهم بروح المودة والإخاء والمحبة والألفة. كما أن عاقبة الوفاء حسنة لأهلها بكل أنواعه.

والقليل من الناس يتحلّى بالوفاء والقيام على العهد، قال - تعالى -: ﴿وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ عَهۡدٖۖ وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ ١٠٢﴾ [الأعراف].(٤)

والوفاء من الله ﷻ بما وعد، جاء في القرآن الكريم من قوله - تعالى -: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦﴾ [الروم].

وفي قوله - تعالى -: ﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ ١١١﴾ [التوبة].(٥)

وقال - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الشروط في النكاح، ج٦/١٣٨.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٢٩١.

(٣) انظر: صالح بن حيد وأخرين، ج٨/٣٦٣٩؛
وصالح بن حميد وآخرين، نضرة النعيم، ج٨/٣٦٤١.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٧٧٤.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/ ١٤٤٤، ج١/٩١٠.

ﭐﻟﺘَّﻮۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ [التوبة].[1]

كما أن الوفاء من صفات الرسل عليهم السلام، حيث قال الله ـ تعالى ـ عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النجم].[2] وقد أخذ الله العهود على بني آدم أن لا يشركوا به شيئًا.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾ ﴾ [يس].[3]

وقد روي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: ((يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِى صُلْبِ آدَمَ أَنْ لاَ تُشْرِكَ ـ أَحْسَبُهُ قَالَ ـ وَلاَ أُدْخِلَكَ النَّارَ فَأَبَيْتَ إِلاَّ الشِّرْكَ)).[4]

وبالتالي فإن التوحيد عهد بين الله وعباده قبل خلقهم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴿٧﴾ لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ وَأَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿٨﴾ ﴾ [الأحزاب].[5]

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٩١٠.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٧٨٤.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٥٧٣.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهبًا، ج٨/١٣٤، ١٣٥.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٤٨٣.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [المائدة].(١)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [النحل].(٢)

والعبد سيسأل عن وفائه يوم القيامة، فقد قال ﷻ: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء]، فماذا يكون جواب العبد إذا سئل عن وعوده وعهوده وعقوده التي أمره الله ـ تعالى ـ بالوفاء بها وأدائها. فقال ـ سبحانه ـ: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ ﴿٩١﴾﴾ [النحل].(٣)

والوفاء بالعهد من سمات المؤمنين قال ـ تعالى ـ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة].(٤)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٥٩٤.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٠٧٥.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٠٧٤، ج٢/١١١٧.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٢٣١.

﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد].(١)

والوفاء بالعقود واجب لا خيار فيه، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ ﴿١﴾﴾ [المائدة].(٢)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة].(٣)

والغدر والخيانة ليست من صفات المؤمنين، ففي الصحيحين عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ)).(٤)

وللوفاء فوائد متعددة على الإنسان والإنسانية، فهو من التقوى ويجلب محبة الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [آل عمران].(٥)

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/١٠١٠، ١٠١١.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٥٦٩.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٥٦٩.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، ج١/١٤؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، ج١/٥٦.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٣٧٤.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [النحل].[1]

ومن فوائده مضاعفة الأجر والثواب قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الفتح].[2]

ومن فوائده. الفوز بالنعيم المقيم في الجنة: قال ـ تعالى ـ: ﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الرعد].[3]

ووفاء الزوج لزوجته يكون بأداء حقوقها والإحسان إليها وإكرامها والاعتراف بفضلها ومكانتها. وقدوتهم في ذلك رسول الله ﷺ. عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: ((مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ (أي صديقاتها)، فَرُبَّمَا قُلْتُ

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٠٧٤.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٧٢٦.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/١٠١٠، ١٠١١.

لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إلا خَدِيجَةُ، فَيَقُولُ: إِنَّهَا كَانَتْ، وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ)).(١)

وفي رواية أخرى عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: ((مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ إلاَّ عَلَى خَدِيجَةَ وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا. قَالَتْ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ فَيَقُولُ: أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ. قَالَتْ فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا فَقُلْتُ خَدِيجَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا)).(٢)

وهذه الروايات وغيرها تلك على وفاء عهد منه ﷺ لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها رغم أنها توفت.

والعهد بين الله وبين المؤمنين به من الأمم السابقة أشار إليها القرآن الكريم، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ۝٤١﴾ [البقرة].(٣)

والوفاء بالكيل والميزان مما أشار له القرآن الكريم كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝١٥٢﴾ [الأنعام].(٤)

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها، ج٤/٢٣١.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، ج٧/١٣٤.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/١٢١.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٧٣٤.

والوفاء مع الإيتام، والأمانة في حفظ حقوقهم والعهد في ذلك جاء في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء].[1]

وقد أثنى الله على أهل الوفاء من أهل الكتاب، وذم من خالف منهم كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [آل عمران].[2]

وقد رد الله على أهل الكتاب الذين يرون أنهم لن تمسهم النار مع معصيتهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَـٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ [البقرة].[3]

وكذلك فإن الوفاء بالوعد من أسباب دخول الجنة مع أخلاق أخرى، أشار لها النبي ﷺ كما ورد عن عبادة بن الصّامت رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: ((اضمنوا لي ستّا من أنفسكم أضمن لكم الجنّة: اصدقوا إذا

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١١١٧.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٣٧٤، ٣٧٥.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/١٥٣ ـ ١٥٤.

حدّثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدّوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضّوا أبصاركم، وكفّوا أيديكم)).(١)

وكان ﷺ يعلم أصحابه الوفاء ويعينهم عليه، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنّه أخبره: أنّ أباه توفّي وترك عليه ثلاثين وسقًا لرجل من اليهود، فاستنظره جابر، فأبى أن ينظره، فكلّم جابر رسول الله ﷺ ليشفع له إليه، فجاء رسول الله ﷺ فكلّم اليهوديّ ليأخذ تمر نخله بالّتي له، فأبى، فدخل رسول الله ﷺ النّخل فمشى فيها، ثمّ قال لجابر: جدّ له فأوف له الّذي له، فجدّه بعد ما رجع رسول الله ﷺ فأوفاه ثلاثين وسقًا، وفضلت له سبعة عشر وسقًا، فجاء جابر رسول الله ﷺ ليخبره بالّذي كان، فوجده يصلّي العصر، فلمّا انصرف أخبره بالفضل، فقال: أخبر ذلك ابن الخطّاب، فذهب جابر إلى عمر فأخبره، فقال له عمر: لقد علمت حين مشى فيها رسول الله ﷺ ليباركنّ فيها.(٢)

وقد عرف جميع الناس صدق رسول الله ﷺ ووفائه بالعهود التي يتمها، روى ابن عبّاس أن أبا سفيان مع تجار قدموا بلاد الشام في المدّة الّتي كانت بين رسول الله ﷺ وبين كفّار قريش ... الحديث. وفيه: (أن قيصر سأله هل يغدر؟ فزعمت أن لا، وكذلك الرّسل لا يغدرون. ... الحديث).(٣)

وقد كان ﷺ يأمر بالوفاء مع الله فيما تعاهد به الإنسان وبقضاء ذلك عنه حين وفاته، عن ابن عبّاس رضي الله عنهما: ((أنّ امرأة من جهينة جاءت إلى النّبيّ

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٥/٣٢٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب إذا قاصّ أو جازاه في الدين تمرًا بتمرٍ أو غيره، ج٣/٨٤.

(٣) رواه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة وأن لا يتخذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله تعالى، ج٤/٢.

ﷺ فقالت: إنّ أمّي نذرت أن تحجّ فلم تحجّ حتّى ماتت، أفأحجّ عنها؟ قال: نعم، حجّي عنها، أرأيت لو كان على أمّك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا اللّه، فاللّه أحقّ بالوفاء)).(١)

والأحلاف التي قبل الإسلام وبعضها أحلاف مسالمة نظر لها ﷺ بواقعية، وأمر ﷺ بالوفاء بها.

عن عبد اللّه بن عمرو رضي الله عنهما أنّ رسول اللّه ﷺ قال في خطبته: ((أوفوا بحلف الجاهليّة، فإنّ الإسلام لم يزده إلا شدّة، ولا تحدثوا حلفا في الإسلام)).(٢)

وقد حرص ﷺ على إبلاغ المشركين بعدم تجديد عهودهم عن انقضاء مدته كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٤﴾ [التوبة].(٣)

ولعل مما يشرح ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((كنت مع عليّ بن أبي طالب حيث بعثه رسول اللّه ﷺ إلى أهل مكّة ببراءة قال: ما كنتم تنادون؟ قال: كنّا ننادي: أنّه لا يدخل الجنّة إلا مؤمن، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول اللّه ﷺ عهد فإنّ أجله ـ أو أمده ـ إلى

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب جزاء الصيد ونحوه وقول اللّه تعالى: ﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾، باب الحج والنذور عن الميت والرجل يحج عن المرأة، ج٢/٢١٧.

(٢) مسند الإمام أحمد، ج٢/٢٠٧.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/ ٨٦٠ ـ٨٦٣.

أربعة أشهر فإذا مضت الأربعة الأشهر فإنّ اللّه بريء من المشركين ورسوله، ولا يحجّ هذا البيت بعد العام مشرك، فكنت أنادي حتّى صحل صوتي)).(١)

وكان ﷺ يجير ويقبل الإجارة، ويحفظ بذلك العهد، فقد ورد عن أمّ هانىء ابنة أبي طالب رضي الله عنها قالت: ((ذهبت إلى رسول اللّه ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره، فسلّمت عليه فقال: من هذه؟ فقلت: أنا أمّ هانىء بنت أبي طالب. فقال: مرحبًا بأمّ هانىء، فلمّا فرغ من غسله قام فصلّى ثماني ركعات ملتحفًا في ثوب واحد. فقلت: يا رسول اللّه، زعم ابن أمّي عليّ، أنّه قاتل رجلاً قد أجرتُه؛ فلان ابن هبيرة. فقال رسول اللّه ﷺ: قد أجرنا من أجرت يا أمّ هانىء، قالت أمّ هانىء: وذلك ضحى)).(٢)

عن عبد اللّه بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ: ((المسلمون تتكافأ دماؤهم: يسعى بذمّتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم، يردّ مشدّهم على مضعفهم، ومتسرّعهم على قاعدهم، لا يقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده)).(٣)

عن سليم بن عامر رضي الله عنه: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: ((من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشدّ عقدة، ولا يحلّها حتّى ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم على سواء))، فرجع معاوية.(٤)

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٢/٢٩٩. (وصحل صوتي ضعف وخفت).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما جاء في زعموا، ج٧/١١٠.

(٣) رواه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في السرية ترد على أهل العسكر، ص ٤٨٦، ح برقم: ٢٧٥١.

(٤) رواه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في الإمام يكون بينه وبين العدو عهد فيسير إليه، ج٣/٨٣، ح برقم: ٢٧٥٩.

وقد مارس ﷺ بنفسه الوفاء في قصة مشهورة مع أعرابي روتها عائشة رضي الله عنها قالت: ((ابتاع رسول اللّه ﷺ من رجل من الأعراب جزورا أو جزائر بوسق من تمر الذّخرة ـ وتمر الذّخرة العجوة ـ فرجع به رسول اللّه ﷺ إلى بيته والتمس له التّمر فلم يجده فخرج إليه رسول اللّه ﷺ فقال له: يا عبداللّه! إنّا قد ابتعنا منك جزورًا أو جزائر بوسق من تمر الذّخرة، فالتمسناه فلم نجده، قال: فقال الأعرابيّ: واغدراه، قالت: فنهمه النّاس وقالوا: قاتلك اللّه، أيغدر رسول اللّه ﷺ؟ قالت: فقال رسول اللّه ﷺ: دعوه، فإنّ لصاحب الحقّ مقالا، ثمّ عاد له رسول اللّه ﷺ فقال: يا عبد اللّه إنّا ابتعنا منك جزائرك ونحن نظنّ أنّ عندنا ما سمّينا لك، فالتمسناه فلم نجده، فقال الأعرابيّ: واغدراه، فنهمه النّاس، وقالوا: قاتلك اللّه، أيغدر رسول اللّه ﷺ؟ فقال رسول اللّه ﷺ: دعوه، فإنّ لصاحب الحقّ مقالاً، فردّد ذلك رسول اللّه ﷺ مرّتين أو ثلاثًا، فلمّا رآه لا يفقه عنه قال لرجل من أصحابه: اذهب إلى خويلة بنت حكيم بن أميّة فقل لها: رسول اللّه ﷺ يقول لك: إن كان عندك وسق من تمر فأسلفيناه حتّى نؤدّيه إليك إن شاء اللّه فذهب إليها الرّجل، ثمّ رجع الرّجل فقال: قالت: نعم، هو عندي يا رسول اللّه فابعث من يقبضه، فقال رسول اللّه ﷺ للرّجل: اذهب به فأوفه الّذي له قال: فذهب به فأوفاه الّذي له. قالت: فمرّ الأعرابيّ برسول اللّه ﷺ وهو جالس في أصحابه فقال: جزاك اللّه خيرًا. فقد أوفيت وأطيبت. قالت: فقال رسول اللّه ﷺ: أولئك خيار عباد اللّه عند اللّه الموفون المطيّبون)).(١)

وكان ﷺ أحسن الناس قضاء فعن جابر بن عبد اللّه رضي الله عنهما قال: ((كنت مع النّبيّ ﷺ في سفر، فكنت على جمل ثفال إنّما هو في آخر القوم، فمرّ

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٦/٢٦٨ ـ ٢٦٩.

بي النّبيّ ﷺ فقال: من هذا؟ قلت جابر بن عبد اللّه. قال: مالك؟ قلت: إنّي على جمل ثفال. قال: أمعك قضيب؟ قلت: نعم. قال: أعطنيه، فأعطيته فضربه فزجره، فكان من ذلك المكان من أوّل القوم. قال: بعنيه، فقلت: بل هو لك يا رسول اللّه. قال: بل بعنيه. قد أخذته بأربعة دنانير ولك ظهره إلى المدينة... فلمّا قدمنا المدينة قال: يا بلال اقضه، وزده. فأعطاه أربعة دنانير وزاده قيراطًا. قال جابر: لا تفارقني زيادة رسول اللّه ﷺ، فلم يكن القيراط يفارق جراب جابر بن عبد اللّه)).(١)

وكان يفي بالعهود حتى مع أعدائه ﷺ. عن أبي رافع ﷺ قال: ((بعثتني قريش إلى رسول اللّه ﷺ، فلمّا رأيت رسول اللّه ﷺ ألقي في قلبي الإسلام. فقال: يا رسول اللّه، إنّي واللّه لا أرجع إليهم أبدًا. فقال رسول اللّه ﷺ: إنّي لا أخيس بالعهد، ولا أحبس البرد، ولكن ارجع، فإن كان في نفسك الّذي في نفسك الآن، فارجع، قال: فذهبت، ثمّ أتيت النّبيّ ﷺ، فأسلمت)).(٢)

وفي غزوة الحديبية كان ﷺ حريصًا على معاهدة قريش، مع استعداده للوفاء بأي عهد يتم وفي رواية طويلة للمسور بن مخرمة...، حتّى إذا كان بالثّنيّة الّتي يهبط عليهم منها بركت به راحلته، فقال النّاس: حل حل. فألحّت. فقالوا: خلأت القصواء. فقال النّبيّ ﷺ: ((ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق. ولكن حبسها حابس الفيل. ثمّ قال: والّذي نفسي بيده لا

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجل أن يعطي شيئًا، ولم يبين كم يعطي، فأعطى على ما يتعارفه الناس، ج٦٢/٣ ـ ٦٣.

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في الإمام يستجن به في العهود، ج٨٣/٣، ح برقم: ٢٧٥٨.

يسألونني خطّة يعظّمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إيّاها)). ولما انتهت المفاوضات مع سهيل بن عمرو. دعا النّبيّ ﷺ الكاتب، فقال النّبيّ ﷺ: ((بسم الله الرّحمن الرّحيم فقال سهيل: أمّا (الرّحمن) فو الله ما أدري ما هي، ولكن اكتب: باسمك اللهمّ، كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. فقال النّبيّ ﷺ: اكتب: باسمك اللهمّ. ثمّ قال: هذا ما قاضى عليه محمّد رسول الله، فقال سهيل: والله لو كنّا نعلم أنّك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمّد بن عبد الله، فقال النّبيّ ﷺ: والله إنّي لرسول الله وإن كذّبتموني، اكتب: محمّد بن عبد الله... وعلى أنّه لا يأتيك منّا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا. قال المسلمون: سبحان الله، كيف يردّ إلى المشركين وقد جاء مسلمًا؟ فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيود، وقد خرج من أسفل مكّة حتّى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمّد أوّل من أقاضيك عليه أن تردّه إليّ. فقال النّبيّ ﷺ: إنّا لم نقض الكتاب بعد. قال: فو الله إذا لم أصالحك على شيء أبدًا. قال النّبيّ ﷺ: فأجزه لي، قال: ما أنا بمجيزه لك، قال: بلى فافعل، قال: ما أنا بفاعل. قال مكرز: بل قد أجزناه لك. قال أبو جندل: أي معشر المسلمين، أردّ إلى المشركين وقد جئت مسلمًا؟ ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عذّب عذابًا شديدًا في الله. قال: فقال عمر بن الخطّاب: فأتيت نبيّ الله ﷺ فقلت: ألست نبيّ الله حقًّا؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحقّ وعدوّنا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدّنيّة في ديننا إذًا؟ قال: إنّي رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصري... ثمّ رجع النّبيّ ﷺ إلى المدينة، فجاءه أبو بصير ـ رجل من قريش ـ وهو مسلم، فأرسلوا

في طلبه رجلين فقالوا: العهد الّذي جعلت لنا، فدفعه إلى الرّجلين، فخرجا به حتّى بلغا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرّجلين: واللّه إنّي لأرى سيفك هذا يا فلان جيّدا، فاستلّه الآخر فقال: أجل، واللّه إنّه لجيّد، لقد جرّبت به ثمّ جرّبت. فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأمكنه منه، فضربه حتّى برد، وفرّ الآخر حتّى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو، فقال رسول اللّه ﷺ حين رآه: لقد رأى هذا ذعرًا، فلمّا انتهى إلى النّبيّ ﷺ قال: قتل واللّه صاحبي وإنّي لمقتول. فجاء أبو بصير فقال: يا نبيّ اللّه، قد واللّه أوفى اللّه ذمّتك قد رددتني إليهم، ثمّ أنجاني اللّه منهم. قال النّبيّ ﷺ: ويل أمّه مسعر حرب لو كان له أحد فلمّا سمع ذلك عرف أنّه سيردّه إليهم، فخرج حتّى أتى سيف البحر. قال وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير، حتّى اجتمعت منهم عصابة، فو اللّه ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشّام إلا اعترضوا لها، فقتلوهم وأخذوا أموالهم. فأرسلت قريش إلى النّبيّ ﷺ تناشده اللّه والرّحم لما أرسل فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النّبيّ ﷺ إليهم)).[1]

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: (ما منعني أن أشهد بدرًا إلّا أنّي خرجت أنا وأبي حسيل. قال: فأخذنا كفّار قريش. قالوا: إنّكم تريدون محمّدًا؟ فقلنا: ما نريده. ما نريد إلّا المدينة. فأخذوا منّا عهد اللّه وميثاقه لننصرفنّ إلى المدينة ولا نقاتل معه. فأتينا رسول اللّه ﷺ فأخبرناه الخبر. فقال: "انصرفا. نفي لهم بعهدهم، ونستعين اللّه عليهم").[2]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، ج٣/١٧٨ ـ ١٨٤.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الوفاء بالعهد، ج٥/١٧٦، ١٧٧.

وكان أصحاب رسول الله ﷺ حريصين على الوفاء لله ولرسوله ﷺ. وقد نزل فيهم قوله - تعالى -: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].[1]

وقال - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾﴾ [الفتح].[2]

وقد وفى الأنصار مع رسول الله ﷺ بعد مبايعته في العقبة، فعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: (كنا مع النبي ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة، فقال؟ "ألا تبايعون رسول الله؟" فبسطنا أيدينا، فقلت: قد بايعناك يا رسول الله، فعلام نبايعك؟ قال: "على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، والصلوات الخمس، وتطيعوا"، وأسر كلمة خفية، قال؟ "ولا تسألوا الناس شيئًا". قال عوف بن مالك: فقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم، فما يسأل أحدًا أن يناوله إياه).[3]

كما وفى الصحابة لرسول الله ﷺ في حياته، فقد وفوا له بعد مماته ﷺ ومن ذلك وفاء أبي بكر حيث كان ﷺ يوصي المرأة ذات الحاجة التي خشيت أن لا تجد الرسول ﷺ في أنها ستجد أبا بكر رضي الله عنه، وقد وقع الوفاء منه بما وعد به النبي ﷺ في عدة مواقف، منها ما روي: عن جابر رضي الله عنه. قَالَ:

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٤٨٧.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٧٢٨ - ١٧٢٩.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس، ج٣/٩٧.

قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: ((لَوْ جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ أَعْطَيْتُكَ هَكَذَا ـ ثَلاَثًا، فَلَمْ يَقْدَمْ ـ فَلَمْ يَجِئْ ـ حَتَّى تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَمَرَ أَبُو بَكْرٍ مُنَادِيًا فَنَادَى: مَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ عِدَةٌ أَوْ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا. فَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَعَدَنِي، فَحَثَى لِي ثَلاَثًا)).(١)

وحرص الصحابة رضي الله عنهم على الوفاء بما عاهد عليه رسول الله ﷺ وبما عليه من وعد، حتى بعد موته، عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: ((رأيت رسول الله ﷺ أبيض قد شاب. وكان الحسن بن عليّ يشبهه. وأمر لنا بثلاثة عشر قلوصًا، فذهبنا نقبضها فأتانا موته فلم يعطونا شيئًا. فلمّا قام أبو بكر قال: من كانت له عند رسول الله ﷺ عدة فليجيء، فقمت إليه فأخبرته، فأمر لنا بها)).(٢)

كذلك فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع سراقة بن مالك رضي الله عنه، ففي حادثة الهجرة اتبع سراقة النبي ﷺ وأبا بكر فقال له النبي ﷺ: ((عد يا سراقة ولك سوارا كسرى)). وقبض النبي ﷺ وفي خلافة عمر بعد فتح المدائن جاء سوارا كسرى لعمر، فنادى سراقة وألبسه إياهما، وقال: هذا ما وعدك به رسول الله. إنه الوفاء لما وعد به الرسول ﷺ.(٣)

* * * * *

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قصة عُمان والبحرين، ج٥/١٢٠ ـ ١٢١.

(٢) رواه الترمذي في سننه، كتاب الأدب، باب ما جاء في العدة، ج٥/١٢٨؛ ح برقم: ٢٨٢٦.

(٣) انظر كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، القسم الثاني، (الاضطهاد والهجرة).

صبره ﷺ:

عُرِّف الصبر في اللغة أنه الحبس والكف والمنع والشدة والضم، ومنه أن يقوم الإنسان بحبس نفسه وإلزامها بشيء ما، ولو كانت تكرهه، أو أن يبتعد عن شيء ما، ولو كان يحبه، وهو قدرة الإنسان على تحمل المصاعب والابتلاءات على اختلاف أنواعها في الجسد أو الطاعات، أو غيرها من أمور الدنيا والحياة.[(١)]

وقد يكون الصبر عفة أو شجاعة أو كتمانًا أو زهدًا أو حلمًا والمؤمن يتقلب بين الصبر والشكر، وكله في النهاية صبر.[(٢)]

كما من الصبر القدرة على ضبط النفس عن القيام بالمعاصي والفواحش ما بطن منها وما ظهر، وأن يحبس الإنسان نفسه ويضبطها عن فعل عمل يُغضب الله. بهدف الحصول على رضا الله تعالى.

والصبر من أعظم الصفات التي يتحلّى بها المؤمن، وقد خصّ الله ـ تعالى ـ بالمدح والثناء أهل الصبر ابتغاء ورضاه، بقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [الرعد].[(٣)]

وحياة رسول الله ﷺ كلها صبر، والمتمعن في سيرته ﷺ يجد ذلك في كل مراحل حياته، ومن يطالع آيات الصبر في القرآن يدرك أنه ﷺ قد

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٤/٤٣٨؛
صالح بن حميد وآخرين، نضرة النعيم، ج٦/٢٤٤٣.
(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٠١٠.
(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/١٠١٠.

استشعرها وعمل بها، وهي آيات عديدة، وفي مواضع استشهاد كثيرة، وفي مواضع متعددة، علمه الله الصبر وأمره به.

قال - تعالى -: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [يونس].[١]

وقال - تعالى -: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾﴾ [المعارج].[٢]

وقال - تعالى -: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾ [المزمل].[٣]

وقال - تعالى -: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾﴾ [المدثر].[٤]

وقال - تعالى -: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإنسان].[٥]

وقال - تعالى -: ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [هود].[٦]

وقال - تعالى -: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الروم].[٧]

وقال - تعالى -: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾﴾ [غافر].[٨]

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٩٤٧.
(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٩١٦.
(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٩٣٢.
(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٩٣٤.
(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٩٤٨.
(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٩٦٩.
(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٤٥٨.
(٨) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٦٤٤.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [غافر].[1]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [النحل].[2]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة].[3]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [هود].[4]

كما جاءت العديد من الآيات الموجهة للمؤمنين للصبر وأنه عونًا للمؤمن، وهذا التوجيه باقٍ إلى يوم القيامة، قال ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [البقرة].[5]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾[آل عمران].[6]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران].[7]

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٦٤٨/٢.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٠٨١/٢.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٦٠٢/٢.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٩٥٨/١.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢٢٢/١.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٤٢٧/١.

(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٤٣٥/١.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾ [الأنفال].(١)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١١﴾ [هود].(٢)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ [النحل].(٣)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾ [فصلت].(٤)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر].(٥)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾ [البقرة].(٦)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦﴾ [النحل].(٧)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ٤٣﴾ [الشورى].(٨)

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٨٤٦.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٩٥٠.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٠٧٥.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٦٥٨.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/٢٠٢٩.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٨٧.

(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٠٥٥.

(٨) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٦٧٣.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد].(١)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [الحجرات].(٢)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ [ق].(٣)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾ [الطور].(٤)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾ [القلم].(٥)

قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾ سورة البلد.(٦)

وهناك أمثلة كثيرة على صبر النبي ﷺ في مجال الدعوة وتحمله الأذى.

كانت قريش وكفارها يصبون شتى أنواع الأذى على رسول الله ﷺ ويستهدفون ثنيه ومن معه عن الإسلام، كما كانوا يصدون الناس عن السماع لرسول الله ﷺ بعد أن انتشرت دعوته ويعقدون الاجتماعات

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٧١٦.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٧٤٤.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٧٦٠.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٧٧٣.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٩٠٨.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٩٩٧.

ويحيكون المؤامرات لمنع الناس من السماع لهذا الدين. كما كانوا يوجهون أشد أنواع الأذى الجسدي المعنوي لرسول الله ﷺ في محاولة منهم للصد عن سبيل الله.(١)

وقد جاءت أوامر الله ﷻ له بالصبر على الأذى الذي يلقاه، والارتباط بالدعوة وأهلها. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف].(٢)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأعراف](٣) وكان صبره على الأذى كما فعل الأنبياء قبله ﷺ، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنعام].(٤)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [الرعد].(٥)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد].(٦)

---

(١) انظر: الفصل الخاص بموقف زعماء قريش من دعوة الرسول وأذاهم له وللمسلمين في كتاب محمد الشنقيطي، (السيرة النبوية لابن حجر في فتح الباري)، ج١/٣٩٨.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١١٥٢/٢.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٧٧١/١.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٦٨١/١.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٠١٠/١.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٠١٠/١.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [النحل].(١)

وعن المهاجرين الصابرين على فراق الدار والمال. قال ـ تعالى ـ: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾ ﴾ [النحل].(٢)

وفي الصبر على الأذى. قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [النحل].(٣)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [المؤمنون].(٤)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ ﴾ [الفرقان].(٥)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [القصص].(٦)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [العنكبوت].(٧)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر].(٨)

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٠٦٣.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٠٧٨.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٠٨١.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٣٠٧.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٣٦٨.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٤٢٠.

(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٤٤١.

(٨) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٦١٦.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب].[١]

ومع مجاهدة الكفار أخبره الله بما قد يصيبه ويصيب أعدائه، وأمره ﷻ بالصبر وبحسن العاقبة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران].[٢]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنفال].[٣]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأنفال].[٤]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران].[٥]

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٤٩٩/٢.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٣٩٤/١.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٨٥٣/١.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٨٥٣/١.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٣٥٧/١.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران].(١)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران].(٢)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال].(٣)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة].(٤)

وأمر الله بالصبر على المصائب. قال ـ تعالى ـ: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج].(٥) وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة].(٦)

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٤٠٣.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٤٣٣.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٨٤٦.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٣١٤.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٢٧٤.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٢٢٢ ـ ٢٢٣.

وربط الصبر بأركان الإيمان. وقال ـ تعالى ـ: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾[البقرة].(١)

وقد ضرب الله ﷻ المثل لنبيه وللأمة بالأنبياء السابقين والصالحين من الأمم السابقة في صبرهم. قال ـ تعالى ـ: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحقاف].(٢)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ سورة الأعراف.(٣)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [الأعراف].(٤)

وفي بني إسرائيل. قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [الأعراف].(٥)

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٢٣٠.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١٧١٥/٢.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٧٧٧/١.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٧٧٧/١.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٧٨٠/١.

وفي إبراهيم وإسماعيل. قال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات].(١)

وفي أيوب عليه السلام قال - تعالى -: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص].(٢)

وفي موسى عليه السلام قال - تعالى -: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾ [الكهف].(٣)

وفي عدد من الأنبياء عليهم السلام قال - تعالى -: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنبياء].(٤)

وقال - تعالى -: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران].(٥)

وقال - تعالى -: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة].(٦)

وقد أمر بالصبر كما صبر المرسلون عليهم السلام من قبله.

قال - تعالى -: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الفرقان].(٧)

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٥٨٩.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٦١٠.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١١٦٦.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٢٤٧.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٤٠٤.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٤٧٧.

(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٣٥٣.

وفي لقمان. قال - تعالى -: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾ [لقمان].[١]

وقال - تعالى -: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠﴾ [القصص].[٢]

وقد عانى ﷺ من المنافقين واليهود في المدينة أيما معاناة، فكانوا يتعمدون إيذاءه، وكان أذى المنافقين أشد من غيره. ومع ذلك تعامل معهم ﷺ بصبر، وتحمل منهم وطمع في صلاحهم. ولعل حادثة الإفك وتعرض المنافقين لعرض رسول الله ﷺ في عائشة أبانت عن صبره ﷺ وصبرها، وكانت رضي الله عنها تقول: كما قال يوسف عليه السلام: ﴿... فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾ [يوسف].

وكان ﷺ صابرًا على أذى المنافقين، رغم ما أحدثوه مما كاد أن يتسبب في قتال بين الأنصار.[٣] حتى نزلت براءة عائشة في قوله تعالى: وأنزل الله - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١﴾ [النور].[٤]

وكان من أبرز أحداث غزوة بني المصطلق ما جرى من المنافقين، خصوصًا عبد الله بن أُبيّ بن سلول ومَنْ على شاكلته في زمن النبي ﷺ. ولا شك أن لهم أتباعًا في كل زمان، من أذى للرسول ﷺ وللمؤمنين استدعى منهم الصبر، وما نزل من آيات قرآنية في أولئك المنافقين.

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٤٦٣.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٤٢٥.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، ج٥/٥٥ - ٥٩.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/ ١٣١٦.

ففي تلك الغزوة اقتتلَ عند الماء رجلان، أحدهما من غفار أجير لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، والآخر حليف لأحد الأنصار، فصرخ أجير عمر يا معشر المهاجرين: وصرخ حليف الأنصاري: يا للأنصار، وكاد الشر أن يقع بين المسلمين. فلما سمع رسول الله ﷺ بذلك قال: ((أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم دعوها فإنها منتنة)).(١)

وكان عبد الله بن أُبيّ زعيم المنافقين بين أناس من الأنصار، ومعهم زيد ابن أرقم رضي الله عنه صحابي صغير في السن، يستمع لما يجري فقال ابن أُبيّ مستثيرًا القوم: أوقد فعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما عدنا وجلابيب قريش إلا كما قال الأول (سمِّن كلبك يأكلك). أما والله لئن رجعنا إلى المدينة (ليُخرِجنّ الأعزُّ منها الأذلَّ)، ثم أقبل يلوم من حوله من الأنصار قائلاً: ((أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير دياركم)).

فذهب زيد بن أرقم رضي الله عنه وهو غلام حدث، فأخبر رسول الله ﷺ بما قال عبد الله بن أُبيّ رضي الله عنه وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حاضرًا فقال: يا رسول الله ﷺ مُرْ به فأقتله، فقال ﷺ: ((فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه؟!)).(٢)

والحديث عن المنافقين وصبره ﷺ عليهم يطول. وهناك كتب متخصصة تحدثت عن مواقفهم، حيث لا تكاد غزوة تخلوا منهم سوى غزوة بدر.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾، ج٦/٦٦ ـ ٦٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب سورة المنافقين: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ ﴾، ج٦/٦٣ ـ ٦٧؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج٣/٢٩١.

وأما اليهود فتعامل معهم ﷺ بعدل ووفاء وصبر، حتى إذا خانوا وقف منهم موقفًا حازمًا، وتمكن من تطهير المدينة من جماعاتهم التي حاربته، أما من كان منهم مسالمًا فقد بقي دون أذى.

صبره عند فقد أهله وأحبابه ﷺ: في السنة العاشرة من البعثة النبوية،(١) توفيت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها. وكانت مساندة له ﷺ، وكان راضيًا عنها محبًا لها، مُبشرًا لها بالجنة في أكثر من موضع، وكان فقدها صعبًا عليه ﷺ ،حيث كان محبًا لها يأنس بها، لديه بنات منها يحتجن للرعاية، وكان في مرحلة صعبة من تضييق قريش عليه. وقد كانت وفاتها في العام الذي توفى فيه عمه أبو طالب. وكان خير مدافع عن رسول الله ﷺ، ولذلك سمي هذا العام عام الحزن.(٢)

وقبيل وفاة أبي طالب أصابه المرض واشتكى في السنة العاشرة من البعثة،(٣) وكان الرسول ﷺ مشفقًا على عمه داعيًا إياه للإسلام والخير، منذ مبعثه، ولكنه لم يؤمن ويعلن إسلامه. وفي الوقت نفسه لم يتوقف عن مساندة الرسول ﷺ ودعمه والوقوف معه وحمايته، روى البخاري: ((أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل فقال: أي عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟، فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به هو على ملة عبد المطلب. فقال النبي: "لأستغفرن لك ما

(١) انظر: ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١/٢١١.

(٢) الصلابي، السيرة النبوية، ج١/٣٦٧.

(٣) انظر: ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج١/٢١١.

لم أُنه عنه))،[١] فنزل قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣﴾ [التوبة].[٢]

ونزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦﴾ [القصص].[٣]

وقد كان النبي ﷺ محبًا لعمه مشفقًا عليه، يرى معروفه ويشكر له وقوفه إلى جانبه، ويدرك أن لا منقذ من النار لأي كان إلا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وكان ﷺ حريصًا أشد الحرص على أن يقولها أبو طالب، ولكن حضور أبي جهل وأمثالهم من شياطين الجن وتأكيدهم على ملة عبد المطلب، حيث لم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به هو على ملة عبد المطلب.[٤] ومات على ذلك فحزن النبي ﷺ حزنًا شديدًا.

كان أبو طالب مساندًا للرسول ﷺ، وبموته خفّ دعم النبي ﷺ وضعف مناصروه وتزامن ذلك مع وفاة خديجة، فسمي ذلك العام بعام الحزن وهو عام صبر ومصابرة.[٥]

وفي حياته ﷺ ماتت جميع بناته عدا فاطمة رضي الله عنها، وكان لكل واحدة منهن حادث وحديث، فكان يحزن لفقدهن ويصبر ﷺ.[٦]

---

(١) انظر: رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب قصة أبي طالب، ج٤/٢٤٧.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٩١١.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٤٢١.

(٤) من رواية البخاري في صحيحه، باب قصة أبي طالب، ج٤/٢٤٧.

(٥) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٤١٦؛ عثمان الخميس، كنوز السيرة، ص ٨٠، ٨٢.

(٦) انظر الحديث عن وفيات بنات النبي ﷺ في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، القسم الخامس المعايشون للمصطفى ﷺ).

توفيت ابنته رقية رضي الله عنها في رمضان من السنة الثانية من الهجرة قبيل عودة الرسول ﷺ من غزوة بدر، ودفنت في البقيع، وكان عمرها اثنتين وعشرين سنة، وحين عودته ﷺ من بدر زار قبرها، ودعا لها رحمة لها، مما أثار رقة النساء فبكين.(١)

و مرضت ابنته زينب رضي الله عنها بعد سنة من قدوم زوجها أبو العاص بن الربيع، إلى المدينة حيث سبق أن ألقاها مشركو مكة من على جملها، فمرضت وتوفيت بسبب ذلك المرض. وكانت وفاتها في السنة الثامنة من الهجرة.(٢) وقد بكى ﷺ، وعُرِف بكاؤه لموت ابن ابنته زينب. وقد مات أحد أبناء ابنته زينب رضي الله عنها، عن أسامة قال: (كان ابن لبعض بنات النبي ﷺ يقضي، فأرسلتْ إليه أن يأتيها، فأرسل: إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل إلى أجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب. فأرسلت إليه، فأقسمت عليه، فقام رسول الله ﷺ، وقمت معه ومعاذ بن جبل وأُبي بن كعب وعبادة بن الصامت. فلما دخلنا ناولوا رسول الله ﷺ الصبي ونفسه تقلقل في صدره، حسبته قال: كأنها شنة، فبكى رسول الله ﷺ، فقال سعد بن عبادة: أتبكي؟ فقال: "إنما يرحم الله من عباده الرحماء").(٣)

وقد تزوج عثمان أم كلثوم رضي الله عنها بعد رقية فأحبها وأحبته، وعاشت مع عثمان رضي الله عنه ست سنوات، حتى توفيت في شهر شعبان من السنة التاسعة من الهجرة.(٤)

---

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٢٥.

(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٥٠؛ وابن سعد، الطبقات، ج٨/٣٧؛ وخليفة بن خياط، تاريخه، ص ٦٥.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، ج٧/١٨٦؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، ج٣/٣٩.

(٤) انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥/٦١٢؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٥٢؛ وابن كثير، السيرة النبوية، ج٤/٧٤.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((رأيت النبي ﷺ جالسًا على قبرها ـ يعني أم كلثوم رضي الله عنها ـ وعيناه تدمعان، فقال: فيكم أحد لم يقارف الليلة؟ فقال أبو طلحة: أنا. قال: انزل)).[1] ودفنت في البقيع، وكان ﷺ يقرأ: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ [طه].[2]

كما توفي ابنه إبراهيم عليه السلام من مارية القبطية، فدمعت عيناه وحزن وصبر ﷺ، روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين، وكان ظئرًا لإبراهيم، فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم، فقبله وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان. فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟! فقال: يا ابن عوف؛ إنها رحمة، ثم أتبعها بأخرى، فقال ﷺ: إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون)).[3]

وقد تعرض عدد من أصحابه للقتل والشهادة، وخصوصًا في غزواته ﷺ ولكل منهم قصة. وعلى رأسهم سيد الشهداء حمزة بن عبد المطب رضي الله عنه عم النبي ﷺ الذي استشهد في أحد مع عدد من الشهداء من أصحاب رسول الله ﷺ وصل عددهم إلى السبعين رجلاً، منهم حمزة[4] وسعد بن

---

(١) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب من يدخل قبر المرأة، ج٢/٩٣.

(٢) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج١٦/٢٠١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب قوله ﷺ (إنا بك لمحزونون)، ج٢/٨٤، ٨٥.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قتل حمزة، ج٥/٣٦ ـ ٣٧؛ ابن إسحاق، السيرة النبوية، ص ٣٠٨؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٤/٣١٨؛ ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٤١.

الربيع،(١) ومصعب بن عمير،(٢) وعبد الله بن جحش،(٣) وحنظلة الغسيل وغيرهم رضي الله عنهم وكان ﷺ صابرًا محتسبًا علم أصحابه أنه: لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار.(٤)

وكذلك استشهد سعد بن معاذ رضي الله عنه وغيره في غزوة الأحزاب، فحزن ﷺ عليه وعليهم حزنًا كبيرًا، وصبر على ما أصابه ﷺ فيهم.

صبره ﷺ في مرضه: تعرض ﷺ للمرض في حياته أكثر من مرة. وكان صابرًا محتسبًا مع أنه يتألم أكثر من غيره ﷺ. ولعل من أشد ما تعرض له مرضه ﷺ قبل وفاته، وما نقل من أخباره، تدل على صبره العظيم، وتصرفه وسلوكه إبان ذلك المرض المؤلم.

ففي أواخر شهر صفر وقبل وفاته ﷺ بخمسة وعشرين يومًا تقريبًا بدأت شكوى رسول الله ﷺ. وكان صابرًا محتسبًا لا يشتكي، لكن مناسبة أظهرت شكواه. تقول عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ: ((رجع إلي النبي ﷺ من البقيع فوجدني وأنا أجد صداعًا وأنا أقول: وا رأساه، قال: بل أنا والله يا عائشة وا رأساه،(٥) قالت: ثم قال: وما ضرك لو مِت قبلي فغسلتك

---

(١) الواقدي، المغازي، ج١/٢٩٣؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٤/٣٢٦.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب من قتل من المسلمين يوم أحد منهم ... ومصعب بن عمير، ج٥/٣٨ ـ ٣٩.

(٣) الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٤/٣٢٢.

(٤) انظر: صحيح البخاري (فتح الباري)، ج١٥/٢٢٧؛ ابن إسحاق، السيرة، ص ٣١٣؛ الواقدي المغازي، ج١/٢٩٧؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٤/٣٢٥.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المرض، باب قول المريض إني وجع أو وارأساه أو اشتدّ بي الوجع، ج٧/٨؛ وانظر: الرواية الأخرى في كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٥/١٤٢؛ وانظر: كتاب الأحكام، باب الاستخلاف، ج٨/١٢٥؛ وانظر: الإمام أحمد في مسنده، ج٦/٢٢٨.

وكفنتك، وصليت عليك ودفنتك؟ قالت: قلت: والله لكأني بك لو قد فعلت ذلك لقد رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك قالت: فتبسم رسول الله ﷺ. وتتام به وجعه وهو يدور على نسائه، حتى استعزّ به وهو في بيت ميمونة فدعا نساءه، فأستأذنهن في أن يمرض في بيتي، فأذن له)).(١)

ولما اشتدّ عليه المرض ﷺ كان يسأل: ((أين أنا غدًا أين أنا غدًا يريد يوم عائشة رضي الله عنها، فأذِنَّ له أزواجه يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة رضي الله عنها حتى مات عندها)).(٢) وتوضح بعض الروايات كيفية انتقاله ﷺ للتمريض في بيت عائشة.(٣)

وقد نقلت لنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بكل صدق وأمانة موقفًا يبين مكانة فاطمة رضي الله عنها من رسول الله ﷺ، وما خصها به من علم لم يعطه أحدًا قالت: ((أقبلت فاطمة تمشي كان مشيتها مشيّ النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: مرحبًا بابنتي ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسر إليها حديثًا فبكت. فقلت لها: لم تبكين؟ ثم أسر إليها حديثًا فضحكت. فقلت: ما رأيت كاليوم فرحًا أقرب من حزن. فسألتها عما قال؟ فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ، حتى قبض النبي ﷺ فسألتها. فقالت: أسر إليّ أن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقًا بي فبكيت. فقال: أما ترضين أن

---

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب المغازي باب مرض النبي ﷺ ووفاته ، ج٥/١٣٩ - ١٤٠. والآية رقم ٣٠ من سورة البقرة؛

ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٤٣؛ وانظر: البخاري في صحيحه، ح برقم: ٤٤٤٢؛ وانظر الإمام أحمد في مسنده، ج٦/٢٢٨.

(٢) من حديث البخاري في صحيحه، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٥/١٤٢.

(٣) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٥/١٣٨.

تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين؟ فضحكت لذلك)).(١)

ومن المواقف الأخرى الخاصة بفاطمة رضي الله عنها أنه لما ثقل النبي ﷺ قالت فاطمة رضي الله عنها: (واكرب أباه، فقال ﷺ: "ليس على أبيك كرب بعد اليوم").(٢)

وحينما زاد عليه المرض ﷺ كان يصعب عليه الكلام. وقد ثبت عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: ((لما ثقل رسول الله ﷺ هبطت وهبط الناس بالمدينة فدخلت على رسول الله ﷺ وقد أصمت فلم يتكلم، فجعل رسول الله ﷺ يضع يديه عليّ ويرفعهما فأعرف أنه يدعو لي)).(٣)

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك فمسسته بيدي فقلت يا رسول الله: إنك لتوعك وعكًا شديدًا، فقال رسول الله ﷺ: أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم. قال: فقلت: ذلك أن لك أجرين؟ فقال ﷺ: أجل، ثم قال ﷺ: ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها)).(٤)

وقد اجتمع عليه ﷺ أهل بيته وقد اشتدّ به الوجع،(٥) فتشاوروا فيما

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء، وانظر: البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ج٤/ ١٨٣؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب فضائل فاطمة رضي الله عنها بنت النبي ﷺ، ج٧/ ١٤٢، ١٤٣؛ والترمذي في سننه، كتاب المناقب، ح برقم: ٣٩٦٤.

(٢) من حديث البخاري في صحيحه، ج١٤٤/٥.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٦٥١/٤؛ رواه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب أسامة بن زيد رضي الله عنه، ج٦٧٧/٥، ح برقم: ٣٨١٧؛ ورواه أحمد في مسنده، ج٢٠١/٥، ح برقم: ٢١٢٤٨.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى والطب، باب وضع اليد على المريض، ج٦/٧، ٧، وأيضًا كتاب المرضى والطب، باب أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأول فالأول، ج٣/٧.

(٥) انظر: أحمد جاد، وفاة الحبيب، ص ٦٤.

بينهم، فقرروا أن يلدُّوه بدواء جيء به من الحبشة (أي يدخل دواء في جانب فمه) وهو دواء خاص بذات الجنب، فأشار إليهم ﷺ أن لا يفعلوا ذلك، فقالوا كراهية المريض للدواء، فأمر رسول الله ﷺ أن يُلدَّ كل من شهد ذلك لا يبقى أحد في البيت إلا لُدَّ وأنا أنظر إليه إلا العباس، فإنه لم يشهدكم،(١) وقد أراد رسول الله ﷺ القصاص منهم تطهيرًا لهم، فالخطأ في حقه أعظم من غيره، خشية أن يأتوا يوم القيامة ويحاسبوا على فعل عصوا فيه رسول الله ﷺ فكان حريصًا على التكفير عنهم بالقصاص رحمة بهم، لا انتقامًا كما يظن البعض.(٢)

كما ثبت أنه حين أشتد عليه وجعه قال ﷺ: ((اهريقوا عليَّ من سبع قرب لم تحل أوكيتهن لعلى أعهد إلى الناس، فأجلسناه في مخضب لحفصة زوج النبي ﷺ، ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب، حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتنّ قالت: ثم خرج إلى الناس فصلى لهم وخطبهم)).(٣)

كما ثبت عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ((لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم كشفها عن وجهه)).(٤)

وكان من سنته ﷺ أن ينفث على نفسه في صحته ومرضه ﷺ. وقد ورد عن عائشة رضي الله عنها: ((أنّ رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح عنه بيده، فلما اشتكى وجعه الذي توفيّ فيه طفقت أنفث

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج١٤٣/٥.

(٢) انظر الزرقاني، المواهب اللدانية بالمنح المحمدية، ج٣٧٩/٣؛
وانظر كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، القسم الرابع، (وفاة النبي ﷺ).

(٣) من حديث البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب الغسل والوضوء في المخضب والقدح والخشب والحجارة، ج٥٧/١.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الصلاة في البيعة، ج١١٢/١.

على نفسه بالمعوذات التي كان ينفث، وامسح بيد النبي ﷺ عنه)).[(١)]

وقد ورد أنه ﷺ كان يشتكي من السم الذي أكله في شاة اليهودية، في الطعام الذي صنعته لرسول الله ﷺ في خيبر، وأرادت به قتله ﷺ. فقد ورد عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان رسول الله ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر أو إن وجدت انقطاع أبهري في ذلك السم)).[(٢)]

وفي الأيام الأخيرة اشتدّ الألم برسول الله ﷺ. وكان يجتمع عنده أهل بيته وخاصة أصحابه للسلام والاطمئنان عليه. وكان من لم يدخل عليه يسأل من دخل عليه، وأن عليًّا رضي الله عنه خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه فقال الناس: يا أبا حسن كيف أصبح رسول الله ﷺ قال: أصبح بحمد الله بارئًا فأخذ بيده العباس رضي الله عنه فقال: أنت، والله بعد الثلاث عبد العصا، والله إني لأرى رسول الله ﷺ سيتوفى في وجعه، وإني لأعرف في وجوه بني عبد المطلب الموت .... إلى آخره.[(٣)]

وهذه الرواية تدل على إحساس العباس رضي الله عنه عم النبي ﷺ بحال النبي وشدة مرضه ودنو أجله.

وقد ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((ثقل برسول الله ﷺ وجعه فقال: أصلى الناس؟ قلنا: لا. هم ينتظرونك يا رسول الله فقال: صبوا ماء في المخضب ففعلنا، قالت فأغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ثم أفاق فقال: أصلى

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٥/١٣٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٥/١٣٧.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٥/١٤٠، ١٤١؛ وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ص ٦٥٤.

الناس؟ قلنا: لا هم ينتظرونك يا رسول الله والناس عكوفاً في المسجد ينتظرون رسول الله ﷺ لصلاة العشاء، فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبي بكر رضي الله عنه ليصلي بالناس، فكان أبو بكر رضي الله عنه رجلاً رقيقًا، فصلى بهم أبو بكر تلك الأيام)).(١)

كان رسول الله ﷺ قد انقطع عن الصلاة بالمسلمين قبل الوفاة ثلاثة أيام. الجمعة والسبت والأحد مع أن حجرته تعد داخل المسجد وفي طرفه، وفي صبيحة يوم الاثنين الذي توفي فيه رسول الله ﷺ حرص رسول الله على الاطمئنان على المسلمين ووحدتهم واصطفافهم للصلاة جماعة، خلف أبي بكر الصديق. فقد روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((إن المسلمين بينا هم في صلاة الفجر من يوم الاثنين وأبو بكر يصلي لهم، لم يفاجئهم إلا رسول الله ﷺ قد كشف ستر حجرة عائشة، فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة، ثم تبسم يضحك، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة، قال أنس: وهمّ المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحًا برسول الله ﷺ فأشار إليهم رسول الله بيده ﷺ أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر)).(٢) ولم يستطع الخروج للصلاة معهم.

ولعل حديث أنس عن حال فاطمة رضي الله عنها بنت النبي ﷺ مع أبيها كان يوم وفاته ﷺ: (لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه، فقالت فاطمة عليها السلام: وا كرب أباه،

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٥٢؛ وعثمان الخميس، كنوز السنة، ص ٤٢١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٥/١٤١؛ وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٥٣.

فقال لها ﷺ: "ليس على أبيك كرب بعد اليوم").(١)

ورواية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وابن عباس رضي الله عنهما في صحيح البخاري، قالا: (لما نزلت برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتمّ كشفها عن وجهه وهو كذلك يقول: "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد")،(٢) يحذر ما صنعوا، كما أكدت عائشة رضي الله عنها في رواية أخرى قالت: (لولا ذلك لأبرز قبره خشية أن يتخذ مسجداً).(٣)

وقبل وفاته ﷺ أخذته بُحة، وفهمت عائشة رضي الله عنها ما كان يقول، تقول رضي الله عنها: (فسمعت النبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه وأخذته بحة، يقول: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء]، قالت: فظننت خيراً حينئذ).(٤)

وكانت وفاته ﷺ يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول من السنة الحادية عشر من الهجرة الموافق ٨ حزيران ٦٣٣م وذلك في الضحى قبل منتصف النهار في فصل الصيف.(٥)

---

(١) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٥/١٤٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الصلاة في البيعة، ج١/١١٢.

(٣) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، ج٢/٩٠، ٩١، ح برقم: ٤٤٤١.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ، ج٥/١٣٨ح برقم: ٤٤٣٥؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب في فضل عائشة رضي الله عنها، ج٧/١٣٧.

(٥) أبو تراب الظاهري، ذهول العقول بوفاة الرسول ﷺ، ص ٤٢؛ و عبد السلام الترمانيني، أزمنة التاريخ الإسلامي، ص ٢٩.

قالت عائشة: فلما نزل برسول اللّه ﷺ ورأسه على فخذي، غُشي عليه ساعة ثم أفاق، فأشخص بصره إلى السقف ثم قال: "اللهم الرفيق الأعلى".(١) قالت عائشة: إذًا لا يختارنا.

وفي وراية لعائشة رضي الله عنها أنه كان: (بين يديه ركوة أو شيء فيه ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه يقول: "لا إله إلا اللّه إن للموت سكرات"، ثم نصب يده فيقول: "في الرفيق الأعلى" حتى قبض ومالت يده).(٢)

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب من تسوك بسواك غيره، ح برقم: ٤٤٦٣؛ وانظر: ح برقم: ٨٩٠؛ وابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٥٥؛ انظر البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب آخر ما تكلم به النبي ﷺ، ج٥/١٤٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٥/١٤١، ١٤٢؛ ح برقم: ٤٤٤٩؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٥٥.

حلمه وعفوه ﷺ:

الحِلم: مَصْدَرُ حَلُمَ فُلاَنٌ أَيْ صَارَ حلِيمًا، ويَدُلُّ عَلَى تَرْكِ العَجَلَةِ، يُقَالُ الحِلْمُ خِلاَفُ الطَّيْشِ، ويعني الأَنَاةُ وَالعَقْلُ وعدم الاستفزاز والبعد عن الغضب والطمأنينة، وترك الانتقام واحتمال الأذى مع القدرة وضَبْطُ النَّفْسِ عِنْدَ هيَجَانِ الغَضَبِ، مع الرزانة والتحمل، مع القدرة على الانتصار، وهو من أشرف الأخلاق وأعزها.(١)

والحِلم من صفات الكمال لله سبحانه وتعالى التي يحب أن يتصف بها عباده، ومن أسماء الله الحسنى [الحليم]. وحِلْمُ اللهِ صفة تعني تَأْخِيرَهُ العُقُوبَةَ عَنِ الْمُسْتَحِقِّ لَهَا، وهو بعض من رحمته ـ سبحانه ـ فهو حَلِيمٌ بعِبَادِهِ؛ لأَنَّهُ يَعْفُو عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ وَيُمْهِلُهُمْ بَعْدَ الْمَعْصِيَةِ وَلاَ يُعَاجِلُهُمْ بِالْعُقُوبَةِ والانْتِقَامِ وَيَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ.(٢)

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ [المدثر].(٣)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾ [البقرة].(٤)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِيٓ أَنفُسِكُمْۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج١٢/١٤٦.

(٢) انظر: محمد إبراهيم الحمد، رسائل في العقيدة، الرياض: دار ابن خزيمة ١٤٢٣هـ، ص١٨٩ ـ ٢٠١.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/١٩٣٩.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٢٨٢.

مَّعۡرُوفٗاۚ وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿٢٣٥﴾﴾ [البقرة].[1]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ﴿٢٦٣﴾﴾ [البقرة].[2]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٥٥﴾﴾ [آل عمران].[3]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿١٢﴾﴾ [النساء].[4]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٠١﴾﴾ [المائدة].[5]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء].[6]

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٣٠٠.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٣٢٧.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٤١١.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٤٤٩.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٦٦١.

(٦) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١١٢٠.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الحج].(١)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الحج].(٢)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ ﴾ [الأحزاب].(٣)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ [فاطر].(٤)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [التغابن].(٥)

و الحلم من صفة الأنبياء عليهم السلام. قال ـ تعالى ـ عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ [التوبة].(٦)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ [هود].(٧)

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٢٨٤.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٢٨٤.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٥١١.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٥٦٠.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٨٨٢.

(٦) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٩١١.

(٧) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٩٦١.

وقد وصف الأنبياء بالحلم ومنهم شعيب عليه السلام، قال ـ تعالى ـ: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾ [هود].[1]

كما وصف نبي الله إسماعيل عليه السلام بالحلم، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الصافات].[2]

عَنْ عبد اللّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: ((كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَحْكِي: نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، فَهُو يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ)).[3]

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رحمه الله فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الفرقان]: (حُلَمَاءُ إِنْ جُهِلَ عَلَيْهِمْ لَمْ يَجْهَلُوا).[4]

والله سبحانه وتعالى بحلمه يؤخر المستحقين للعقوبة، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [النحل].[5]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الكهف].[6]

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٩٦٥/١.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١٥٨٩/٢.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، ج٥/ ١٧٩.

وانظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب ما أصاب النبي ﷺ يوم أحد، ج٣٧/٥.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١٣٦٣/٢.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١٠٦٥/٢.

(٦) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١١٦٢/٢.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾ [فاطر].(١)

ومما ورد في الثناء على الحلماء والعاقبة لهم ما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: ((إِنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ. فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ)).(٢)

وكان ﷺ يراقب أصحابه، ويثني على الحلماء منهم، فقد قال ﷺ لأشج عبد القيس: ((إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللّهُ: الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ)).(٣)

وإن كان الثناء على أشج عبد القيس لكن فيه إشارة واضحة لحب اللّه للحلم الذي يتصف به الأشج.

ويؤيد ذلك ما رواه أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: ((التَّأَنِّي مِنَ اللّهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَمَا أَحَدٌ أَكْثَرُ مَعَاذِيرَ مِنَ اللّهِ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَى اللّهِ مِنَ الْحِلْمِ)).(٤)

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٥٦١.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحمة وتحريم قطيعتها، ج٨/٨.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان باللّه ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه، ج١/٣٦؛ ورواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب وفد عبد القيس، ج٥/١١٦ ـ ١١٧؛ ورواه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التأنّي والعجلة، ج٤/٣٦٦، ح برقم: ٢٠١١ وقال: حسن صحيح غريب.

(٤) رواه أبو يعلى في مسنده، سعيد بن سنان عن أنس، ج٦/١٨٨، ح برقم: ٤٢٥٦؛ والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج٨/١٩، وله شاهد من حديث سهل بن سعد عند الترمذي رقم (٢).

كما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((السَّمْتُ الْحَسَنُ وَالتُّؤَدَةُ وَالاقْتِصَادُ جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ)).(١)

ومن الحلم التؤدة وعدم الغضب، قَالَ ﷺ: ((لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ))(٢) وقد ابتلي الرسول ﷺ والمؤمنون معه بأذى المشركين، وكان يحلمون ويعفون، قال ـ تعالى ـ: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [آل عمران].(٣)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [البقرة].(٤)

وكان ﷺ حليمًا رفيقًا تمثل ذلك فيما ورد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: ((كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللَّهِ قَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ثُمَّ ضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ)).(٥)

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب من يملك نفسه عند الغضب، ج٨/٣٠؛ ورواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، ج٧/٩٩؛ ورواه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب في كظم الغيظ، ج٤/٣٧٢، ح برقم: ٢٠٢١. وقال: حسن غريب.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧]، ج٧/٩٩.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٤٢٦.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/١٨٤.

(٥) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب البرود والحبرة والشملة، ج٧/٤٠؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة، ج٣/١٠٣.

والأمثلة في حلمه ﷺ ما روي عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ((هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلِ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَومِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعبد اللَّهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)).(١)

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: ((اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ. فَقُلْتُ: بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ: إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ. قُلْتُ: أَوَ لَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: قُلْتُ: عَلَيْكُمْ)).(٢)

كما شهدت أم المؤمنين له ﷺ فيما يدل على حلمه. قالت: (ما خير رسول اللّه ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول اللّه ﷺ لنفسه، إلا أن تنتهك حرمة اللّه فينتقم للّه بها).(٣)

---

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غُفر له ما تقدم من ذنبه، ج٤/٨٣؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، ج٥/١٨١.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، ج٧/٨٠؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، ج٨/٢٢.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، ج٧/٨٠؛ رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب الرفق، ج٨/٢٢.

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما: (أن رسول الله ﷺ ركب على حمار عليه قطيفة فدكية، وأسامة وراءه، يعود سعد بن عبادة في بني حارث بن الخزرج قبل وقعة بدر، فسارا حتى مرا بمجلس فيه عبد الله بن أبي ابن سلول وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أُبي، فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود. وفي المسلمين عبد الله بن رواحة. فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر ابن أبي أنفه بردائه وقال: لا تغبروا علينا فسلم رسول الله ﷺ عليهم ثم وقف فنزل، فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن. فقال له عبدالله بن أبي ابن سلول: أيها المرء لا أحسن مما تقول إن كان حقاً فلا تؤذنا به في مجالسنا، فمن جاءك فاقصص عليه. قال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله فاغشنا في مجالسنا فإنا نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون. فلم يزل رسول الله ﷺ حتى سكتوا، ثم ركب رسول الله ﷺ دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة. فقال رسول الله ﷺ أي سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب؟ يريد عبد الله بن أبي قال كذا وكذا؟ فقال سعد بن عبادة: أي رسول الله، بأبي أنت اعف عنه واصفح، فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك. ولقد اصطلح أهل هذه البحرة على أن يتوجوه ويعصبوه بالعصابة، فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاك شرق بذلك، فذلك فعل به ما رأيت فعفا عنه رسول الله ﷺ).[1]

ولعل هذا الموقف وأمثاله ينطبق عليه ما أمر الله ﷻ نبيه ﷺ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الزخرف].[2]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب كنية المشرك، ج١٢٠/٧.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١٦٨٧/٢.

وكان رسول الله ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى قال الله ـ تعالى ـ: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [آل عمران] وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [البقرة]. فكان رسول الله ﷺ يتأول في العفو عنهم ما أمره الله به، حتى أذن له فيهم. فلما غزا رسول الله ﷺ بدرًا، فقتل الله بها من قتل من صناديد الكفار وسادة قريش فقفل رسول الله ﷺ وأصحابه منصورين غانمين معهم أسارى من صناديد الكفار وسادة قريش. قال ابن أُبي ابن سلول ومن معه من المشركين عبدة الأوثان هذا أمر قد توجه فبايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام فأسلموا.[1]

وحلمه ﷺ وعفوه عن حاطب بن أبي بلتعة حينما كاتب المشركين يخبرهم أن الرسول ﷺ وجيشه في طريقهم لفتح مكة، فقال عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وطلب الإذن بقتله وقال إنه منافق فقال ﷺ: ((وما يدريك لعل الله قد اطلع إلى أهل بدر فقال قد غفرت لكم)).[2]

ومن أشهر أقوال الصحابة في الحلم قول عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: (لَيْسَ الْخَيْر أَنْ يَكثُرَ مَالُكَ وَوَلَدُكَ، وَلَكِنَّ الْخَيرَ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ وَيَعْظُمَ حِلْمُكَ، وَأَنْ لاَ تُبَاهِيَ النَّاسَ بِعِبَادَةِ اللهِ، وَإِذَا أَحْسَنْتَ حَمِدْتَ اللّهَ تَعَالَى، وَإِذَا أَسَأْتَ

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب كنية المشرك، ج٧/١٢٠.
(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدرًا، ج٥/٩، ١٠.

اسْتَغْفَرْتَ اللَّهَ تَعَالَى).[1] وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إِنَّ أَوَّلَ مَا عوِّضَ الْحَلِيمَ مِنْ حِلْمِهِ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ أَعوانُهُ عَلَى الْجَاهِلِ).[2]

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا ٩٩﴾ [النساء].[3]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ١٤٩﴾ [النساء].[4]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣﴾ [المائدة].[5]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥﴾ [الحجر].[6]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢﴾ [النور].[7]

---

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٣/٨.

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٣/٨.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٥٢٢.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٥٤٦.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٥٩٦.

(٦) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٠٥١.

(٧) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٣٢٢.

وقال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [التغابن].(١)

وجاءت صفات رسول الله في القرآن، قال - تعالى -: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران].(٢)

لرسول الله ﷺ مواقف كثيرة كلها تسامح وعفو عن مقدرة. وقد اختبر حلمه بعض يهود، الذين أسلموا، قبل إسلامه؛ ليتحققوا من صفاته التي عرفوها ومنها الحلم، كما في قصة زيد بن سعنة اليهودي قبل أن يسلم.

فقد تحقق، وهو من أحبار اليهود، من عدد من علامات النبوة في رسول الله ﷺ. يقول زيد بن سعنة رضي الله عنه: (لم يبقَ من علامات النبوة إلا وقد عرفتُه في وجهه ﷺ حين نظرت إليه، إلا اثنتين لم أخبرهما فيه: حلمه يسبق جهلَه ،ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حِلمًا. قال زيد: فكنت أتلطّف لأن أُخالطَه، فأعرف حِلمَه وجهلَه، فابتعت منه تمرًا إلى أجل فلما كان قبل مجيء الأجل بيومين أو ثلاثة، أتيتُ محمدًا ﷺ فأخذت بمجامع قميصه، ورداؤه على عنقه، ثم قلت: ألا تقضيَنَّ يا محمد حقي؟ فوالله إنكم يا بني عبد المطلب قوم مُطُل.

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٨٨٢.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٤١٣.

فنظر إليه عمر رضي الله عنه وقال: أي عدو الله تقول لرسول الله ما أسمع؟ ... قال: ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر بسكون وتُؤَدَةٍ و تبسُّم، ثم قال ﷺ: أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر: أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التِّباعة، ثم قال ﷺ: "اذهب يا عمر فاقضِه حقّه وزِدْه عشرين صاعًا مكان ما رُعْتَهُ " ففعل رضي الله عنه. ثم قال زيد لعمر ما حملني على ما رأيتني صنعت إلاَّ أنّي كنت رأيت صفاته التي في التوراة كلّها إلا الحِلْم، فاختبرت حِلْمَه اليوم، فوجدته على وصف التوراة، وإني أُشهدُك أن هذا التمر وشطرَ مالي إلى فقراء المسلمين، وأسلم زيد وأهل بيته).[1]

* * * * *

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج١/٥٦٦؛ وانظر الرواية عند: ابن حبان في صحيحه، ج١/٥٢١، وغيرهم بأسانيدهم، وضعف بعضهم القصة. وتعرض لها الذهبي في سير أعلام النبلاء، ج١/٤٤٤.

الكرم والسخاء في حياة النبي ﷺ:

الكرم والسخاء والجود: كلمات مترادفة تعني العطاء والبذل وسخاء النفس وجودها، وهي ضد البخل واللؤم. الكرم في اللغة يعني: بذلَ الشَّيء وإعطاءه والجود به. والبَذْل نقيض المنع، وكلُّ مَن طابت نفسه لشيءٍ فهو باذلٌ. ورجلٌ بذَّال، وبَذُول: إذا كَثُر بذله. والكريم هو من يبذل بطيب نفس، والكرم يكون بالمال والأخلاق والمساعدة عمومًا والصفات الحسنة. وهي فضيلة اشتهرت بين الناس، واتصف بها بعض العرب في الجاهلية.(١)

والكريم من صفات الله وأسمائه الحسنى - تبارك وتعالى - التي اتصف بها ﷻ.(٢) وقد وردت تلك الصفة لله ﷻ في عدة مواضع من كتاب الله تعالى، منها قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦﴾ [الانفطار].(٣) وقال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣﴾ [العلق].(٤)

وقال - تعالى -: ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ۝٤٠﴾ [النمل].(٥)

وعرشه كريم ﷻ، قال ﷻ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ۝١١٦﴾ [المؤمنون].(٦)

---

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٢/٥١٠؛ الزبيري، تاج العروس، ج٩/٤١.

(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٢/٥١١؛ الزبيري، تاج العروس، ج٩/٤١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٨٦٩.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/٢٠١١.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٣٠٨.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٣٩٦ - ١٣٩٧.

وهو يكرم من يشاء من خلقه. قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ۝١٥﴾ [الفجر].(١)

وتأكدت صفة الكرم عند الله ﷻ في أحاديث عن النبي ﷺ فقد روي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إن الله حيي كريم، يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرا خائبتين)).(٢)

كما روى سهل بن سعد رضي الله عنه قال ﷺ: ((إن الله كريم يحب الكرم، ويحب معالي الأخلاق، ويكره سفسافها)).(٣)

وقد وصف الله نبيه موسى عليه السلام بالكرم. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا قَبۡلَهُمۡ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ وَجَآءَهُمۡ رَسُولٞ كَرِيمٌ ۝١٧﴾ [الدخان].(٤)

ووصف جبريل عليه السلام بأنه كريم، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠﴾ [الحاقة].(٥) وفي موضع آخر قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩﴾ [التكوير].(٦)

ووصف الملائكة في موضع آخر بالكرم. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ۝٢٦﴾ [الأنبياء].(٧)

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ۝٧٠﴾ [الإسراء].(٨)

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ، ج٢/١٩٩٤.

(٢) رواه الترمذي في سننه، ج٥/٥٧٥، ح برقم: ٣٥٥٦؛ وأبو داود في سننه، ص ٢٦٥، ح برقم: ١٤٨٨.

(٣) رواه الطبراني في السنن الكبير ، ج٣/٥٢١، ح برقم: ٥٧٩٥.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٦٩١.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٩١٦.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٩٦٦.

(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٢٣٥.

(٨) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١١٢٧ ـ ١١٢٨.

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج].[1]

وأكرم الخلق على الله هو رسول الله ﷺ، كما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ﷺ: ((أنا أول الناس خروجًا إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي، ولا فخر)).[2]

والله وعد المؤمنين بالتكريم في الجنة. قال ـ تعالى ـ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المعارج].[3]

وكرم الله على عباده عظيم، يعرفها العقلاء منهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾﴾ [الفجر].[4]

ومر أنبياء الله بإكرام من الناس، ومنهم يوسف عليه السلام. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف].[5]

وقد كانت نساء مصر تصف يوسف عليه السلام بالملائكة الكرام. قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٢٦٥ ـ ١٢٦٦.

(٢) رواه الترمذي في سننه، ج٥/٥٨٥، ح برقم: ٣٦١٠؛

انظر: مسند أبي يعلى الموصلي، ج١/٩٤ ـ ٩٧، ح برقم: ١٥٧ حرف الخاء؛ والدارمي في سننه، ص ٢٦.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٩١٩ ـ ١٩٢٠.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٩٩٤.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٩٧٩ ـ ٩٨٠.

﴿ وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [يوسف].(١)

وقد كرم الله آدم عليه السلام مما أثار ابليس لعنه الله. قال ـ تعالى ـ: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الإسراء].(٢)

وأكرم الله بعض عباده كما قال عن مؤمن القرية، قال ـ تعالى ـ: ﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [يس].(٣)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الصافات].(٤) منزهون مكرمون.

والله سبحانه وتعالى بيّن من يستحقون الكرم من الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات].(٥)

والضيوف أولى بالإكرام من غيرهم. وكان إبراهيم عليه السلام مثلاً للمؤمنين في إكرام الضيف، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الحجر].(٦) وتفصل الآيات إكرام إبراهيم للضيوف. قال ـ تعالى ـ: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الذاريات].(٧)

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٩٨٢ ـ ٩٨٣.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١١٢٦.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٥٦٦ ـ ١٥٦٧.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٥٨٣؛
ابن منظور، لسان العرب، ج١٢/٥١٣.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٧٥١ ـ ١٧٥٢.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٠٤٩.

(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٧٦٦.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ ﴾ [هود].[١]

ولوط عليه السلام استقبل الضيوف وحاول قومه إيذاءهم. قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ ﴾ [هود].[٢]

ويستمر محاورًا لمن حاول الاعتداء على ضيوفه، قال ـ تعالى ـ: ﴿ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الحجر].[٣]

وعن محاولتهم الاعتداء على ضيوفه. قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [القمر].[٤]

وفي سورة الكهف ورد الحديث عن الضيافة. قال ـ تعالى ـ: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [الكهف].[٥]

ولاشك أن أهل الصدقة من الكرام الذين يبذلون مع استحضار النية طلبًا للمثوبة من الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران].[٦]

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٩٦٠

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/٩٦٢.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٠٤٩.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٧٩١.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١١٦٧.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٤٠٠.

وقد أمر الله بإكرام اليتيم، قال ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ١٧﴾ [الفجر].[١]

وقال رسول الله ﷺ: ((إن الله تعالى جوادٌ يحب الجود ويحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها)).[٢] وفي رواية: ((إن الله كريم يحب الكرماء جواد يحب الجود يحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها)).[٣]

كان النَّبيُّ ﷺ أكرمَ الخَلْقِ، وكان يُعْطي عَطاءَ مَن لا يَخْشى الفقرَ؛ فلا يَستطيعُ أحدٌ أَنْ يُعطِيَ مِثلَه. ومن ذلك أنَّ الخُمُسَ الَّذي جعَله اللهُ له مِن الغنيمةِ كان يَصرِفُه في مَصالحِ المسلِمين، ولا يَأخُذُ مِنه إلا حاجتَه.[٤]

كان ﷺ أجود النَّاس، وكان أجود ما يكون في رمضان، فهو أجود بالخير مِن الرِّيح المرسلة.[٥]

عن أنسٍ رضي الله عنه. قال: ((ما سُئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئًا إلا أعطاه، قال: فجاءه رجلٌ فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم أسلموا، فإنَّ محمَّدًا يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة)).[٦]

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٩٩٤.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في، المصنف، ج٩/ ١٠٠، ح برقم: ٦٦٦٨ ورقم: ١٠٨٤٠؛ أبو نعيم في، حلية الأولياء، ج٥/٢٩.

(٣) انظر: الألباني في، صحيح الجامع، ج١/٣٧٠، ح برقم: ١٨٠٠؛ صحيح؛ ورواه أبو نعيم في، حلية الأولياء، ج٥/٢٩.

(٤) انظر: موقع *https://www.dorar.net/hadith*، الدرر السنية. بتاريخ ١٤٤٢/١/٧هـ.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فيقول لا، ج٧/٧٤.

(٦) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فيقول لا، ج٧/٧٤.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: ((لو كان لي مثل أحدٍ ذهبًا ما يسرُّني أن لا يمرَّ عليَّ ثلاثٌ، وعندي منه شيءٌ إلا شيءٌ أرصدهُ لدينٍ)).(١)

والرَّسول ﷺ يقدِّم بهذا النَّموذج المثال للقدوة الحسنة، لاسيَّما حينما نلاحظ أنَّه كان في عطاءاته الفعليَّة مطبِّقًا لهذه الصُّورة القوليَّة التي قالها، فسعادته ومسرَّته عظيمتان حينما كان يبذل كلَّ ما عنده مِن مال.(٢) ثمَّ إنَّه ﷺ يربِّي المسلمين بقوله وفعله على خُلُق حبِّ العطاء، إذ يريهم مِن نفسه أجمل صورة للعطاء وأكملها.(٣)

وقد وضع البخاري في صحيحه في كتاب الأدب (باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل).(٤)

وقد ورد أنه ﷺ قال: ((أحق ما يكرم الرجل به ابنته أو أخته)).(٥)

وقد قال ﷺ: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته. قيل: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت)).(٦)

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب ما أدي زكاته فليس بكنز، ج١١٢/٢.

(٢) انظر: *https://www.dorar.net/hadith*، الدرر السنية. بتاريخ ١٤٤٢/١/٧هـ.

(٣) انظر: *https://www.dorar.net/hadith*، الدرر السنية. بتاريخ ١٤٤٢/١/٧هـ.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل، ج٨٢/٧.

(٥) رواه أبو داود في سننه، ص ٨٦٩، ح برقم: ٢١٢٩؛ وابن ماجه في سننه، ج٦٢٨/١، ح برقم: ١٩٥٥؛ ورواه أحمد في مسنده، ج١٨٢/٢.

(٦) رواه البخاري في صحيحه، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ج٧٩/٧؛

كما قال ﷺ: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت)).[١]

وقد قال ﷺ: ((المؤمن غِرٌّ كريم)).[٢]

وعن جبير بن مطعمٍ أنَّه ((بينا هو مع رسول الله ﷺ ومعه النَّاس مقبلاً مِن حنينٍ عَلِقَتْ رسول الله ﷺ الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى سَمُرَةٍ، فَخَطِفَتْ رداءه، فوقف رسول الله ﷺ فقال: أعطوني ردائي، فلو كان عدد هذه العِضَاهِ نَعَمًا لقسمته بينكم، ثمَّ لا تجدوني بخيلاً ولا كذوبًا ولا جبانًا)).[٣]

وكان ﷺ يُؤْثِر على نفسه، فيعطي العطاء ويمضي عليه الشَّهر والشَّهران لا يُوقَد في بيته نارٌ.[٤]

وكان كرمه ﷺ كرمًا في محلِّه، ينفق المال لله وبالله، إمَّا لفقير، أو محتاج، أو في سبيل الله، أو تأليفًا على الإسلام، أو تشريعًا للأمَّة، وغير ذلك.[٥]

---

(١) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، ج١/٤٨.

(٢) رواه أبو داود في سننه، ص ٨٩٦؛ والترمذي في سننه،ج٤/٣٤٤، ح برقم: ١٩٦٤؛ وصححه الألباني في سلسة الأحاديث الصحيحة، ج٢/٦٠٦، ح برقم: ٩٣٥.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، ج٤/٦٠.

(٤) انظر: محمد بن عثيمين، مكارم الأخلاق، ص ٥٥، نقلاً عن *https://www.dorar.net/hadith*، الدرر السنية. بتاريخ ١٤٤٢/١/٧هـ.

(٥) انظر: محمد بن عثيمين، مكارم الأخلاق، ص ٥٥، نقلاً عن *https://www.dorar.net/hadith*، الدرر السنية. بتاريخ ١٤٤٢/١/٧هـ.

وعن كرمه ﷺ مع قلة المال بين يديه يحدث بلال رضي الله عنه قَالَ: (مَا كَانَ لَهُ شَيْءٌ كُنْتُ أنا المتولي أمر مال رسول الله، مُنْذُ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ وَكَانَ إِذَا أَتَاهُ ْإِنْسَانُ فَرَآهُ عَارِيًا يَأْمُرُنِي فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَقْرِضُ فَأَشْتَرِي لَهُ الْبُرْدَةَ فَأَكْسُوهُ وَأُطْعِمُهُ).(١)

وحينما قسم الرسول ﷺ الغنائم أعطى منها القبائل والمؤلفة قلوبهم من مسلمة الفتح وغيرهم، ولم يعط الأنصار منها شيئًا. فوجد بعضهم في نفسه، فجمعهم الرسول ﷺ منفردين، وخطبهم. وكان مما قال: ((يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضُلالاً فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألَّفكم الله بي؟ وكنتم عالة فأغناكم الله بي؟)) كلما قال شيئًا قالوا: الله ورسوله أَمَنُّ. قال: ((ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله؟ قال: لو شئتم لقلتم كذا وكذا. ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي إلى رحالكم؟ لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار. ولو سلك الناس واديًا وسلكوا شعبًا لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شعار والناس دثار)).(٢) فبكى القوم حتى أَخْضَلوا لحاهم. وقالوا: (بلى رضينا برسول الله قسمًا وَحَظًّا وتفرقوا).(٣)

لقد كان في كرم أخلاق النبي ﷺ مع الأنصار ما هو أهم من المال عنده وعندهم.

---

(١) انظر: رواية أبي داود في سننه، ص ٥٤٨، ح برقم: ٣٠٥٥.

(٢) من رواية البخاري في صحيحه، ج٤/٦٠؛ وانظر شرحه، عند ابن حجر، في فتح الباري، ج١٦/١٦٣ ـ ١٩٦؛ ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٣٨٧.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، ج٤/٦٠؛ ابن حجر، (فتح الباري)، ج١٦/١٧١، وشرح ابن حجر لما في الحديث؛ وابن الأثير، الكامل، ج٤/٢٧٢.

عن المقداد رضي الله عنه قال: ((أقبلت أنا وصاحبان لي، وقد ذهبت أسماعنا وأبصارنا من الجهد، فجعلنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول الله ﷺ، فليس أحد منهم يقبلنا. فأتينا النبي ﷺ فانطلق بنا إلى أهله، فإذا ثلاثة أعنز. فقال النبي ﷺ: احتلبوا هذا اللبن بيننا. قال: فكنا نحتلب فيشرب كل إنسان منا نصيبه. ونرفع للنبي ﷺ نصيبه ... الحديث)).(١) وكان ﷺ يكرم أصحابه. روى جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: ((لما بعث النبي ﷺ أتيته، فقال: يا جرير! لأي شيء جئت؟ قال جرير رضي الله عنه: جئت لأسلم على يديك، يا رسول الله! قال: فألقى إلي كساءه ثم أقبل على أصحابه، وقال: إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه)).(٢)

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: ((جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ببردة، فقال سهل للقوم: أتدرون ما البردة؟ فقال القوم: هي شملة. فقال سهل: هي شملة منسوجة فيها حاشيتها. فقالت: يا رسول الله! أكسوك هذه. فأخذها النبي ﷺ فلبسها، فرآها عليه رجل من الصحابة فقال: يا رسول الله ما أحسن هذه، فاكسنيه. فقال: نعم. فلما قام النبي ﷺ لامه أصحابه، فقالوا: ما أحسنت حين رأيت النبي ﷺ أخذها محتاجًا إليها. ثم سألته إياها وقد عرفت أنه لا يسأل شيئًا فيمنعه. فقال: رجوت بركتها حين لبسها النبي ﷺ لعلي أكفن فيها)).(٣)

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الْأَشْرِبَةِ، بَابُ إِكْرَامِ الضَّيْفِ وَفَضْلِ إِيثَارِهِ، ج٦/١٢٨.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه، ج٢/١٢٢٢، ح رقم ٣٧١٢ وذكره الألباني في الصحيحة، ج٣/٢٠٤، ح برقم: ١٢٠٥.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل، ج٧/٨٢؛

وروراه ابن ماجه في سننه، بَابُ لِبَاسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ج٢/ ١١٧٧، ح برقم: ٣٥٥٥.

وقد تعلم الصحابة منه ﷺ الكرم، فهذا عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه يقول: ((أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدَّق، فوافق ذلك عندي مالاً، فقلت: اليوم أسبق أبا بكرٍ إن سبقته يومًا، قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله، وأتى أبو بكرٍ بكلِّ ما عنده، فقال: يا أبا بكرٍ ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسبقه إلى شيءٍ أبدًا)).(١)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال: ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟ قالا: الجوع. يا رسول الله! قال: وأنا. والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما، قوموا. فقاموا معه. فأتى رجلاً من الأنصار. فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة قالت: مرحبًا وأهلاً، فقال لها رسول الله ﷺ: أين فلان؟ قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء، إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه، ثم قال: الحمد لله، ما أحد اليوم أكرم أضيافًا مني، قال فانطلق فجاء هم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال: كلوا من هذه، وأخذ المدية فقال له ﷺ: إياك والحلوب، فذبح لهم، فأكلوا من الشاة. ومن ذلك العذق وشربوا؛ فلما أن شبعوا ورووا، قال ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما: والذي نفسي بيده! لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم)).(٢)

---

(١) رواه أبو داود، ص ٢٩١، ح برقم: ١٦٧٨؛ والتِّرمذي، ج٥/٦١٤، ح برقم: ٣٦٧٥.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، بَابُ جَوَازِ اسْتِتْبَاعِهِ غَيْرَهُ إِلَى دَارِ مَنْ يَثِقُ بِرِضَاهُ بِذَلِكَ...، ج٦/١١٦، يستعذب الماء: أي يأتي بالماء العذب الصافي.

ومن الكرم المشترك بينه ﷺ وبين الصحابة ما روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: ((إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية[١] شديدة، فجاءوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق فقال: أنا نازل. ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقًا. فأخذ النبي المعول فضرب في الكدية، فعاد كثيبًا أ هيل أو أهيم. فقلت: يا رسول الله! ائذن لي إلى البيت، فقلت لا مرأتي: رأيت بالنبي ﷺ شيئًا ما كان في ذلك صبر. فعندك شيء؟ فقالت: عندي شعير وعناق. فذبحت العناق وطحنت الشعير، حتى جعلنا اللحم بالبرمة ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر، والبرمة بين الأثافي قد كادت أن تنضج، فقلت: طعيم لي، فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان. قال: كم هو؟ فذكرت له. فقال: كثير طيب. قال: قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي. فقال: قوموا. فقام المهاجرون والأنصار. فلما دخل على امرأته. قال: ويحك، جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم. قالت: هل سألك؟ قلت: نعم. فقال: ادخلوا ولا تضاغطوا. فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه، ويقرب إلى أصحابه ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية. قال: كلي هذا وأهدي، فإن الناس أصابتهم مجاعة)).[٢]

---

(١) الكدية: القطعة الشديدة الصلبة من الأرض.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، ج٥/٤٥ ـ ٤٦؛

ورواه مسلم، في صحيحه، بَابُ جَوَازِ اسْتِتْبَاعِهِ غَيْرَهُ إِلَى دَارِ مَنْ يَثِقُ بِرِضَاهُ بِذَلِكَ، ج٦/١١٧.

وكثيبًا أهيل: رمل منهالاً غير متماسك.

كما أن من أمثلة الكرم والعطاء ما كان من أبي طَلْحَة أكثر أنصاريٍّ بالمدينة مالاً، وكان أحبَّ أمواله إليه بيرحى، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب مِن ماءٍ فيها طيِّبٍ، قال أنسٌ: فلمَّا نزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.(١) قام أبو طَلْحَة إلى رسول الله ﷺ فقال: إنَّ الله يقول في كتابه: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.(٢) وإنَّ أحبَّ أموالي إليَّ بيرحى، وإنَّها صدقةٌ لله، أرجو برَّها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث شئت. قال ﷺ: "ذلك مالٌ رابحٌ، ذلك مالٌ رابحٌ، قد سمعتُ ما قلتَ فيها، وإنِّي أرى أن تجعلها في الأقربين، فقسمها أبو طَلْحَة في أقاربه وبني عمِّه".(٣)

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فبعث إلى نسائه، فقلن: ما معنا إلا الماء. فقال ﷺ من يضم أو يضيف هذا؟ فقال رجل من الأنصار: أنا. فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني فقال: هيئي طعامك وأصبحي سراجك ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيأت طعامها وأصبحت سراجها ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ، فقال: ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما، فأنزل الله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.(٤)

(١) من الآية ٩٢ من آل عمران.

(٢) من الآية ٩٢ من آل عمران.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، ج٢/١٢٦؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فضل الصدقة والنفقة على الأقربين، ج٣/٧٩.

(٤) رواه البخاري، في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، ج٤/٢٢٦؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، ج٦/١٢٧؛
وأصبحي السراج أوقديه، وطاويين. جائعين بلا طعام.

وقد وضع بعض المحدثين أبوابًا في إكرام الضيف، منهم الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه.[(١)]

وقد شهد الصحابة لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه بالكرم. قال أبو هريرة رضي الله عنه: (ما احتذى النعال ولا انتعل ولا ركب المطايا، ولا لبس الكور من رجل بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبي طالب في الجود والكرم).[(٢)]

ويرى الصحابة أن إكرام الضيف من سنة محمد ﷺ ومن سنن إبراهيم الخليل عليه السلام، التي طبقها ﷺ.[(٣)]

كما أن الدعاء للوالدين وإكرام أصدقائهما بعد وفاتهما من استمرار البر بهما.[(٤)]

وقال بعض السلف: (ليتق الرجل دناءة الأخلاق كما يتقي الحرام، فإن الكرم دين).[(٥)]

وقد وضع الغزالي في كتابه: (إحياء علوم الدين) بيان فضيلة السخاء، وحكايات الأسخياء. أورد فيه عددًا من حكايات السخاء عند السلف.[(٦)]

وقد مَرِض قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه، فاستبطأ إخوانه، فقيل له: (إنَّهم يستحيون ممَّا لك عليهم مِن الدَّيْن، فقال: أخزى الله مالاً يمنع الإخوان مِن

---

(١) مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، ج٦/١٢٧.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ج١/٢٣٧.

(٣) انظر: صالح بن حميد وآخرين، نضرة النعيم، ج٨/٣٢٣٤.

(٤) *https://binbaz.org.sa/fatwas* موقع الشيخ ابن باز رحمه الله بتاريخ ١٤٤٢/١/١١هـ. وقد ذكر عددا من الشواهد على ذلك.

(٥) ابن أبي الدنيا، مكارم الأخلاق، نقلاً عن صالح بن حميد وآخرين، نضرة النعيم، ج٨/٣٢٣٤.

(٦) انظر: الغزالي، إحياء علوم الدِّين، ج٣/٢٤٣ ـ ٢٥٦.

الزِّيارة، ثمَّ أمر مناديًا فنادى: مَن كان عليه لقيس بن سعد حقٌّ فهو منه بريء، قال فانكسرت درجته بالعشي لكثرة مَن زاره وعاده).(١)

ووصف ابن عبَّاس رضي الله عنهما وهو من جمع بين الصحبة والقربة، بغزارة علمه وفقهه، وكرم خلقه، وإكرام ضيوفه وتلاميذه رضي الله عنه.(٢)

كما وردت قصص مختلفة لعدد من أسخياء الصحابة والتابعين رضي الله عنهم.(٣)

ومن كرم أصحاب النبي ﷺ مع الضيوف ما روي أن رجلاً أراد أن يضار عبيد اللّه بن عبَّاس رضي الله عنهما، فأتى وجوه قريش فقال: يقول لكم عبيد اللّه: تغدوا عندي اليوم، فأتوه حتى ملؤوا عليه الدَّار، فقال: ما هذا؟ فأُخْبِر الخبر، فأمر عبيد اللّه بشراء فاكهة، وأمر قومًا فطبخوا وخبزوا، وقدِّمت الفاكهة إليهم، فلم يفرغوا منها حتى وُضِعَت الموائد، فأكلوا حتى صدروا، فقال عبيد اللّه لوُكَلائه: أَوَ موجود لنا هذا كلَّ يومٍ؟ قالوا: نعم، قال فليتغدَّ عندنا هؤلاء في كلِّ يوم.(٤)

* * * * *

---

(١) انظر: الغزالي، إحياء علوم الدِّين، ج٣/٢٤٧.

(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٣٣١.

(٣) انظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٣/٢٤٧.

(٤) انظر: الغزالي، إحياء علوم الدِّين، ج٣/٢٤٧.

شجاعته ﷺ:

الشجاعة صفة كريمة توجد في بعض الناس. وتعني شدة القلب مع الجرأة والإقدام على الصعاب، وتحمل ذلك وثبات الجأش، والاستهانة بالموت.(١)

وهي من الصفات المحمودة في الناس. وهي قرينة للسخاء. فالشجاع في الأصل كريم يجود بنفسه وهي أغلى شيء عنده. وهي عند المسلم من علامات الإيمان. والشجاعة المحمودة. هي التي تكون في الحق ومعه وفيما يرضي الله. وهي خُلُق كريم تحمل النفس على التحلِّي بالفضائل، والبعد عن الرذائل، وهي من الصفات الحميدة، مما يفتخر بها العرب وسائر الأمم. وهي الإقدام على المكاره.(٢)

والشَّجاعة تَجعلُ الإنسان يَنطِق بالحقَّ، ويَتكلَّم بالصِّدق، وبها يَأمر بالمعروف، وينهى عن المنكَر. ولعل كتاب ابن القيم (الفروسية المحمدية) أشار لجملة من شمائلة ﷺ التي تدل على شجاعتة.(٣)

وشهد الصحابة بشجاعته كما روى البراء بن مالك وهو من شجعان الصحابة رضي الله عنه: قال: ((كنَّا والله إذا احمَّر البَأْسُ نتَّقي به، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا الَّذِي يُحاذِي به، يعني النبيَّ ﷺ)).(٤)

---

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٨/١٧٣؛
الجوهري، الصحاح، ج٣/١٢٣٥.

(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٨/١٧٣؛
الجوهري، الصحاح، ج٣/١٢٣٥.

(٣) انظر: ابن القيم، الفروسية المحمدية، تحقيق زائد أحمد النشيري، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد ١٤٣٧هـ.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، ج٥/١٦٨.

يقول القاضي عياض رحمه الله: (وأمَّا الشجاعة والنجدة، فكان ﷺ منهما بالمكان الذي لا يُجهل، قد حضر المواقف الصَّعبة، وفرَّ الكماة والأبطال عنه غير مرة، وهو ثابت لا يبرح، ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح، وما شجاع إلا وقد أحصيت له فرة، وحفظت عنه جولة سواه ﷺ).[١]

قال ﷺ: ((لاَ تَجِدُونِي بَخِيلاً، ولا كَذُوبًا، ولا جَبَانًا)).[٢]

ورسول الله ﷺ مع ممارسته للشجاعة كان يعلم أمته الشجاعة.

إننا نجد رسول الله ﷺ يُعَلِّم أُمَّته الاستعاذة من الجبن فيقول ﷺ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ)).[٣]

ومن ميادين الشجاعة التي أَكَّد عليها ﷺ مواجهة الظلم، يقول ﷺ: ((أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ)).[٤]

---

(١) القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص ١١٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الشجاعة في الحرب والجبن، ج٣/٢٠٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب التعوذ من البخل، ج٧/١٥٨ ـ ١٦٠؛
رواه البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات، باب الاستعاذة من الجبن والكسل ج٧/١٥٩؛
ورواه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من العجز والكسل وغيره، ج٨/٧٥ ، ٧٦؛
ورواه النسائي في سننه، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من الجبن، والاستعاذة من البخل والاستعاذة من الهم، ج٨/٢٥٦ ـ ٢٥٨.

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٥/٢٥١؛ وأبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، ج٤/١٢٢، ح برقم: ٤٣٤٤؛ ورواه الترمذي في سننه، كتاب الفتن، باب ما جاء في أفضل الجهاد وكلمة عدل عند سلطان جائر، ج٤/٤٧١، ح برقم: ٢١٧٤؛
ورواه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ج٢/١٣٢٩، حديث رقم ٤٠١١؛ وقال الألباني: صحيح؛ انظر: السلسلة الصحيحة، م١ ق٢، ص٨٨١، ح برقم: ٤٩١.

عبادة بن الصامت عن أبيه عن جده قال: (بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم).(١)

كما يعلم الأمة أن الحافظ هو الله، مشجعًا لهم قال ﷺ: ((وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ)).(٢)

عُرف ﷺ بشجاعته في مكة قبل البعثة وبعدها، حيث أنه ﷺ كان يخلو في غار حراء وحيدًا الأيام والليالي ذوات العدد بعيدًا عن الناس، وهذا دليل على جسارته وشجاعته ﷺ وقد ظهرت الشجاعة في كل حياة رسول الله ﷺ بعد بعثته.

ومن حوادث ما قبل البعثة يروي ابن هشام (أن رجلاً قدم مكة بإبل له، فابتاعها منه أبو جهل فمطله بأثمانها، فأقبل الرجل حتى وقف على نادٍ من قريشٍ، ورسول الله ﷺ في ناحية المسجد جالسٌ. فقال: يا معشر قريشٍ، من رجلٌ يؤدّيني على أبي الحكم بن هشام؛ فإني رجل غريب ابن سبيل، وقد غلبني على حقّي؟ فقال له أهل ذلك المجلس أترى ذلك الرجل الجالس؟ لرسول الله ﷺ وهم يهزؤون به لما يعلمون بينه وبين أبي جهلٍ من العداوة - اذهب إليه فإنه يؤدّيك عليه.

---

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ سترون بعدي أمورًا تنكرونها، ج٨/٨٧ - ٨٨؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، ج٦/١٦؛

ورواه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من العجز والكسل وغيره، ج٨/٧٥، ٧٦؛

والنسائي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتاب الاستعاذة، ج٨/٢٦٠.

(٢) رواه أحمد في مسنده، ج٥/١٨.

فأقبل الرجل حتى وقف على رسول اللّٰه ﷺ فقال: يا عبد اللّٰه، إن أبا الحكم بن هشامٍ قد غلبني على حقٍّ لي قِبَلَه، وأنا رجل غريب ابن سبيل، وقد سألتُ هؤلاء القوم عن رجلٍ يؤدِّيني عليه، يأخذ لي حقِّي منه، فأشاروا لي إليك، فخذ لي حقِّي منه يرحمك اللّٰه.

قال: "انْطَلِقْ إِلَيْهِ". وقام معه رسول اللّٰه ﷺ فلمّا رأوه قام معه، قالوا لرجل ممَّن معهم: اتبعه فانظر ماذا يصنع.

قال: وخرج رسول اللّٰه ﷺ حتى جاءه فضرب عليه بابه، فقال: من هذا؟ قال: "مُحَمَّدٌ، فَاخْرُجْ إِلَيَّ".

فخرج إليه قد انتُقِع لونه، فقال ﷺ: "أَعْطِ هَذَا الرَّجُلَ حَقَّهُ". قال: نعم، لا تبرح حتى أعطيه الذي له.

قال: فدخل فخرج إليه بحقِّه فدفعه إليه. قال: ثم انصرف رسول اللّٰه ﷺ، وقال للرجل: "الْحَقْ بِشَأْنِكَ". فأقبل الرجل حتى وقف على ذلك المجلس فقال: جزاه اللّٰه خيرًا، فقد ـ واللّٰه ـ أخذ لي حقِّي. قال: وجاء الرجل الذي بعثوا معه، فقالوا: ويحك ماذا رأيتَ؟ قال: عجبًا من العجب، واللّٰه ما هو إلاَّ أن ضرب عليه بابه، فخرج إليه وما معه رُوحه، فقال له: "أَعْطِ هَذَا حَقَّهُ". فقال: نعم، لا تبرح حتى أُخْرِجَ إليه حقَّه. فدخل فخرج إليه بحقِّه، فأعطاه إيّاه.

قال: ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء، فقالوا له: ويلك ما لك؟ واللّٰه ما رأينا مثل ما صنعتَ قطُّ. قال: ويحكم واللّٰه ما هو إلاَّ أن ضرب عَلَيَّ بابي،

وسمعتُ صوته فملئت رعبًا، ثم خرجتُ إليه وإنّ فوق رأسه لفحلاً من الإبل ما رأيت مثل هامَته، ولا قَصْرَته ولا أنيابه لفحل قطُّ، واللّه لو أَبَيْتُ لأَكَلَنِي).[١]

وها هو ذا أنس بن مالك رضي الله عنه يصف شجاعة النبي ﷺ بقوله: (كَانَ النّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النّاسِ، وَأَجْوَدَ النّاسِ، وَأَشْجَعَ النّاسِ. قال: وَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً؛ سَمِعُوا صَوْتًا. فإذا رسول اللّه ﷺ راجع، وقد سَبَقَهُمْ إلى الصَّوْتِ وهو على فَرَسٍ لأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ، وهو يقول: "لم تُرَاعُوا، لم تُرَاعُوا"، وفي رواية: فَزِعَ الناس فَرَكِبَ رسول اللّه ﷺ فَرَسًا لأَبِي طَلْحَةَ بَطِيئًا، ثُمَّ خَرَجَ يَرْكُضُ وَحْدَهُ، فَرَكِبَ الناس يَرْكُضُونَ خَلْفَهُ، فقال: "لم تُرَاعُوا".[٢] فَتَلَقَّاهُمُ النّبِيُّ ﷺ عَلَى فَرَسٍ لأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ وَهُوَ مُتَقَلِّدٌ سَيْفَهُ، فَقَالَ: "لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا".

ثم قال رسول اللّه ﷺ: "وَجَدْتُهُ بَحْرًا يعني الفرس").[٣]

شجاعة النبي ﷺ في ميادين القتال: كتب اللّه ﷻ القتال على الأمم السابقة وقص علينا من قصصهم في القرآن الكريم، قال - تعالى -: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ

(١) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ج١/٣٨٩ - ٣٩١.
(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب إذا فزعوا بالليل، ج٤/٢٧؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب في شجاعة النبي ﷺ، وتقدمه للحرب، ج٧/٧٢.
(٣) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب الشجاعة في الحرب والجبن، ج٣/٢٠٩؛
ورواه مسلم في صحيحه: كتاب الفضائل، باب في شجاعة النبي ﷺ وتقدمه للحرب، ج٧/٧٢.

﴿أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٢٤٦﴾ [البقرة].(١)

وقد خشي بعضهم وخاف من القتال في سبيل الله، فقال الله عنهم: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٧٧﴾ [النساء].(٢)

كتب الله القتال على المؤمنين وعلى رأسهم رسول الله ﷺ قال ـ تعالى ـ: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة].(٣)

فكان أشجع الناس ﷺ. يُروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: ((كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ، اتَّقَيْنَا بِرسول الله ﷺ فَمَا يَكُونُ مِنَّا أَحَدٌ أَدْنَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْهُ)).(٤)

ويضرب رسول الله ﷺ المثل والقدوة في ميدان القتال فكانت شجاعته مثالاً وقدوة سار عليه الصحابة فيما بعدُ، خاطبه الله ﷻ قائلاً: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤﴾ [النساء].(٥)

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٣١٢.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٥٠٧.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٢٧٠.

(٤) رواه أحمد في مسنده، ج١/١٥٦.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٥١١.

لقد كان ﷺ يطبق ما أمره الله به في جهاد أعداء الله ويحرضهم على ذلك مع مشاركته لهم، يقول - تعالى -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ٦٥﴾ [الأنفال].[1]

وكان ﷺ مثالاً في الثبات على قتال أعداء الله، تنفيذًا لما في قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥﴾ [الأنفال].[2]

ولم تخلوا الصفوف من الخلل مع ثباته ﷺ قال ﷻ: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٠﴾ [محمد].[3]

وقال - تعالى -: ﴿فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٥٧﴾ [الأنفال].[4]

وقال - تعالى -: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٤﴾ [محمد].[5]

وفي قوله - سبحانه -: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦﴾ [آل عمران].[6]

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٨٥٣.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٨٤٦.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٧٢١.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٨٤٩.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٧١٧.

(٦) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٤٠٤.

ودراسة حاله في غزواته المختلفة ﷺ تبين ثبات رسول الله ﷺ وشجاعته، ففي غزوة بدر قال ﷺ: ((هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ أكبادها))، مشيرًا لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧﴾ [الأنفال].[1] حيث تيقن الرسول ﷺ ومن معه أن المواجهة ستكون مع ذات الشوكة شجعان مكة وفرسانها، وأن العير قد فاتتهم.

ودلَّتِ المواقفُ الكثيرة في غزواته على شجاعته ﷺ؛ إذ كان الصحابةُ رضي الله عنهم إذا اشتَدَّ البأسُ يلوذون به، وهو تلقاء أعدائه، ثابتٌ في مكانه. قال عَليٌّ رضي الله عنه: (لقد رَأَيْتُنَا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا إلى العدو، وكان مِن أشدِّ الناس يومئذٍ بأسًا). وفي رواية: (كنَّا إذا احمرَّ البأسُ، ولقي القومُ القومَ، اتَّقينا برسول الله ﷺ، فما يكون منَّا أحدٌ أدنى منَ القوم منه).[2]

وفي غزوة أُحُد. صمد رسول الله ﷺ وقاتل قتال الأبطال، وقتل بيده (أُبي ابن خلف) الذي كان معاندًا وحريصًا على قتل الرسول ﷺ ويردد: محمد ...!! لا نجوت إن نجا، فرفض الرسول ﷺ أن يبادر إليه أحد من الصحابة غيره، حيث واجهه ﷺ بنفسه بحربة أصابته في عنقه فمات منها فيما بعد.[3]

ثم إنه ﷺ وقع في أحد الحفر فشج رأسه وكسرت رباعيته وشُقت

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٨٢٠/١.

(٢) مسند الإمام أحمد، ج١٥٦/١. (سبق ذكره وتخريجه).

(٣) ابن إسحاق، سيرة ابن إسحاق، ص ٣١٠، الواقدي، المغازي، ج ٢٥٢/٢؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٣٠٧/٤؛ ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٣٩.

شفته.[١] وصمد نفر من الصحابة مع رسول الله ﷺ واستماتوا في الدفاع عنه، منهم أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه، وسهل بن حنيف، ومصعب بن عمير حامل لواء المسلمين الذي استشهد بين يدي النبي ﷺ، وعلي بن أبي طالب وأبو دجانة وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم، وقال رسول الله ﷺ لسعد وهو يرمي دفاعًا عنه: ((ارم فداك أبي وأمي)).[٢]

كما كان معهم في الدفاع عن الرسول ﷺ أم عمارة رضي الله عنها.[٣]

(لا والذي بعثه بالحقِّ إن زال رسول الله ﷺ شبرًا واحدًا، إنه لفي وجه العدوِّ، وتثوب إليه طائفة من أصحابه مرّة، وتُصرف عنه مرّة.

فربما رأيته قائمًا يرمي على قوسيه، ويرمي بالحجر، حتى تحاجزوا، وثبت رسول الله ﷺ كما هو في عصابة صبروا معه).[٤]

ومع إصابته ﷺ فقد أدركه أُبَيٌّ بن خلف وهو يقول: أي محمد، لا نجوتُ إن نجوتَ. فقال القوم: يا رسول الله، أيعطف عليه رجل منّا؟ فقال رسول الله: "دَعُوه". فلمّا دنا، تناول رسول الله ﷺ الحربة ثم انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطايروا عنه ﷺ، ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارًا، فمات وهُمْ راجعون به إلى مكة.[٥]

---

(١) انظر: صحيح البخاري (فتح الباري)، ج١٥/٢٤٣؛ ابن إسحاق، سيرة ابن إسحاق، ص٣١١، الواقدي، المغازي، ج١/٢٤٧؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٤/٣١٠؛ انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٤٥.

(٢) البخاري، فتح الباري، ج١٥/٢٢٥؛ انظر: ابن أبي شيبة، ص ٢٣٨.

(٣) انظر: صحيح البخاري (فتح الباري)، ج١٥/٢٣٥؛ ابن إسحاق، سيرة ابن إسحاق، ص٣٠٧؛ الواقدي، المغازي، ج١/٢٤٠، ٢٤٣، ٢٧٨.

(٤) البيهقي: دلائل النبوة، ج٣/٢٤٦.

(٥) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢/٨٣.

وفي غزوة الأحزاب. كان النبي ﷺ في مقدمة الصفوف في الاستعداد والعمل الجاد لمواجهة الأعداء يخطط، ينقل التراب يوم الخندق حتى أغبر بطنه ويردد معهم قول الصحابة:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علـــينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الأُلى قد بغوا علـــينا إذا أرادوا فتـــنة أبينا[1]

وفي هذه المشاركة تشجيع لأصحابه ﷺ، في وقت تسلل جماعة من المنافقين فارين من تأدية الواجب الملقى عليهم، وهم الذين ذكرهم الله ـ تعالى ـ في قوله: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور].[2] وكان المؤمنون إذا احتاج الرجل منهم إلى حاجة لم ينصرف إليها حتى يأذن له رسول الله ﷺ، فامتدحهم الله في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ [النور].[3]

وفي أثناء حفر الخندق اعترضت للمسلمين صخرة فقام الرسول ليحطمها، وحين ضربها برقت منها بارقة، فكبر وكبر المسلمون معه، ثم

(١) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٥٧.
(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١٣٤٨/٢.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ج١٢٤٨/٢؛ وله رأي عام في الآية ومخالفة المنافقون لأمر الرسول ﷺ عمومًا.

ضربها ثانية فبرقت، فكبر وكبر المسلمون معه، ثم ضربها ثالثة فبرقت، فكبر وكبر المسلمون معه، وقد قال ﷺ إثر الضربة الأولى: ((الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام. والله إني لأبصر قصورها الحمراء الساعة، ثم ضربها الثانية فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض، ثم ضربها الثالثة وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة)).(١) فاستبشر المسلمون. وبهذا تيقن ﷺ والمؤمنون معه أنهم سيغلبون أولئك الملوك وسيفتحون ديارهم وصدقوا ما وعد الله ورسوله.

أما المنافقون فقد أخذوا يتهكمون بما ذكره الرسول ﷺ من موعود الله: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الأحزاب].(٢) ووصلت قريش ومعها الأحزاب، وعددهم عشرة الآف مقاتل، وعسكروا حول المدينة، واستغربوا من وجود الخندق، حيث لم يكن للعرب عهد به، وعسكر الرسول ﷺ ومعه قرابة ثلاثة آلاف من المجاهدين، بعد أن جمعوا النساء والذرية في حصون الأنصار.(٣)

وكان الوقت عصيبًا جدًا، إذ لم يكن المسلمون يأمنون على أنفسهم ليلاً ولا نهارًا، خصوصًا أن يهود بني قريظة كانوا في ناحية من المدينة،(٤) والمسلمون قد عاهدوهم في الدفاع المشترك عن المدينة، ومع ذلك لا يأمنون

---

(١) رواه ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٦١؛ رواه أحمد في مسنده، ج٤/٣٠٣.

(٢)انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٤٨٦.

(٣)ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٢١٩؛ الواقدي، المغازي، ج٢/٤٤٣؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٤/٥٢٤.

(٤)انظر: شوقي أبو خليل الخندق" غزوة الأحزاب"، ط١ ـ دمشق: دار الفكر ١٤٠٦هـ، ص١٠٩.

أن يستمر يهود على عهدهم، وبالتالي أحس المسلمون بالخطر يحدق بهم من كل جانب كما وصف الله ذلك بقوله: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب].(١)

وبدأت قوات الاستطلاع للأحزاب بتحسس الخندق لعلهم يجدون فرجة ينفذون منها، وتمكنت مجموعة من فرسانهم من اختراق الخندق في أحد المواضع، لكن جند الإسلام بقياته ﷺ وعلى رأسهم علي بن أبي طالب ﷺ تمكنوا من صدهم وقتل بعضهم، فأمر الرسول ﷺ بتسليم قتلى قريش، ولم يرض أن يأخذ مقابلاً لذلك.(٢) وقد استمر المسلمون ومعهم رسول الله ﷺ ليلاً ونهارًا في حراسة الخندق ومنع القوم من اختراقه. وكان الرسول ﷺ يهتم بنفسه في حراسة المناطق الضعيفة منه. حتى نصره الله ﷻ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب].(٣)

وفي غزوة الحديبية. كان توجه الرسول ﷺ للعمرة، رغم قوة قريش، في حد ذاته شجاعة. وحين بعث الرسول ﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أهل مكة ليخبرهم أنه ﷺ جاء زائرًا للبيت الحرام معظمًا له ومعتمرًا ولم يأت لقتال، فطلبوا من عثمان أن يطوف بالبيت فرفض رضي الله عنه إلاّ أن يؤذن لرسول الله ﷺ

---

(١) انظر: صحيح البخاري، (فتح الباري)، ج١٥/٢٨٣؛ ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٥٥؛ انظر ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٤٨٤ ـ ١٤٨٦.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٢٢٥؛ ابن سعد؛ الطبقات الكبرى، ج٢/٦٨؛ الواقدي، ج٢/٤٦٤، ٤٧٤؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٤/٥٣٢، ٥٣٦؛ ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٦٣.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٤٨٩.

في ذلك، فحاولوا احتباس عثمان رضي الله عنه عندهم.[١] وبلغ الرسول ﷺ أن عثمان قد قتل من قبل قريش. فجمع رسول الله ﷺ الناس تحت شجرة للبيع،[٢] وقد تنافس المسلمون في بيعة رسول الله ﷺ. وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على المؤمنين المبايعين لرسول الله ﷺ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝١٨﴾ [الفتح].[٣] وقد أثنى الرسول على أهل بيعة الرضوان فقال: ((أنتم اليوم خير أهل الأرض))،[٤] وأن رسول الله ﷺ بايع لعثمان فضرب بإحدى يديه على الأخرى.[٥]

وفي غزوة حنين ضرب رسول الله ﷺ أروع مَثَلٍ عرفته البشريّة في الشجاعة والثبات؛ فحينما فرّ الجيش من ساحة القتال نزل النبي ﷺ من على بغلته ودعا واستنصر، وهو يُرَدِّد معلنًا عن مكانه بكل شجاعة.

((أَنَا النّبِيُّ لاَ كَذِب أَنَا ابْنُ عبد المُطَّلِب، اللّهُمّ نَزِّلْ نَصْرَكَ)).[٦] وثبت مع رسول الله ﷺ ومعه بعض المهاجرين والأنصار، منهم عمه العباس وأبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم، وانحاز ﷺ يمين الجيش وجعل ينادي. فنادى نداءين لم

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٣١٥.

(٢) وضع البخاري في صحيحه، في كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية وقول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾، الآية، ج٥/٦١؛ ووضع ابن هشام في السيرة عنوان: "بيعة الرضوان"، ج٣/٣١٦.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٧٣٠.

(٤) انظر: رواية البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ج٥/٦٣؛ وانظر: ابن أبي شيبه، المغازي، ص ٢٨٣.

(٥) ابن أبي شيبه، المغازي، ص ٢٨٤؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٣١٦.

(٦) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب من صف أصحابه عند الهزيمة، ج٣/٢٣٣، ج٤/٢٨؛
ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، ج٥/١٦٧، ١٦٨.

يخلط بينهما، التفت عن يمينه فقال يا معشر الأنصار، قالوا لبيك يا رسول اللّه، أبشر نحن معك. ثم التفت عن يساره فقال: يا معشر الأنصار، قالوا لبيك يا رسول اللّه أبشر نحن معك، وهو على بغلة بيضاء، فنزل فقال: أنا عبد اللّه ورسوله،[(١)] أيها الناس هلموا إلي أنا رسول اللّه أنا محمد بن عبداللّه، ثم أمر الرسول ﷺ عمه العباس وكان جهور الصوت أن ينادي يا معشر الأنصار، يا أصحاب السمرة، وكان ﷺ ينادي ((أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب))،[(٢)] فلما سمع المهاجرون والأنصار النداء أجابوا لبيك لبيك، فاجتمعوا على رسول اللّه ﷺ فاستقبل بهم الأعداء. واشتد القتال بين المسلمين وهوازن حتى قال ﷺ: ((الآن حمي الوطيس))،[(٣)] فهو أول من قالها.[(٤)] وقاتل المسلمون مع رسول اللّه ﷺ قتال الأبطال، وأخذ الرسول حفنة من التراب فرمى بها وجوه القوم وهو يقول: ((شاهت الوجوه))،[(٥)] فانهزموا. وبعد وقت قصير تأكدت الهزيمة في صفوف الأعداء، ورجع المسلمون بالأسرى والغنائم،[(٦)] وقتل من الأعداء ما يزيد على سبعين رجلاً، واستشهد جماعة من المسلمين.[(٧)]

---

(١) رواه البخاري، فتح الباري، ج١٦/١٧٢.

(٢) من رواية البخاري، فتح الباري، ج١٦/١٤٣؛ وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية ج٣/٤٤٤، ٤٤٥؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٥/٤٧١؛ ابن أبي شيبه، المغازي، ص٣٧٨.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٤٤٥؛

وانظر تخريجها في: رزق اللّه، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص ٥٨٩.

(٤) انظر: السهيلي، الروض الأنف، ج٤/١٣٨.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسيرة، باب في غزوة حنين، ج٥/١٦٩؛ وأحمد في مسنده، ج١/٣٠٣؛ والدارمي في سننه، كتاب السير، باب قول النبي ﷺ: شاهت الوجوه، ج٢/٢١٩ ـ ٢٢٠؛

انظر: رزق اللّه، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص ٥٨٩.

(٦) انظر: البخاري، فتح الباري، ج١٦/١٧٢.

(٧) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٤٤٩.

فما رُئي أَحد يومئذ كان أثبت ولا أقرب للعدو منه فقد وقف في وجه العدو متحدِّيًا.(١)

وأخذ كفًّا من حصًى وضرب وجوههم، وقال ﷺ: ((شَاهَتِ الْوُجُوهُ)).(٢)

وأخذ ﷺ يصول في المعركة وهو يقول: ((إليَّ عبادَ اللّه)) حتى عاد أصحابه إليه وعاودوا الكَرَّة على العدو؛ فهزموه في الساعة. وما استطاع أحد أن يمسّه بسوء.(٣) وتحقق النصر كما قال اللّه ﷻ: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [التوبة].(٤)

ولعل خروج رسول اللّه ﷺ في غزوة تبوك رغم قوة الروم شجاعة كبيرة منه ﷺ وممن معه، أمام تلك القوة العالمية الكبرى.

وكان أصحاب رسول اللّه ﷺ شجعانًا ضحى بعضهم بنفسه في مكة على يد الكفار صامدين محتسبين، منهم آل ياسر. واستشهد بعضهم في ساحات الجهاد بين يدي رسول اللّه ﷺ، منهم عمه "سيِّد الشهداء" حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، وبقية شهداء أحد وبدر وحنين وغيرها.(٥)

وقد أثبتوا شجاعة منقطعة النظير إبان فتوح الشام والعراق ومصر، وفي كل معاركهم التي أذهلت الأعداء رضي الله عنهم.(٦)

* * * * *

(١) ابن سيد الناس: عيون الأثر، ج٢/٤٢٢؛ وابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ج٣/٩٠.

(٢) انظر: مجموع روايات مسلم المتعددة في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، ج٥/١٦٧ ـ ١٦٩؛ وانظر: أحداث غزوة حنين عند ابن كثير، السيرة النبوية، ج٣/٦١٠، وما بعدها؛ وشاهت الوجوه أي: قبحت.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١/٦٢٨؛ والسهيلي، الروض الأنف، ج١/٢٢٨، ٢٢٩.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٨٦٩.

(٥) انظر كتابي: (رسول اللّه وخاتم النبيين)، القسم الثالث (إنا فتحنا لك...).

(٦) انظر كتابي: (الفتوح الإسلامية عبر العصور).

حزمه وعزمه ﷺ:

الحَزْم في اللغة العربية: مأخوذ من الحاء والزاء والميم، وهي أصل واحد، وهو شدُّ الشيء وجمعه. وهو قياس مطَّرد. فالحَزْم والحَزَامةُ: جودة الرأي، واجتماعه وألا يكون مضطربًا منتشرًا، والحِزام للسرج من هذا. والمتحزِّم: المتلبِّب. والحُزمة من الحطب وغيره معروفة. والحَيزوم والحَزيم: الصدر؛ لأنه مجتمع عظامه ومشدُّها. حزمه ﷺ وعدم تردده.

والحَزْمُ: ضَبْطُ الأمر والأخذُ فيه بالثِّقَة والحذر من فواته وذهابه.[1]

والعزم لعله أقوى من الحزم، ووصف به بعض الأنبياء، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَاغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأحقاف].[2]

وقيل من الحزم أن تستشير أهل الرأي وتطيعهم. وهو العزم وقد حَزُمَ فهو حازِم وحَزِيم. أي: عاقل مُمَيِّز ذو حنْكَة. وفِي الحديث: مَا رَأَيْتُ من ناقِصاتِ عَقْلٍ ودِينٍ أَذْهَبَ لِلُبّ الرجل الحازِمِ من إِحْداكُنَّ. أَي: أَذْهَبَ لعقلِ الرجلَ المحْتَرِزِ فِي الأُمور المسْتَظْهِر فِيهَا. والحازم من يتصرَّف بحزم وحسم، فهو قد وقف موقفًا كلُّه الحزم. والعزم والحزم يأتي بمعنى واحد ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران].[3]

---

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٢/١٣١.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٧١٥.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٤١٣.

وقد وردت لفظة الحزم في الحديث عن صلاة الوتر، أنه ﷺ قال لأبي بكر: ((أخذتَ بالحزم)).(١)

ومع أنه ﷺ كان مثالاً للتسامح إلا أنّه كان حازمًا في اتخاذ الأمور لا يتردد في إصدار القرارات واتخاذ المواقف الواضحة والجريئة، حينما يستدعى الأمر ذلك. ومن ذلك أمره بهدم مسجد الضرار الذى بناه المنافقون إرصادًا لمن حارب الله ورسوله، وقصته: أن استأذن بعض المنافقين من النبى ﷺ أن يبنوا مسجدًا في نواحى المدينة، حين كان ﷺ عازمًا على التوجه إلى تبوك في غزوته المشهورة، مظهرين الخير مبطنين غير ذلك. وطلبوا منه ﷺ أن يصلى فيه فأذن لهم ﷺ ووعدهم أن يأتى مسجدهم ويصلي فيه بعد عودته من تبوك.(٢)

وحين أقبل ﷺ عائدًا، وقبل دخوله المدينة ﷺ، نزل عليه قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧﴾ [التوبة].(٣)

فأمر النبّى بحرق مسجد الضرار وهدمه، في قرار فوري ونافذ وحازم، في قت كان ﷺ يبنى المساجد ويحث على ذلك. أما هذا المسجد فلم يكن لشيئ سوى الإضرار بالرسول ﷺ وبدعوته وبالمسلمين.(٤)

---

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب في الوتر قبل النوم، ج٢/٦٧، ح برقم: ١٤٣٤؛ أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الوتر، ج١/٣٧٩، حديث رقم: ١٢٠٢.

(٢) انظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج١/٩٠٧.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٩٠٧؛ وكتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، القسم الثالث، ص ٨٢٢.

(٤) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٥١؛ والمغازي للواقدي، ج١/١٨٤.

كما كان حازمًا مع بعض أعدائه ممن كانوا لا يستحقون الشفقة، مع أنه ﷺ كان أرحم الناس. ومن ذلك انتدابه سرية بقيادة محمد بن مسلمة لقتل كعب بن الأشرف الذي آذى الله ورسوله كثيرًا، وكان يجمع الأعداء لقتل الرسول ﷺ والقضاء على دعوته. وكذلك موقفه ممن خان العهد من بني قريظة وحارب مع الأحزاب ضد المسلمين من الداخل.(١)

وموقفه ﷺ من أبي عزة الذي كان ممن أُسر في غزوة بدر، قال: وكان محتاجًا ذا بنات فقال: يا رسول الله لقد عرفت مالي من مال وإني لذو حاجة وذو عيال فامنن عليّ، فمن عليه رسول الله ﷺ، وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحدًا، ثم إنه نقض ما كان عاهد عليه الرسول، فلما كان يوم أحد أُسر فسأل النبي ﷺ أن يمن عليه أيضًا فقال النبي ﷺ: ((لا أدعك تمسح عارضيك وتقول خدعت محمدًا مرتين)) ثم أمر به فقتل، وكان مستحقًا لذلك.(٢)

وكذلك النضر بن الحارث، فقد قتل يوم بدر صبرًا مع اثنين آخرين من المشركين، هما عقبة بن أبي معيط وطعيمة بن عدي. وكانوا قد آذوا الرسول ﷺ وشاركوا في قتل بعض الصحابة فاستحقوا العقوبة بهذا الموقف الحازم منه ﷺ.(٣)

كما عُرفت قصة الذين قتلوا راعي رسول الله ﷺ وسرقوا إبله، فكان ﷺ حازمًا في القصاص منهم وفيه نزل قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ [المائدة].(٤)

---

(١) ابن هشام ن السيرة النبوية، ج٣/٢٣٣؛ وانظر: كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، القسم الثالث.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤/٦٤١.

(٣) انظر: كتابى : (رسول الله وخاتم النبيين)، القسم الثالث.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٦٠٩؛

وكتابي: (بناء المجتمع المدني في السيرة النبوية)، ص ٦٢.

وليس هذا فحسب، بل كان حازمًا في إقامة الحدود على مستحقيها.

كما كان ﷺ حازمًا في الحرب يظهر كل ما يمكن من قوة أمام الأعداء، من مظهر وصوت وغيره. وقد وضع البخاري في صحيحه (باب الرَّجَزِ فِي الْحَرْبِ وَرَفْعِ الصَّوْتِ فِي حَفْرِ الْخَنْدَقِ).(١)

وعن أنس بن مالك: ((أن النبي ﷺ دخل مكة عام الفتح وعلى رأسه مغفر. فلما نزعه جاءه رجل فقال: ابن خطل متعلق بأستار الكعبة. فقال: اقتلوه)).(٢)

واللين عند الحاجة وسمو الأخلاق لا يمنع الحزم في المواقف التي تتطلب ذلك. ولعل من اطلع على تصرفاته الإدارية ﷺ يدرك ذلك بعمق، وكذلك تطبيقه الحدود على من يستحقها لم يمنعه من الرحمة في حق الآخرين، فلا تناقض بين الحزم ولين الجانب وحسن الخلق، والعدل في الحدود، وهي من متطلبات القيادة للزعماء.(٣)

كان الرسول ﷺ يتشاور مع المسلمين، ويستمع إلى آرائهم، ثم يعزم ويحزم أمره، ومن ذلك أخذه بمشورة سلمان الفارسي رضي الله عنه يوم الأحزاب حينما أشار عليه بحفر الخندق.

* * * * *

---

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الرجز في الحرب ورفع الصوت في حفر الخندق، ج٤/٢٥.

(٢) انظر: رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح، ج٥/٩٢.

(٣) انظر كتابي: (التخطيط والإدارة في السيرة النبوية).

التيسير:

مَصْدَرُ يَسَّرَ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ مَادَّةِ (ى س ر) الَّتِي تَدُلُّ عَلَى انْفِتَاحِ شَيْءٍ ما وَخِفَّتِهِ.(١)

وَمِنْهُ اليُسْرُ ضِدُّ العُسْرِ، وَمِنَه يَسَّرَتِ الغَنَمُ إِذَا كَثُرَ لَبَنُهَا وَنَسْلُهَا، وَيُقَالُ: رَجُلٌ يَسْرٌ وَيَسَرٌ أَيْ حَسَنُ الانْقِيَادِ، وَاليَسَارُ: الغِنَى،(٢) يُقَالُ: تَيَسَّرَ كَذَا وَاسْتَيْسَرَ أَيْ تَسَهَّلَ.(٣)

وَالْيَسِيرُ وَالْمَيْسُورُ: السَّهْلُ، وَاليَسِيرُ يُقَالُ فِي الشَّيْءِ القَلِيلِ. وَالْمُيَاسَرَةُ: الْمُلاَيَنَةُ. وَفِي الحَدِيثِ ((إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ))،(٤) أَرَادَ أَنَّهُ سَهْلٌ سَمْحٌ قَلِيلُ التَّشْدِيدِ، يُقَالُ يَسَّرَهُ اللّهُ لِلْيُسْرَى: أيْ وَفَّقَهُ لَهَا، وَفِي الحَدِيثِ ((يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا))(٥) وَفِي الحَدِيثِ الآخَرِ ((مَنْ أَطَاعَ الإِمَامَ وَيَاسَرَ الشَّرِيكَ))(٦) أَيْ سَاهَلَهُ. أَمَّا مَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ ﷺ: ((تَيَاسَرُوا فِي الصَّدَاقِ)) فَمَعْنَاهُ: لينوا تَسَاهَلُوا فِيهِ وَلاَ تُغَالَوْا.(٧)

والْيُسْرُ لِينٌ وَسُهُولَةٌ وَانْقِيَادٌ ورَفْعُ لِلْمَشَقَّةِ وَالْحَرَجِ عَنِ الْمُكَلَّفِ بِأَمْرٍ مِنَ الأُمُورِ لاَ يُجْهِدُ النَّفْسَ وَلاَ يُثْقِلُ على الإنسان في العبادات وغيرها.(٨)

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج١/٢ ـ ٩؛ والصحاح للجوهري، ج٣٤/٥.

(٢) الزبيدي، تاج العروس، ج٦٢٦/٣.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢٣٨/١.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، ج١٥/١.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، ج٢٥/١.

(٦) رواه النسائي في سننه، كتاب الجهاد، باب فضل الصدقة في سبيل الله ﷻ، ج٤٩/٦، ٥٠.

(٧) انظر: عبد الرزاق في مصنفه، كتاب النكاح، باب غلاء الصداق، ج١٧٤/٦، ح برقم: ١٠٣٩٨.

(٨) انظر: صالح بن حميد وآخرين، ج١٣٩٩/٤.

وَالْيَسْرُ وَاليَسَرَ يُستَعْمَلانِ فِي مَعْنَى اللِّينِ وَالانْقِيَادِ، أَمَّا اليُسْرُ بِضَمِّ اليَاءِ وَاليُسُرُ (بِضَمَّتَيْنِ) فَهُوَ نَقِيضُ العُسْرِ، وَالعُسْرُ وَاليُسْرَى: الأَمْرُ السَّهْلُ.[1]
وفي مفهوم قول اللهُ ـ تعَالَى ـ: ﴿...يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ...﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة].

قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ أَرِيدُوا لأَنْفُسِكُمْ الَّذِي أَرَادَ اللّهُ لَكُمْ مع العَمَلُ بِمَا يَرْضَاهُ اللّهُ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا. وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ قَدْ يَسَّرَتْ غَنَمُ فُلاَنٍ إِذَا تَهَيَّأَتْ لِلْوِلاَدَةِ.[2]

قَالَ الشَّعْبِيُّ رحمه الله وغيره: (إِذَا اخْتَلَفَ عَلَيْكَ أَمْرَانِ فَإِنَّ أَيْسَرَهُمَا أَقْرَبُهُمَا إِلَى الْحَقِّ لِقَوْلِهِ ـ تَعَالَى ـ: [يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ]. وبالتالي فالفطر أيسر وأفضل عندهم).[3]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: ((إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ)).[4]

وقد قال ـ تعالى ـ: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج].

---

(١) ابن منظورن، لسان العرب، ج٥/٢٩٥.
(٢) ابن كثير، تفسيره، ج١/٢٣٩؛
وابن منظور، لسان العرب، ج٥/٢٩٥.
(٣) المغني، ج٣/١٥٠ ـ ١٥١.
(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، ج١/١٥.

كما قال ﷻ: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ٣٨﴾ [الأحزاب].

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾ [المائدة].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقَعُوا بِهِ. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((دَعُوهُ وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ أَوْ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ)).(١)

عن مِحْجَنِ بْنِ الأَدْرَعِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ، إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ)) وَقَالَ فِي لَفْظٍ آخَرَ: ((إِنَّكُمْ أُمَّةٌ أُرِيدَ بِكُمُ الْيُسْرُ)).(٢)

عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ قَالَ: "بَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا").(٣)

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد، ج١/٦١؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد، ج١/١٦٣، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٥/٣٢.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم الموعظة والعلم كي لا ينفروا، ج١/٢٥؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، ج٥/١٤١.

عَنْ عُرْوَةَ الفُقَيْمِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: كُنَّا نَنْتَظِرُ النَّبِيَّ ﷺ فَخَرَجَ رَجِلاً يَقْطُرُ رَأْسُهُ مِنْ وُضُوءٍ أَوْ غُسْلٍ فَصَلَّى، فَلَمَّا قَضَى الصَّلاَةَ جَعَلَ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعَلَيْنَا حَرَجٌ فِي كَذَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لاَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ دِينَ اللَّهِ ﷻ فِي يُسْرٍ (ثلاثًا يقولها)".(١)

عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ)).(٢) عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ أَكَادُ أُدْرِكُ الصَّلاَةَ مِمَّا يُطَوِّلُ بِنَا فُلاَنٌ فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْ يَوْمَئِذٍ. فَقَالَ: ((أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مُنَفِّرُونَ، فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ؛ فَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ))؛(٣) وقد دعا موسى ﷺ باليسر. قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾﴾ [طه].(٤)

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((اللَّهُمَّ لاَ سَهْلَ إِلاَّ مَا جَعَلْتَهُ سَهْلاً، وَأَنْتَ تَجْعَلُ الْحَزْنَ إِذَا شِئْتَ سَهْلاً إن شئت)).(٥)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ [الشرح].

---

(١) رواه أحمد في مسنده، ج٥/٦٩؛ و ابن حجر في ترجمته لعقبة في الإصابة، ج٢/٤٧٩.

(٢) رواه أحمد في مسنده، ج٢/١٠٨.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره، ج١/٣١؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، ج٢/٤٢، ٤٣.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٢٠٩.

(٥) رواه ابن حبان في صحيحه، ج٣/٢٥٥، ح برقم: ٩٧٤.

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ كَانُوا يَقُولُونَ: (لاَ يَغْلِبُ عُسْرٌ وَاحِدٌ يُسْرَيْنِ اثْنَيْنِ).(١)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾ [البقرة].(٢)

وكتاب الله ميسر لرسوله ﷺ وللأمة قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الدخان].(٣)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾﴾ [القمر].(٤)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾ [القمر].(٥)

وقال ـ تعالى ـ: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾﴾ [الأعلى].(٦)

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ((سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَؤُهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَقْرَأَنِيهَا، وَكِدْتُ أَنْ

(١) تفسير ابن كثير، ج٢/٢٠٠٩.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٢٥١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٦٩٥.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٧٨٩ ـ ١٧٩٠.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٧٩١.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٩٨٥.

أَعْجَلَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمْهَلْتُهُ حَتَّى انْصَرَفَ، ثُمَّ لَبَبْتُهُ بِرِدَائِهِ فَجِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأْتَنِيهَا. فَقَالَ لِي: أَرْسِلْهُ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: اقْرَأْ فَقَرَأَ. قَالَ: هَكَذَا أُنْزِلَتْ. ثُمَّ قَالَ لِي: اقْرَأْ. فَقَرَأْتُ. فَقَالَ: هَكَذَا أُنْزِلَتْ. إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا مِنْهُ مَا تَيَسَّرَ)).(١)

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: (أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ عِنْدَهُ، كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرُ. قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقَعَدْتُ قَالَ: فَجَاءَتِ الأَعْرَابُ فَسَأَلُوهُ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَتَدَاوَى. قَالَ: "نَعَمْ تَدَاوَوْا؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلاَّ وَضَعَ لَهُ دَوَاءً غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ الْهَرَمِ" قَالَ: وَسَأَلُوهُ عَنْ أَشْيَاءَ هَلْ عَلَيْنَا حَرَجٌ فِي كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: "يَا عِبَادَ اللَّهِ وَضَعَ اللَّهُ الْحَرَجَ إِلاَّ امْرَأً اقْتَضَى امْرَأً مُسْلِمًا ظُلْمًا فَذَلِكَ حَرَجٌ وَهُلْكٌ". قَالُوا: مَا خَيْرُ مَا أُعْطِيَ النَّاسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "خُلُقٌ حَسَنٌ").(٢)

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنَّ مِنْ يُمْنِ الْمَرْأَةِ تَيْسِيرَ خِطْبَتِهَا وَتَيْسِيرَ صَدَاقِهَا وَتَيْسِيرَ رَحِمِهَا)).(٣)

عن عطاء بن فروخ مولى القرشيين، أن عثمان اشترى من رجل أرضًا فأبطأ عليه فَلَقِيَهُ، فَقَالَ لَهُ: (مَا مَنَعَكَ مِنْ قَبْضِ مَالِكَ؟ قَالَ: إِنَّكَ غَبَنْتَنِي،

---

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، ج٦/ ١٠٠؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، ج٢/٢٠٢.

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب الطب، باب في الرجل يتداوى، ج٤/٣، ح برقم: ٣٨٥٥؛ وفي كتاب المناسك، باب فيمن قدم شيئ في حجه، ج٢/٢١٨، ح برقم: ٢٠١٥؛ ورواه ابن ماجه في سننه، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاء، ج٢/١١٣٧، ح برقم: ٣٤٣٦؛ وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب الطب، باب ما جاء في الدواء، ج٤/٣٨٣، ح برقم: ٢٠٣٨؛ وأحمد في مسنده، ج٤/٢٧٨.

(٣) رواه أحمد في مسنده، ج٦/٧٧، ٩١؛ ورواه الحاكم، ج٢/١؛ والبيهقي في السنن الكبرى، ج٧/٢٣٥.

فَمَا أَلْقَى مِنَ النَّاسِ أَحَدًا إِلاَّ وَهُوَ يَلُومُنِي، قَالَ: أَوْذَلِكَ يَمْنَعُكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَاخْتَرْ بَيْنَ أَرْضِكَ وَمَالِكَ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَدْخَلَ اللَّهُ ﷻ الْجَنَّةَ رَجُلاً كَانَ سَهْلاً مُشْتَرِيًا وَبَائِعًا وَقَاضِيًا وَمُقْتَضِيًا").[١]

عَنْ عبد اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ)).[٢]

والسماحة جزء من التيسير، عَنْ عبد اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ بِسَمَاحَتِهِ قَاضِيًا وَمُتَقَاضِيًا)).[٣]

ومن التيسير السماحة في البيع والشراء، عَنْ جَابِرِ بْنِ عبد اللَّهِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً سَمْحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى)).[٤]

وفي رواية لمسلم أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: ((مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا ـ أَوْ وَضَعَ عَنْهُ ـ أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ)).[٥]

عَنْ بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا كَانَ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ، وَمَنْ أَنْظَرَهُ بَعْدَ حِلِّهِ كَانَ لَهُ مِثْلُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٍ)).[٦]

---

(١) رواه النسائي في سننه، كتاب البيوع، حسن المعاملة والرفق في المطالبة، ج٧/٣١٨، ٣١٩؛ ورواه ابن ماجه في سننه، كتاب التجارات، باب السماحة في البيع، ج٢/٧٤٢؛ ورواه أحمد في المسند، ج١/٥٨؛ وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب البيوع، ج٣/٦١٠، ح برقم: ١٣٢٠.

(٢) رواه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة الرقائق والورع، ج٤/٦٥٤؛ ح برقم: ٢٤٨٨؛ ورواه أحمد في مسنده، ج١/٤١٥.

(٣) رواه أحمد في مسنده، ج٢/٢١٠.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع ومن طلب حقًا فليطلبه في عفاف، ج٣/٩.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد الرقائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر، ج٨/٢٣١، ٢٣٢.

(٦) رواه أحمد في مسنده، ج٥/٣٥١.

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: كَانَ لَهُ دَيْنٌ عَلَى رَجُلٍ وَكَانَ يَأْتِيهِ يَتَقَاضَاهُ فَيَخْتَبِىءُ مِنْهُ فَجَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ فَخَرَجَ صَبِيٌّ فَسَأَلَهُ عَنْهُ؛ فَقَالَ: نَعَمْ، هُوَ فِي البَيْتِ يَأْكُلُ خَرِيزَةً فَنَادَاهُ. فَقَالَ: يَا فُلاَنُ اخْرُجْ فَقَدْ أُخْبِرْتُ أَنَّكَ هَاهُنَا، فَخَرَجَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا يُغَيِّبُكَ عَنِّي؟ فَقَالَ: إِنِّي مُعْسِرٌ وَلَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ، قَالَ: آللَّهِ إِنَّكَ مُعْسِرٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَبَكَى أَبُو قَتَادَةَ ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((مَنْ نَفَّسَ عَنْ غَرِيمِهِ أَوْ مَحَا عَنْهُ كَانَ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))، وَفِي لَفْظُ: ((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللَّهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ)).[١]

عَنْ عبد اللَّهِ بْن عَمْرٍو قَالَ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: ((أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: فَلاَ تَفْعَلْ، قُمْ وَنَمْ وَصُمْ وَأَفْطِرْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّكَ عَسَى أَنْ يَطُولَ بِكَ عُمْرٌ وَإِنَّ مِنْ حَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، فَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّه، قَالَ: فَشَدَّدْتُ فَشُدِّدَ عَلَيَّ قُلْتُ: فَإِنِّي أُطِيقُ غَيْرَ ذَلِكَ. قَالَ: فَصُمْ مِنْ كُلِّ جُمْعَةٍ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، قَالَ: فَشَدَّدْتُ فَشُدِّدَ عَلَيَّ، قُلْتُ: إِنِّي أَطِيقُ غَيْرَ ذَلِكَ، قَالَ: فَصُمْ صَوْمَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ. قُلْتُ: وَمَا صَوْمُ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ؟ قَالَ: نِصْفُ الدَّهْرِ)).[٢]

ومن أمثلة تسامحه ﷺ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: (دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغَنِّيَانِ بِغِنَاءِ بُعَاثٍ، فَاضْطَجَعَ عَلَى الْفِرَاشِ وَحَوَّلَ وَجْهَهُ. وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَانْتَهَرَنِي. وَقَالَ: مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "دَعْهُمَا". فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزْتُهُمَا فَخَرَجَتَا، وَكَانَ يَوْمَ

---

(١) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب البيوع، باب إنظار المعسر، ج٥/٣٣ ـ ٣٤.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم، ج٢/٢٤٥.

عِيدٍ يَلْعَبُ فِيهِ السُّودَانُ بِالدَّرَقِ وَالحِرَابِ. فَإِمَّا سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ، وَإِمَّا قَالَ: تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ. فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ خَدِّي عَلَى خَدِّهِ وَهُوَ يَقُولُ: "دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفِدَةَ". حَتَّى إِذَا مَلَلْتُ قَالَ: "حَسْبُكِ؟" قُلْتُ: نَعَمْ . قَالَ: "فَاذْهَبِي").(١)

وقد تعلم أصحاب النبي ﷺ من السماحة وعدم الضغط على النفس. آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا. فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ فَإِنِّي صَائِمٌ. فَقَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، فَأَكَلَ. فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، فَقَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ، فَقَالَ: نَمْ، فَنَامَ فَلَمَّا كَانَ آخِرَ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ: قُمِ الآنَ، قَالَ: فَصَلَّيَا. فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ. فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "صَدَقَ سَلْمَانُ".(٢)

عَنْ جَابِرِ بْنِ عبد اللَّهِ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَرَأَى رَجُلاً قَدِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَقَدْ ظُلِّلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَا لَهُ؟ قَالُوا: رَجُلٌ صَائِمٌ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ أَنْ تَصُومُوا فِي السَّفَرِ. عَلَيْكُمْ بِرُخْصَةِ اللَّهِ الَّذِي رَخَّصَ لَكُمْ)).(٣)

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العيدين، باب الحراب والدَّرَق يوم العيد، ج٢/٢ ـ ٣؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد، ج٣/٢٢.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم يُرَ عليه قضاءً إذا كان أوفق له، ج٢/٢٤٣.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ لمن ظُلل عليه واشتد الحر ليس من البر الصوم في السفر، ج٢/٢٣٨؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية ...، ج٢/١٦٢.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما لِمَنْ سَأَلَهُ عَنْ الصَّوْمِ فِي السَّفَرِ: يُسْرٌ وَعُسْرٌ. فَخُذْ بِيُسْرِ اللَّهِ.(١)

عن سلمان الفارسي رضي الله عنه، بلفظ: (سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ السَّمنِ وَالجبنِ والفِراءِ فَقَالَ: الحَلالُ مَا أَحَلّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، وَالحَرَامُ مَا حَرّمَ اللَّهُ فِي كِتَابِه، وَمَا سَكَتَ عَنهُ فَهوَ مِمّا عفَا عَنهُ).(٢)

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَا أَحلَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ حَلاَلٌ، وَمَا حَرَّم فَهُوَ حَرَامٌ، وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ عَافِيَةٌ فَاقْبَلُوا مِنَ اللَّهِ العَافِيَةَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ نَسِيًّا ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الآية: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [مريم])).(٣)

عَنْ جَابِرِ بْنِ عبد اللَّهِ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها فِي حِجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، أَهَلَّتْ وَفِيهِ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلاً سَهْلاً إِذَا هَوِيَتِ الشَّيْءَ تَابَعهَا عَلَيْهِ فَأَرْسَلَهَا مَعَ عبد الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ فَأَهَلَّتْ بِعُمْرَةٍ مِنَ التَّنْعِيمِ.(٤)

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنِّي لأَدْخُلُ الصَّلاَةَ أُرِيدُ إِطَالَتَهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأُخَفِّفُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ بِهِ)).(٥)

---

(١) انظر: الطبري، تفسيره، ج٢/١٦٢.

(٢) أخرجه الترمذي، في سننه، ج٤/٢٢٠، ح برقم: ١٧٢٦؛ ورواه ابن ماجه في سننه، ج٢/١١٧ ح رقم ٣٣٦٧.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك، ج٢/٤٠٦، وقال: صحيح الاسناد، تحقيق: محمد عطا، طبعة دار الكتب العلمية؛

انظر كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، القسم الرابع، حجة الوداع.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب بيان وجوه الإحرام، ج٤/٣٥ ـ ٣٦.

(٥) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، ج١/١٧٣، ١٧٤؛ رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، ج٢/٤٤.

وقد قال ﷺ: ((وَالَّذِي نَفسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلاَ أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلاَفَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا. وَلَكِنْ لاَ أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ. وَلاَ يَجِدُونَ سَعَةً وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ)).(١)

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلاَّ أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ، إِلاَّ أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمُ بِهَا لِلَّهِ.(٢)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلاَةٍ)).(٣)

وكان أصحاب رسول اللّه ﷺ يختلفون في العمل أحيانًا، ولايتجاوز خلافهم الحدود الشرعية وقد نَفَعَ اللّهُ بهذاالإخْتِلاَفِ لأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَعْمَالِهِمْ القابلة لهذا الاختلاف، فلاَ يَعْمَلُ الْعَامِلُ بِعَمَلِ رَجُلٍ مِنْهُمْ إِلاَّ رَأَى أَنَّهُ فِي سَعَةٍ وَرَأَى أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْهُ قَدْ عَمِلَهُ)).(٤)

---

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب تمني الشهادة، ج٣/٢٠٣؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل اللّه، ج٦/٣٣، ٣٤.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ: [يسروا ولا تعسروا] وكان يجب التخفيف واليسر على الناس، ج٧/١٠١؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثار واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته، ج٧/٨٠.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب السواك يوم الجمعة، ج١/٢١٤؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب السواك، ج١/١٥١، ١٥٢.

(٤) صالح بن حميد وآخرين، نضرة النعيم، ج٤/١٤٨١، (بتصرف).

قَالَ عُمَرُ بْنُ عبد العَزِيزِ رحمه الله: (مَا أُحِبُّ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَخْتَلِفُوا؛ لأَنَّهُ لَوْ كَانُوا قَوْلاً وَاحِدًا كَانَ النَّاسُ فِي ضِيقٍ، وَإِنَّهُمْ أَئِمَّةٌ يُقْتَدَى بِهِمْ فَلَوْ أَخَذَ رَجُلٌ بِقَوْلِ أَحَدِهِمْ كَانَ فِي سَعَةٍ).(١)

قَالَ الْخَطَّابِيُّ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: (اكْلَفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ: هَذَا أَمْرٌ بِالاقْتِصَادِ وَتَرْكِ الْحَمْلِ عَلَى النَّفْسِ؛ لأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا أَوْجَبَ عَلَى الْعِبَادِ وَظَائِفَ مِنَ الطَّاعَاتِ فِي وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ تَيْسِيرًا وَرَحْمَةً).(٢)

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رحمه الله: (جَمَعَ اللَّهُ عز وجل فِي هَذِهِ الشَّرِيعَةِ بَيْنَ كَوْنِهَا حَنِيفِيَّةً وَكَوْنِهَا سَمْحَةً. فَهِيَ حَنِيفِيَّةٌ فِي التَّوْحِيدِ. سَمْحَةٌ فِي الْعَمَلِ).(٣)

قال - تَعَالَى - فِي وَصْفِ نَبِيِّنَا ﷺ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف].(٤)

ويرى ابْنُ كَثِيرٍ رحمه الله: (أَنَّ النَّبِيَّ جَاءَ بِالتَّيْسِيرِ وَالسَّمَاحَةِ. وَقَدْ كَانَتِ الأُمَمُ الَّتِي قَبْلَنَا فِي شَرَائِعِهِمْ ضِيقٌ عَلَيْهِمْ، فَوَسَّعَ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ أُمُورَهَا وَسَهَّلَهَا لَهُمْ).(٥)

---

(١) صالح بن حميد وآخرين، نضرة النعيم، ج١٤٨١/٤؛ نقلاً عن: (ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله "انظر: ج١١٩/٣").

(٢) ابن القيم، إغاثة اللهفان، ج٨/١ .

(٣) ابن القيم، إغاثة اللهفان، ج١٥٨/١.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٧٨٨/١.

(٥) ابن كثير في تفسيره، ج٧٩١/١ (بتصرف).

قَالَ الطبري رحمه الله: (من اتبع محمدًا ﷺ ودينه وضع عنهم ما كان عليهم من التشديد في دينهم).[١]

أبو برزة الأسلمي رضي الله عنه ذكر أنه قد صحب النبي ﷺ فرأى من تيسيره.[٢]

* * * * *

---

(١) الطبري، تفسيره، ج٦/٨٦.

(٢) البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ: (يسروا ولا تعسروا)، ج٧/١٠١-١٠٢.

الستر:

السّتر هو تَغْطية الشّيء، وهو مصدَر سَتَر الشّيء بمعنى غَطّاهُ أو أخفاهُ. وكلُّ شَيْءٍ سَتَـرْتَه فهو مَسْتُور، والذي تَسْتُرُه به سِتْرٌ له. والسِّتْرُ والسُّتْرَةُ ما يستتر به.(١)

ولا شك أن الناس يقع منهم الخطأ. وإن حصل ذلك فالطريق الصحيح لإصلاحهم فتح طرق الصلاح وتعزيزها في النفوس، ويأتي في مقدمة ذلك الستر عليهم. الستر هو إخفاء ما يظهر من زلات الناس وعيوبهم. وخصوصًا من كان غير مجاهر في معصيته. فالستر وسيلة لإصلاح حال المستور بأن يرجع عن معصيته ويتوب إلى ﷻ. أما إذا كان المستور ممن يُصِرُّ على الوقوع في المعصية، وممن يفسد في الأرض، فهنا يجب عدم ستره حتى لا يترتب على الستر ضرر يجعل العاصي يتمادى.(٢) وقد وردت الأوامر النبوية في الستر على المسلمين وعدم فضحهم.(٣)

وكذلك ستر المسلم على نفسه، عند البخاري رحمه الله في صحيحه (باب ستر المؤمن على نفسه).(٤)

كما عند الهيثمي (باب الستر على المسلمين).(٥)

ومن أسباب ستر الله للمسلم في الدنيا والآخرة أن يستر على أخيه المسلم ولا يفضحه إن رأى منه ما يكره، أو رآه في موضع معصية، عن أبي

---

(١) انظر: الزبيري، تاج العروس، ج٢٥٤/٣؛
ابن منظور، لسان العرب، ج٣٤٣/٤.

(٢) انظر: صالح بن حميد وآخرين نضرة النعيم، ج٢٢٣٥/٦.

(٣) انظر: صالح بن حميد وآخرين نضرة النعيم، ج٢٢٣٥/٦ ـ ٢٢٤٩.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه، ج٨٩/٧.

(٥) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج٢٨٦/٦.

هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: ((من نفَّس عن مؤمن كُرْبةً من كُرَب الدُّنيا، نفَّس الله عنه كُرْبةً من كُرَب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه، ومن سَتَر على مسلم سَتَره الله في الدُّنيا والآخرة...)). الحديث.(١)

وذلك يساعد على ألا يكون الستر وسيلة لإذلال المستور واستغلاله وتعييره بذنوبه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ يقول: ((كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول يا فلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه)).(٢) وعن ابن عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى: ((يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم ويقول عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقرره ثم يقول إني سترت عليك في الدنيا فأنا أغفرها لك اليوم)).(٣)

عن أم هانئ بنت أبي طالب تقول: (ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل، وفاطمة ابنته تستره فسلمت عليه، فقال: "من هذه"، فقلت: أنا أم هانئ بنت أبي طالب فقال: "مرحبًا بأم هانئ"، فلما فرغ من غسله قام فصلى ثماني ركعات ملتحفًا في ثوب واحد. فلما انصرف قلت: يا رسول الله زعم ابن أمي أنه قاتل رجلاً قد أجرته فلان بن هبيرة، فقال رسول الله ﷺ: "قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ"، قالت أم هانئ: وذاك ضحى).(٤)

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ج٨/٧١؛ وأبو داود في سننه، ص ٨٩٤، ح برقم: ٤٩٤٦؛ والترمذي في سننه؛ ج٤/٣٢٦، ح برقم: ١٩٣٠؛ وابن ماجه في سننه، ج٢/٨٥٠، ح برقم: ٢٥٤٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه، ج٧/٨٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه، ج٧/٨٩.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما جاء في زعموا، ج٧/١١٠.

عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حدثته قالت: جاءتني امرأة معها ابنتان تسألني فلم تجد عندي غير تمرة واحدة، فأعطيتها فقسمتها بين ابنتيها، ثم قامت فخرجت. فدخل النبي ﷺ فحدثته فقال: ((من يلي من هذه البنات شيئًا فأحسن إليهن كن له سترًا من النار)).(١)

ولا شك أن مما يعين على الستر عدم تتبع عورات الناس. وقد نهانا الرسول ﷺ عن تتبع عورات الناس وفضح سِترهم، قال ﷺ: ((يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عَورَاتهم، فإنَّه من اتَّبع عَوراتهم يتَّبع الله عَوْرته، ومن يتَّبع الله عَوْرته يفضحه في بيته)).(٢)

كما روي عنه ﷺ: ((من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موؤدة)).(٣)

ومن أسمائه عز وجل الستار، كما أن من صفاته الستر والعفو. وقال ﷺ: ((إنَّ الله عز وجل حَيي ستِّير، يحب الحياء والستر)).(٤)

والعورات الجسدية يلزم سترها. وقال ﷺ: ((لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة)).(٥)

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ج٧/٧٤.

(٢) رواه أحمد في مسنده، ج٤/٤٢٤.

(٣) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في الستر عن المسلم، ج٤/٢٧٤، ح برقم: ٤٨٩١.

(٤) رواه أبو داود في سننه، كتاب الحمّام، باب النهي عن التعري، ج٤/٣٨، ح برقم: ٤٠١٢؛ ورواه النسائي في سننه، كتاب الغسل والتيمم، باب الاستتار عن الاغتسال، ج١/٢٠٠؛ رواه أحمد في مسنده، ج٤/٢٢٤.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب تحريم النظر إلى العورات، ج١/١٨٣.

وقد سئل النبي ﷺ: يا رسول الله، عوراتنا ما نأتي وما نذر؟ فقال ﷺ: ((احفظ عورتك إلا من زوجك أو ما ملكت يمينك)). فقال السائل: يا نبي الله، إذا كان القوم بعضهم في بعض؟ فقال ﷺ: ((إن استطعتَ أن لا يراها أحد، فلا يرينَّها)) قال السائل: إذا كان أحدنا خاليًا؟ فقال النبي ﷺ: ((فالله أحق أن يستحيا منه من الناس)).(١)

والستر يكون عند الاغتسال، فيجب على المسلم إذا أراد أن يغتسل أو يستحم أن يستتر؛ حتى لا يطَّلع على عورته أحد لا يحق له الاطلاع عليها، ولقد كان النبي ﷺ إذا أراد أن يغتسل استتر عن الناس، ثم اغتسل.

وقد قال ﷺ: ((إن الله ﷻ حيي ستير يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر)).(٢)

ومن أبواب الستر إخفاء إحسان الإنسان للناس، ففي الصدقة المسلم لا يبتغي بصدقته إلا وجه الله ﷻ لذا فهو يسترها ويخفيها حتى لا يراها أحد سوى الله ﷻ قال ـ تعالى ـ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤ ﴾ [البقرة].(٣)

---

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الحمّام، باب ما جاء في التعرى، ج٤/٣٩ ـ ٤٠، ح برقم: ٤٠١٧؛ رواه الترمذي في سننه، كتاب الأدب، باب ما جاء في حفظ العورة، ج٥/٩٧، ح برقم: ٢٧٦٩؛ ورواه ابن ماجه في سننه، كتاب النكاح، باب التستر عن الجماع، ج١/١٩٢٠.

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب الحمّام، باب النهي عن التعري، ج٤/٣٨، ح برقم: ٤٠١٢؛ ورواه النسائي في سننه، كتاب الغسل والتيمم، باب الاستتار عن الاغتسال، ج١/٢٠٠؛ رواه أحمد في مسنده، ج٤/٢٢٤.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٣٣١.

وقال - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر].(١)

وقال - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ [البقرة].(٢)

وقال - تعالى -: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [الرعد].(٣)

وقال - تعالى -: ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾ [إبراهيم].(٤)

و الله ﷻ عالم بالأسرار لا يخفى عليه شيء. قال - تعالى -: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾﴾ [طه].(٥)

كما أخبرنا النبي ﷺ أن أَحَدَ السبعة الذين يظلُّهم الله في ظله يوم القيامة رجُلٌ تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه. وقال ﷺ: ((صدقة السر تطفئ غضب الرب)).(٦)

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٥٥٤.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٣٣١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/١٠١٠.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٠٣٦.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٢٠٥.

(٦) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، ج١/٢٨٩، ح برقم: ٩٤٣؛ وله طرق متعددة يحسن بعضها بعضًا، (انظر: موقع الدرر السنية) https://www.dorar.net/h/ بتاريخ ١٤٤١/١٢/٢٥هـ؛ وقال الألباني: (حملة القول إن الحديث بمجموع طرقه وشواهده صحيح بلا ريب، بل يلحق بالمتواتر عند بعض المحدثين المتأخرين)، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج٤/٥٣٩، ح برقم: ١٩٠٨.

فهكذا يكون الستر في الآخرة، نتيجة لما يقوم به المسلم من ستر لأخيه في الدنيا، والثواب يكون في الدنيا أيضًا، فقد قال ﷺ: ((ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة)).(١)

والستر ثوابه الجنة. فقد قال رسول الله ﷺ: ((لا يرى مؤمن من أخيه عورة فيسترها عليه، إلا أدخله الله بها الجنة)).(٢)

والذين لا يسترون الناس وويتحدثون عن معاصي الآخرين قد يدخلون مع الذين يشيعون بينهم الفاحشة، وقد توعد الله أولئك بالعذاب الأليم كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور].(٣)

وبالتالي السنة هي الإقتداء بالرسول ﷺ وامتثال أمره كما في قوله ﷺ: ((المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسْلِمُه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة)).(٤)

وعن أبي برزة الأسلمي، قال: قال رسول الله ﷺ: ((يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عَورَاتهم، فإنَّه من اتَّبع عَوراتهم يتَّبع الله عَوْرته، ومن يتَّبع الله عَوْرته يفضحه في بيته)).(٥)

---

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب الحدود، باب ما جاء في الستر على المسلم، ج٤/٣٤، ح برقم: ١٤٢٥.

(٢) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الزوائد، ج٦/٢٤٦.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٣٢١.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغضب، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، ج٣/٩٨.

(٥) ورواه أحمد في مسنده، ج٤/٤٢٤؛

ورواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في الغيبة، ج٤/٢٧١، ح برقم: ٤٨٨٠.

وفي إحدى روايات حديث ماعز رضي الله عنه أنَّه جاء إلى أبي بكر الصِّديق رضي الله عنه فقال له: ((إنَّ الآخر زنى ـ يريد نفسه ـ فقال له أبو بكر رضي الله عنه: هل ذكرت هذا لأحد غيري؟ فقال: لا. فقال له أبو بكر رضي الله عنه: فتُب إلى الله، واسْتَتِر بسِتر الله؛ فإنَّ الله يقبل التَّوبة عن عباده. فلم تُقْرِره نفسه، حتَّى أتى عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه فقال له مثل ما قال لأبي بكر رضي الله عنه، فقال له عمر مثل ما قال له أبو بكر رضي الله عنه. فلم تُقْرِره نفسه حتَّى جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال له: إنَّ الآخر زنى. فأعرض عنه رسول الله ﷺ ثلاث مرَّات، كلُّ ذلك يُعرض عنه ﷺ، حتَّى إذا أكثر عليه بعث رسول الله ﷺ إلى أهله فقال: أيشتكي، أم به جِنَّة؟ فقالوا: يا رسول الله، والله إنَّه لصحيح، فقال رسول الله ﷺ: أبِكْر أم ثيِّب؟ فقالوا: بل ثيِّب يا رسول الله، فأمر به رسول الله ﷺ، فرُجِم)).(١)

ولاشك أن ظن السوء بالناس أعظم من كشف سترهم، وقد نهى الله عن ذلك. قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ١٢﴾ [الحجرات].(٢)

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ٢٢﴾[فصلت].(٣)

وقد أتى رجل لعمر بن الخطَّاب رضي الله عنه، قال: (إنَّ ابنة لي أصابت حدًّا، فعَمَدت إلى الشَّفْرة، فذبَحَت نفسها، فأدركتُها، وقد قطعت بعض

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب لا يرجم المجنون والمجنونة، باب الرجم بالمصلى، ج٨/٢١ ـ ٢٣.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٧٤٧.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٦٥٤.

أوداجها، فداويتها فبرأت، ثم أنَّها نَسَكت، فأقبلت على القرآن، فهي تُخْطب إليَّ، فأخبر من شأنها بالذي كان، فقال له عمر: تعمد إلى سِتْر سَتَره الله فتكشفه؟ لئن بلغني أنَّك ذكرت شيئًا من أمرها لأجعلنَّك نَكالاً لأهل الأمصار، بل أنكِحها نكاح العفيفة المسلمة).[(١)]

والستر لا يمنع من أداء الشهادة إذا طلبت، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ ﴿٢٨٣﴾﴾ [البقرة].[(٢)]

وهذا من الواجبات الشرعية العدلية، ولا يدخل في كشف الستر.

* * * * *

(١) انظر: رواية عبد الرزاق الصنعاني، في مصنفه، ج ٢٤٦/٦ ـ ٢٤٧.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٣٤٣/١.

السكينة:

السكينة خلاف الاضطراب والحركة، يقال: سكن الشيء إذا استقر وثبت. والسكينة تعنى الوقار، والوداعة، كما تعني التأني والهدوء، والبعد عن الرعب والعجلة،[١] وقد يراد بها الرحمة. والسكينة للجوارح مربوط بهدوء في القلب الذي هو موضع السكينة. والسكينة نعمة يهبها اللّه لبعض عباده، وبها يكون لطفهم مع الخلق وحسن تصرفهم. وصواب فعلهم. وهي صفة للحكماء والعلماء والصالحين، وقد تكون السكينة مصحوبة بالملائكة من عند اللّه سبحانه وتعالى.[٢]

قال ابن القيِّم رحمه الله في تعريف السكينة: (هي الطُّمَأنِينة والوَقَار والسُّكون، الذي ينزِّله اللّه في قلب عبده عند اضطرابه من شدَّة المخاوف، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه، ويوجب له زيادة الإيمان، وقوَّة اليقين والثَّبات).[٣]

وقد ورد الحديث عن السكينة في القرآن الكريم في عدة مواضع منها ما منَّ اللّه به من سكينة على رسول اللّه ﷺ وأدت لطمأنينته، ومزيد من الثقة بنصر اللّه، وصواب في العمل وقوة وشجاعة وانتصاره ﷺ وقد أنزلها اللّه على رسوله ﷺ ومن معه من أصحابه كما في غزوة حنين.[٤]

---

(١) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، (منزلة السكينة)، ج٢/٤٠٤.

(٢) انظر: ابن منظور لسان العرب، ج١٣/٢١١؛
الزبيدي، تاج العروس، ج ٩/٣٣٧؛
صالح بن حميد وآخرون، نضرة النعيم، ج٦/٢٢٦٧.

(٣) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، ج٢/٤٠٥.

(٤) انظر: كتابي: (رسول اللّه وخاتم النبيين)، القسم الثالث.

قال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [التوبة].[1]

وما منَّ الله به عليه ﷺ يوم الهجرة. وأنزل من السكينة عليه ونصره على أعدائه. قال ـ تعالى ـ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة].[2]

وكذلك في غزوة الحديبية. قال ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾ [الفتح].[3]

وقوله ـ تعالى ـ في الحديبية: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الفتح].[4]

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٨٦٩.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٨٨٣.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٧٢٥.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٧٣٣.

وقد أرسل الله السكينة لبني إسرائيل كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾ [البقرة]. وتعني السكينة شيئًا فيه الوقار والجلالة والقوة والشجاعة.(١)

والسكينة هبة من الله وصفة في بعض عباده وسلوك. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون، وأتوها تمشون، عليكم السكينة. فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا)).(٢)

وعن الفضل بن عباس رضي الله عنهما، وكان رديف رسول الله ﷺ، أنه قال في عشية عرفة وغداة جمع للناس حين دفعوا: ((عليكم بالسكينة)).(٣)

وعن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: ((لا تقوموا حتى تروني وعليكم السكينة)).(٤)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يسروا ولا تعسروا، وسكنوا ولا تنفروا)).(٥)

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٣١٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب المشي إلى الجمعة، ج١/٢١٨؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة، ج٢/١٠٠.

(٣) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب استحباب إدامة الحاج التلبية حتى يشرع في رمى جمرة العقبة يوم النحر، ج٤/٧١.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب لا يسعى إلى الصلاة مستعجلاً وليقم بالسكينة والوقار، ج١/١٥٧.

(٥) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ يسروا ولا تعسروا، ج٧/١٠١.

وكان ﷺ يدعو أن ينزل الله عليه ومن معه السكينة، عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم الأحزاب ينقل التراب ـ وقد وارى التراب بياض بطنه ـ وهو يقول:

والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لا قينا
إن الألى قد بغوا علينا ... إذا أرادوا فتنة أبينا.(١)

وعن البراء رضي الله عنه قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف، وعنده فرس مربوط بشطنين فتغشته سحابة، فجعلت تدور وتدنو، وجعل فرسه ينفر منها. فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له. فقال ﷺ: ((تلك السكينة، تنزلت للقرآن)).(٢)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده)).(٣)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت ﷺ يقول: ((الفخر والخيلاء في الفدادين، أهل الوبر والسكينة في أهل الغنم. والإيمان يمان والحكمة يمانية)).(٤)

---

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب حفر الخندق، ج٢١٣/٣.
(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب فضل الكهف، ج١٠٤/٦.
(٣) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ج٧١/٨.
(٤) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه، ج٥٢/١، ٥٣.

وقد أقتدى الأمة وخصوصًا العلماء برسول الله ﷺ في السكينة، فكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إذا اشتدت عليه الأمور قرأ آيات السكينة، وكان يقول في واقعة عظيمة جرت له في مرضه؛ (لما اشتد عليَّ الأمر، قلت لأقاربي ومن حولي: اقرأوا آيات السكينة. قال: ثم أقلع عني ذلك الحال).(١)

وقال تلميذه ابن القيم أيضًا: (قد جربت أنا أيضًا قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب بما يرد عليه، فرأيت لها تأثيرًا عظيمًا في سكونه وطمأنينته).(٢)

كما قال: (السكينةالثانية هي... السكينة التي تنطق على لسان المحدثين ليست شيئًا يملك، وإنما هي شيء من لطائف صنع الله - تعالى - تلقي على لسان المحدث الحكمة كما يلقي الملك الوحي على قلوب الأولياء، وتنطق المحدثين بنكت الحقائق مع ترويح الأسرار وكشف الشبه).(٣)

* * * * *

(١) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، ج٢/٤٠٤.
(٢) ابن القيم، مدارج السالكين، ج٢/٤٠٤.
(٣) ابن القيم، مدارج السالكين، ج٢/٤٠٧.

حياؤه ﷺ:

الحياء: الحشمة، ضد الوقاحة. وقد حيي منه حياءً واستحيا واستحى فهو حَيِيٌّ، وهو انقباض النَّفس مِن شيءٍ وتركه حذرًا عن اللَّوم فيه.(١)

وهو خُلق يبعث صاحبه على اجتناب القبيح، ويمنع مِن التقصير في الحقِّ.

وقيل هو: (تغيُّر وانكسار يعتري الإنسان مِن خوف ما يُعَاب به ويُذَمُّ). والحياء من الحشمة. ويتداخل الحياء مع الخجل ويفترق عنه الخجل: يظهر في الوجه عند ذهاب حجَّةٍ، أو ريبة، وما أشبه ذلك، فهو شيء تتغير به الهيبة. وقد يكون في موضع ريبة.(٢)

والحَيَاء: هو الارتداع بقوَّة الحَيَاء، والخَجَل في الغالب ممَّا كان، والحيَاء ممَّا يكون.(٣)

وقد يُسْتَعمل الحَيَاء موضع الخَجَل حسب الموقف، وقد اتفقت الشريعة والعقول الصحيحة على أن الحياء مانع للإنسان من ارتكاب القبائح والمنكرات التي تشينه، ولا يمنعه من الدفاع عن الحق وقبوله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.(٤)

والخجل مذموم في كثير من الأحيان، بينما الحياء ممدوح ومستحسن.

---

(١) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج٣/٣٢٢.
(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج١٤/٢١٧.
(٣) الزبيري، تاج العروس، ج١٠/١٠٦.
(٤) انظر: الجزء الثالث من هذه الموسوعة.

وقد قال ﷺ: ((الْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمَان)). [(١)] وفي الحديث: ((إن لكل دين خُلقًا، وخُلُقُ الإسلام الحياء)).[(٢)] وفي الحديث: ((الحياء والإيمان قرنا جميعًا، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر)).[(٣)]

وقد وردت لفظة الحياء في القرآن الكريم عدة مرات منها قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [البقرة].[(٤)]

وحياء الله يليق بجلاله وهو كرم وبر وجود ورحمة.

قال ﷺ: ((إنَّ الله حييٌّ كريمٌ يستحيي إذا رفع الرَّجل إليه يديه أن يردَّهما صفرًا خائبتين)).[(٥)] وورد قوله ﷺ: ((إنَّ الله ـ تعالى ـ حييٌّ ستِّيرٌ يحبُّ الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر)).[(٦)]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان وقول الله تعالى ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ج٨/١؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، ج٤٦/١.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب الحياء، ج١٣٩٩/٢، ح برقم: ٤١٨١، ٤١٨٢.

(٣) رواه البيهقي في (شعب الإيمان) (٧٣٣١)؛ موقع الدرر السنية في الشبكة. والحاكم في المستدرك (٥٨) وأبو نعيم في حلية الأولياء، ج٢٩٧/٤.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١٠٥/١.

(٥) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ١٥، ج٥٥٦/٥، ح برقم: ٣٥٥٦؛ ورواه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب الدعاء، ج٧٩/٢، ح برقم: ١٤٨٨.

(٦) رواه أبو داود في سننه، كتاب الحمّام، باب النهى عن التعرّى، ج٣٨/٤، ح برقم: ٤٠١٢؛ رواه النسائي في سننه، كتاب الغسل والتيمم، باب الاستتار عن الاغتسال، ج٢٠٠/١.

وحياء العبد من الله هو أعظم الحياء، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: ((استحيوا من الله حق الحياء. قال: قلنا: يا رسول الله! إنا نستحيي والحمد لله. قال: ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء)).(١)

والحياء من الله أساس الحياء والإيمان والعمل الصالح، قال ابن رجب: (يدخل فيه حفظ السَّمع والبصر واللِّسان مِن المحرَّمات، وحفظ البطن وما حوى، يتضمَّن حفظ القلب عن الإصرار على ما حرَّم الله، ويتضمَّن أيضًا حفظ البطن مِن إدخال الحرام إليه مِن المآكل [وتحفظ البطن]. أي: عن أكل الحرام. [وما حوى]. أي ما اتصل اجتماعه به مِن الفرج والرِّجلين واليدين والقلب، فإنَّ هذه الأعضاء متَّصلة بالجوف، وحفظها بأن لا تستعملها في المعاصي، بل في مرضاة الله تعالى.(٢)

وقد ورد: أن موسى عليه السلام كان رجلاً حييًا ستيرًا لا يُرى من جلده شيءٌ.(٣) والملائكة تستحي كما ثبت في قوله ﷺ عن عثمان: ((ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة)).(٤) ولذلك قال بعض الصحابة: إن معكم مَن لا

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، ج٤/٦٣٧، ح برقم: ٢٤٥٨؛ ورواه أحمد في مسنده، ج١/٣٨٧.

(٢) انظر: ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ص ٣٦٣. [وتتذكَّر الموت والبِلَى]. مِن بَلَى الشَّيء إذا صار خَلِقًا متفتِّتًا.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، ج٤/١٢٩.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل عثمان عفان رضي الله عنه، ج٧/١١٦، ١١٧؛

وانظر: الهيثمي، مجمع الزوائد، باب في حيائه، عثمان رضي الله عنه، ج٩/٨١.

يفارقكم، فاستحيوا منهم، وأكرموهم.[١] وقد نبه ـ سبحانه ـ على هذا المعنى بقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار].[٢]

ويظهر أن أول حياء كان من آدم وحواء، حينما أكلا من الشجرة التي نهاهما الله عن الأكل منها، حيث بدت لهما سوأتهما، فأسرعا يأخذان مِن أوراق الجنَّة ليسترا عورتيهما، فتحدَّث القرآن الكريم عن ذلك بقوله ﷻ: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴿٢٢﴾﴾ [الأعراف][٣] وهذا يدلُّ على أنَّ الإنسان مفطورٌ على الحيَاء.

وقد ورد حياء النبي ﷺ من ربه في عدة حوادث، منها في حادثة المعراج، لما طلب موسى عليه السلام مِن نبيِّنا ﷺ في ليلة الإسراء أن يراجع ربَّه في تخفيف فرض الصَّلاة، قال النَّبيُّ ﷺ لموسى عليه السلام: ((استحييت مِن ربِّي)).[٤] وورد عند البخاري في صحيحه، كتاب الأدب (باب ذكر أن الله لا يستحي من الحق) في حادثة أمام النبي ﷺ روى فيه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: ((جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق فهل على المرأة غسل إذا احتلمت فقال ﷺ: نعم إذا رأت الماء)).[٥]

---

(١) انظر: الترمذي في صحيحه، ح برقم: ٢٨٠٠؛ الشوكاني، نيل الأوطار، ج٦/٣٤٥.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/١٩٦٩.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/٧٤٩.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، ج٤/٢٥٠.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الغسل، باب إذا احتلمت المرأة، ج١/٧٤.

وجاء في قصة موسى عليه السلام قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [القصص].(١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنَّ موسى كان رجلاً حييًّا ستّيرًا، لا يُرَى مِن جلده شيء استحياءً منه، فآذاه مَن آذاه مِن بني إسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التَّستُّر إلا مِن عيب بجلده، إمَّا برص وإمَّا أُدْرَة وإمَّا آفة. وإنَّ الله أراد أن يبرِّئه ممَّا قالوا لموسى فخلا يومًا وحده، فوضع ثيابه على الحجر ثمَّ اغتسل، فلمَّا فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإنَّ الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر! ثوبي حجر! حتى انتهى إلى ملإ مِن بني إسرائيل، فرأوه عريانًا أحسن ما خلق الله، وأبرأه ممَّا يقولون. وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربًا بعصاه، فو الله إنَّ بالحجر لندبًا مِن أثر ضربه ثلاثًا، أو أربعًا، أو خمسًا، فذلك قوله ـ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأحزاب])).(٢)

وقد شهد القرآن للنبي ﷺ بالحياء كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٤١٢.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٥٢٧.

﴿أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾ [الأحزاب].[١]

وقد وضع البخاري في كتاب الأدب في صحيحه (باب الحياء).[٢] روى فيه عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((الحياء لا يأتي إلا بخير)). فقال بشير بن كعب: مكتوب في الحكمة إن من الحياء وقارًا وإن من الحياء سكينة، فقال له عمران: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتحدثني عن صحيفتك.[٣] وقد أشار الصحابة لعظيم حياء النبي ﷺ. فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ((كان النبي ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها فإذا رأى شيئًا يكرهه عرفناه في وجهه)).[٤]

عن عبد اللّه بن عمر رضي الله عنهما مر النبي ﷺ على رجل وهو يعاتب أخاه في الحياء يقول إنك لتستحيي حتى كأنه يقول قد أضر بك. فقال رسول اللّه ﷺ: ((دعه فإن الحياء من الإيمان)).[٥]

وكان الصحابة يستحيون من رسول اللّه ﷺ فكانوا مع حبهم للنظر إليه ﷺ لا يركزون في نظرهم له حياءًا منه ﷺ ومن قصص الصحابة في الحياء حياء فاطمة بنت محمد ﷺ روي أنها احتاجت رضي الله عنها، إلى خادم، فالحال شديدٌ: تطحن بالرَّحى والغسل، فاحتاجت إلى خادمٍ من مشقَّة العمل

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، ج٦/٢٤. وفي الباب جزء من الآية ٥٣ من سورة الأحزاب؛

وانظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢/١٥١٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الحياء، ج٧/١٠٠.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الحياء، ج٧/١٠٠.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، ج٧/٩٦.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الحياء، ج٧/١٠٠.

فزوجها على رضي الله عنه ليس صاحب تجارة وأموال، فمن أين الخادم؟ فذهبت فاطمة رضي الله عنها للنَّبىِّ ﷺ تسأله خادمًا، فقال: ما جاء بك يا بنية؟ قالت جئت أسلم عليك واستحيت أن تقول جئت أطلب خادمًا، قالت: "جئت أسلم عليك" وفي الليلة القابلة أتته فقالت مثل ذلك، فاستحيت أن تسأل أباها الخادم، وكانت بحاجة إليه، ثُمَّ النَّبىُّ ﷺ علَّمهما ما هو خيرٌ لهما من الخادم: "سبحان الله ثلاثًا وثلاثين الحمد لله ثلاثًا وثلاثين والله أكبر أربعًا وثلاثين قبل النَّوم يغنيان عن الخادم".(١)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ مضطجعًا في بيتى، كاشفًا عن فخذيه أو ساقيه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدَّث، ثمَّ استأذن عمر، فأذن له وهو كذلك، فتحدَّث، ثمَّ استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوَّى ثيابه ... فدخل فتحدَّث، فلمَّا خرج، قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله، ثمَّ دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثمَّ دخل عثمان فجلست وسوَّيت ثيابك، فقال: "ألا أستحي مِن رجل تستحي منه الملائكة").(٢)

---

(١) الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب ما جاء في التسبيح والتكبير والتحميدعند المنام، ج٥/٤٧٧، ح برقم: ٣٤٠٨؛
وانظر: رواية البخاري في صحيحه كتاب الدعوات، باب التكبير والتسبيح عند النوم، ج٧/١٤٨ ـ ١٤٩؛ ورواية مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التسبيح أول النهار وعند النوم، ج٨/٨٤ ـ ٨٥ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل عثمان رضي الله عنه، ج٧/١١٦، ١١٧.

عن أبي واقد الليثي أنَّ رسول الله ﷺ بينما هو جالسٌ في المسجد والنَّاس معه، وذكر قصة الثَّلاثة: حيث إنَّ واحدًا منهم جلس خلف، قال النَّبيُّ ﷺ في شأنه: ((وأمَّا الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه)).(١)

روت عائشة رضي الله عنها إن امرأة من الأنصار قالت للنبى ﷺ: كيف أغتسل من المحيض؟ قال: ((خذى فِرْصة مسلك، فتطهرى بها)) قالت: كيف أتطهر؟ قال: ((تطهرى بها)) قالت: كيف؟ قال: ((سبحان الله، تطهرى)) فاجتذبتها إلىَّ، فقلت: تتبعي بها أثر الدم. وفي رواية: ثم إن النبي ﷺ استحيى فأعرض بوجهه.(٢)

عن ابن عمر رضي الله عنه قال النبي ﷺ: ((مثل المؤمن كمثل شجرة خضراء لا يسقط ورقها ولا يتحات))، فقال القوم: هي شجرة كذا هي شجرة كذا، فأردت أن أقول هي النخلة وأنا غلام شاب فاستحييت فقال: ((هي النخلة ...)) فحدثت به عمر فقال: لو كنت قلتها لكان أحب إلي من كذا وكذا.(٣)

ومن حياء الصحابة رضي الله عنهم بين يديه ﷺ عن عليٍّ رضي الله عنه قال: (كنت رجلاً مذَّاءً فكنت أستحي أن أسأل رسول الله ﷺ لمكان ابنته، فأمرت المقداد فسأله، فقال: يغسل ذكَرَه ويتوضَّأ).(٤)

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الحلق والجلوس في المسجد، ج١/١٢١ ـ ١٢٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحيض، باب غسل المحيض، ج١/٨٠ ، ٨١؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم، ج١/١٧٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما لا يستحيا من الخف للتفقه في الدين، ج٧/ ١٠٠.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب من لم ير الوضوء إلا من المخرجين، ج١/٥٢؛ رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب المذي، ج١/١٦٩، ١٧٠.

عن أنس رضي الله عنه قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ تعرض عليه نفسها فقالت: هل لك حاجة في فقالت ابنته: ما أقل حياءها فقال: ((هي خير منك عرضت على رسول الله ﷺ نفسها)).(١)

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كنت أدخل بيتي الذي دُفِنَ فيه رسول الله ﷺ وأبي، فأضع ثوبي، فأقول إنَّما هو زوجي وأبي، فلمَّا دُفِنَ عمر معهم، فوالله ما دخلت إلا وأنا مَشْدُودَةٌ عليَّ ثيابي؛ حَيَاءً مِن عمر).(٢)

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (جاءت فاطمة بنت عتبة بن ربيعة تبايع النَّبيَّ ﷺ، فأخذ عليها ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ ﴿١٢﴾﴾.(٣) قالت: فوضعت يدها على رأسها حَيَاءً، فأَعْجَبَ رسول الله ﷺ ما رأى منها، فقالت عائشة: أَقِرِّي أيَّتها المرأة، فوالله ما بايعنا إلا على هذا. قالت: فنعم إذًا. فبايعها بالآية).(٤)

والحَيَاء فضيلة مِن فضائل الفطرة، وهو مادَّة الخير والفضيلة، وبهذا وصفه النَّبيُّ ﷺ بقوله: ((الحَيَاء خيرٌ كلُّه)).(٥)

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النَّبيَّ ﷺ، مرَّ على رجل، وهو يعاتب أخاه في الحياء، يقول: إنَّك لتستحيى حتى كأنَّه يقول: قد أضرَّ بك، فقال رسول الله ﷺ: "دعه، فإنَّ الحياء مِن الإيمان".(١)

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح، ج٦/ ١٢٩؛ لمزيد من التوسع انظر: موقع، الدرر السنية السقاف *https://dorar.net/akhlaq* بتاريخ ١٤٤١/٩/٢٣هـ.

(٢) رواه أحمد في مسنده، ج٦/٢٠٢.

(٣) من الآية ١٢ من سورة الممتحنة: وانظر: ابن كثير، تفسيره، ج١٨٦٣/٢

(٤) رواه أحمد، ج١٥١/٦؛ وابن حبان، ج٤١٨/١٠، وبيعة النساء مذكورة في الصَّحيحين.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، ج٤٦/١، ٤٧.

(وإنَّما أفرد ﷺ هذه الخصلة مِن خصال الإيمان في هذا الحديث، وخصَّها بالذِّكر دون غيرها مِن باقي شعب الإيمان؛ لأنَّ الحيَاء كالدَّاعي إلى باقي الشُّعب، فإنَّ صاحب الحيَاء يخاف فضيحة الدُّنْيا والآخرة فيأتمر وينزجر، فلمَّا كان الحيَاء كالسَّبب لفعل باقي الشُّعب؛ خُصَّ بالذِّكر ولم يذكر غيره معه).[٢]

قال ابن رجب نقلاً عن ابن عباس رضي الله عنهما: (الحياء والإيمان في قرن فإذا نزع الحياء تبعه الآخر).[٣]

وقد رأى رسول الله ﷺ رجلاً يغتسل بالبَـرَاز،[٤] فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: ((إنَّ الله عز وجل حَلِيمٌ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ، يحبُّ الحيَاء والسَّتْر، فإذا اغتسل أحدكم فليَسْتَتِر)).[٥]

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما كان الفُحْش في شيء إلا شانه، وما كان الحيَاء في شيء إلا زَانَهُ)).[٦]

عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنَّ ممَّا أدرك النَّاس مِن كلام النُّبوَّة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت)).[٧]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الحياء، ج٧/١٠٠. (وقد سبق الاستدلال به في موقع آخر).

(٢) وانظر: صالح بن حميد وأخرين، نضرة النعيم، ج٥/١٧٩٥.

(٣) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ج١/٣٦٢.

(٤) البراز: المكان البارز الظاهر أمام الناس، غير مستتر عنهم.

(٥) رواه النسائي في سننه، كتاب الغسل والتيمم، باب الاستتار عن الاغتسال، ج١/ ٢٠٠.

(٦) رواه أحمد في مسنده، ج٣/١٦٥، مع اختلاف في اللفظ.

(٧) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت، ج٧/١٠٠.

وهذ يؤكد أن الحياء مربوط بالإيمان وبالتالي كان من عمل الأنبياء السابقين عليهم السلام، وأخالقهم المتقاربة، وأنَّ الحَيَاء من ثوابتهم وهو واجب لديهم، وأنه ما مِن نبيٍّ إلا وقد اتصف به ونَدَب إلى الحَيَاء وبُعِث عليه، وأنَّه مما بقي مِن شرائعهم.(١)

قال ابن القيِّم: (خُلق الحَيَاء مِن أفضل الأخلاق وأجلِّها وأعظمها قدرًا وأكثرها نفعًا، بل هو خاصَّة الإنسانيَّة، فمَن لا حياء فيه، فليس معه مِن الإنسانيَّة إلا اللَّحم والدَّم وصورتهما الظَّاهرة، كما أنَّه ليس معه مِن الخير شيء).(٢)

* * * * *

(١) وانظر: صالح بن حميد وآخرون، نضرة النعيم، ج٥/١٧٩٥.
(٢) انظر: ابن القيم، مفتاح دار السَّعادة، ج١/٢٧٧.

مُزاحه ﷺ:

هو المداعبة، والدُّعَابَةُ المزاح. والُمزاح بضم الميم: كلام أو فعل يراد به المباسطة، بحيث لا يفضى إلى ضرر، مَزَح الشَّخصُ دَعَب وهَزَل وتكلَّم بما يُستملح مُتلاطِفًا. وتمازح الشخصان: تداعبا. ويقال رجل كثير المزاح، أي يشتهر به، وهو ضدّ جدَّ. والمزاح يدخل شيئاً من السرور بين المتمازحين،[١] ولذلك يمارسه الكبار مع الأطفال الصغار من باب إدخال السرور عليهم، ويكون له مناسبته عند العقلاء، وهو أمر جبل عليه الناس. ويكثر عند بعضهم، ويقل عند آخرين، ويدخل في التسلية، كما يدخل في التعليم أحيانًا، وقد ألف أبو البركات الغزي كتاب المراح في المزاح.[٢] ويحتوي الكتاب على طريف فيه نوادر أدب المزاح. في العصر النبوي وما تلاه من عصر الصحابة. وما ورد في ذم المزاح ومدحه. وقدم له بمقدمة حول أخلاق المزاح وآدابه وشروطه.[٣]

كان ﷺ جادًا حازمًا، ومع ذلك فمن هديه وخلقه ﷺ الُمزاح المتزن دون الخروج عن الصدق. ولا شك أن مزاحه ﷺ كان من باب إدخال السرور والابتسامة على من حوله ﷺ، وجزء من تربيته وتعليمه لأصحابه وللأمة المطالبة بالتأسي به ﷺ. والأصل في المزاح الإباحة في حدود السنة وعدم ضرر الآخرين.[٤]

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٢/٥٩٣.

(٢) أبو البركات محمد بن محمد الغزي العامري الدمشقي، المراح في المزاح، بيروت: دار ابن حزم ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٣) أبو البركات الغزي، المراح في المزاح، ص ١ ـ ٤٠.

(٤) انظر: موقع الدرر السنية، موضوع ضوابط المزاح، *https://www.dorar.net/akhlaq* بتاريخ، ١٤٤١/١٢/٢٧هـ؛

وانظر موقع طريق الإسلام بتاريخ ١٤٤١/١٠/٢٤هـ *https://ar.islamway.net/*

ولذلك ما كان ﷺ يُفرِط في المزاح أو يكثر الضحك، وهو القائل ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: ((إيَّاك وكثرةَ الضَّحك؛ فإنَّه يميت القلبَ، ويذهب بنورِ الوجه)).(١)

ومن المعروف أن المزاح يدعو للضحك أحيانًا، لكن جُلُّ ضحكه ﷺ التبسم، و تبدو نواجِذُه أحيانًا.

قال: ((لا تكثروا الضَّحكَ؛ فإنَّ كثرة الضَّحك تميت القلبَ)).(٢) وفي رواية: ((فإنَّ كثرة الضَّحك فسادٌ للقلب)).

كان ﷺ مع مزاحه ينبسط مع الجميع صغارًا وكبارًا. وقد وضع الترمذي في كتاب الشمائل (باب ما جاء في مزاح رسول الله ﷺ)،(٣) أورد فيه عن أبى هريرة قال: قالوا: يا رسول الله إنك تداعبنا قال: ((إني لا أقوال إلا حقًا)).(٤)

كما أكد ﷺ على منع الكذب في المزاح، قال ﷺ: ((ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب، ويل له، ويل له)).(٥)

---

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس، ج٤/٥٥١.

(٢) انظر: ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب الورع والتقوى، ج٢/١٤١٠، ح برقم: ٤٢١٧؛ ورواه الترمذي في سننه كتاب الزهد، باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس، ج٤/٥٥١، ح برقم: ٢٣٠٥.

(٣) الترمذي، الشمائل النبوية، (اختصره) الألباني، ص ١٢٣؛
وسننه،كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المزاح، ج٤/٣٥٧ ـ ٣٥٨.

(٤) رواه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المزاح، ج٤/٣٥٧.

(٥) رواه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس، ج٤/٥٥٧، ح برقم: ٢٣١٥؛ ورواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في التشديد في الكذب، ج٤/٢٩٩، ح برقم: ٤٩٩٠.

عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه)).[1]

كتب الإمام الغزالي رحمه الله متقمِّصًا كلاً من شخصية المعارض والمؤيد: (فإن قلت: قد نقل المزاح عن رسول الله ﷺ وأصحابه فكيف يُنهى عنه؟! فأقول: إن قدرت على ما قدر عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وهو: أن تمزح ولا تقول إلا حقاً، ولا تؤذي قلبًا، ولا تُفرِّط فيه، وتقتصر عليه أحيانًا على الندور، فلا حرج عليك فيه، ولكن من الغلط العظيم أن يتخذ الإنسان المزاح حرفة يواظب عليه).[2]

والمزاح الشرعي والضحك، ينبغي أن لا يقوم على تحقير الناس، أو الاستهزاء بهم والسخرية منهم، وينطبق عليه وعلى غيره قوله ـ تعالي ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحجرات].[3]

كما أن المزاح لا يقوم على تحقير الناس. قال ﷺ: ((بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم)).[4]

---

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، ج٤/٢٥٤، ح برقم: ٤٨٠٠.

(٢) انظر: الإمام الغزالى، إحياء علوم الدين للغزالي، كتاب آفات اللسان، باب الآفة العاشرة: المزاح، ج٣/١٢٩.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٧٤٧.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، ج٨/١٠، ١١.

ويصبح المزاح حرامًا إذا صاحبه مخالفة شرعية من أي نوع كانت وقد روي عنه ﷺ: ((إن الرجل ليتكلم الكلمة لا يريد بها بأسًا إلا ليضحك بها القوم فإنه يقع فيها أبعد ما بين السماء والأرض)).(١) ولذلك يحرم المزاح الذي تنتهك فيه حدود الله.(٢)

وقد وجه الرسول ﷺ الصحابة بالبعد عنما يروع وإن كان مزاحًا قال ﷺ: ((لا يحل لمسلم أن يروع مسلمًا)).(٣)

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: ((لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده، فيقع في حفرة من النار)).(٤)

وفي مسلم أنه ﷺ قال: ((من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه)).(٥)

وقال ﷺ: ((لا يأخذن أحدكم متاع صاحبه جادًا ولا لاعبًا، وإذا وجد أحدكم عصا صاحبه فليردها عليه)).(٦)

---

(١) رواه أحمد في سننه، ج٣/٣٨.

(٢) انظر: الإمام الغزالى، إحياء علوم الدين للغزالي، كتاب آفات اللسان، باب الآفة العاشرة: المزاح، ج٣/١٢٩.

(٣) رواه أحمد في سننه، ج٥/٣٦٢؛ وأبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب من يأخذ الشيء على المزاح، ج٤/٣٠٣، ح برقم: ٥٠٠٤.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب من حمل علينا السلاح فليس منا، ج٨/٩٠.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، باب النهى عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، ج٨/٣٣، ٣٤.

(٦) رواه أحمد في سننه، ج٤/٢٢١؛ وأبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب من يأخذ الشيء على المزاح، ج٤/٣٠٢، ح برقم: ٥٠٠٣.

وقد يمتد المزاح إلى باب كبير من أبواب الكبائر، كالاستهزاء ببعض القرآن أو النبي ﷺ أو الأحكام الفقهية أو الصحابة أو العلماء، كما وقع من بعض المنافقين يوم تبوك حين استهزؤا برسول الله ﷺ وأصحابه، فنزل: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٦٦)﴾ [التوبة].[١]

وقال ﷻ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠)﴾ [النساء].[٢]

وقد حذر الله من مجالسة الذين يمزحون خائضين في آيات الله أو مستهزئين بشرعه وأهل دينه، قال ﷻ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٦٨)﴾ [الأنعام].[٣]

روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (إن كان النبي ﷺ ليخالطنا، حتى يقول لأخ لي صغير: "يا أبا عمير ما فعل النغير").[٤] والنغير: طائر صغير، وكان ﷺ يمازح أنس بن مالك بـ: "يا ذا الأذنين".[٥]

---

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٨٩٠.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٥٤٣.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٦٩٣.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس، ج٧/١٠٢.

(٥) رواه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب لأنس بن مالك رضي الله عنه، ج٥/٦٨١، ح برقم: ٣٨٢٨.

عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خَلقا، فأرسلني يوما لحاجة، فقلت: والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ، فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي، قال: فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: ((يا أنيس، أذهبت حيث أمرتك؟)) قال: قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله.[1]

وقد مرَّ رسول الله ﷺ بالسوق فرأى رجلاً من أصحابه فأمسكه من خلفه وقال: ((من يشتري هذا العبد)) ـ ممازحًا ـ؟ فقال يا رسول الله: إذًا تجدني كاسدًا! قال: ((لكنك عند الله لست بكاسد)).[2]

وتأتيه ﷺ امرأة: فيقول لها: ((أزوجك الذي بعينه بياض؟)). قالت: والله ما بعينه بياض. فقال ﷺ: ((بلى إن بعينه بياضًا))، فقالت: لا والله. فقال: ((ما من أحد إلا بعينه بياض)).[3]

كما روي من مزاحه ﷺ أن امرأة عجوزاً فقالت: يا رسول الله! ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال لها النبي ﷺ: ((يا أُم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز))، فولت تبكي، فقال: ((أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله ـ تعالى ـ يقول: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾ [الواقعة])).[4][5]

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا، ج٧/٧٤.

(٢) انظر: الهيثمى، مجمع الزوائد، كتاب المناقب، باب ما جاء في زاهر بن حزام رضي الله عنه، ج٩/٣٦٨، ٣٦٩؛ صحيح ابن احبان، كتاب الحظر والإباحة، باب المزاح والضحك، ج١٣/١٠٦، ح برقم: ٥٧٩٠.

(٣) إحياء علوم الدين للغزالى، كتاب آفات اللسان، باب الآفة العاشرة: المزاح، ج٣/١٢٩.

(٤) رواه الترمذي في الشمائل، وحسنه الألباني. (انظر: مختصر الشمائل المحمدية للترمذي ـ لمحمد ناصر الدين الألباني)، ص ١٢٨.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٨١١.

كان ﷺ يمزح مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو مضطجع في المسجد، بعد أن سأل عنه، فقالت فاطمة: (كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج فخاطبه ﷺ قائلاً: "قم أبا التراب قم أبا التراب").(١)

وعن أنس رضي الله عنه: (أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: احملني، قال النبي ﷺ: "إنا حاملوك على ولد ناقة"، قال: وما أصنع بولد الناقة؟! فقال ﷺ: "وهل تلد الإبل إلا النوق").(٢)

كان رجل يدعى زاهرًا، من أهل البادية يهدي إلى النبي ﷺ هدية من البادية فيجهزه ﷺ إذا أراد أن يخرج، فقال ﷺ: ((إن زاهرًا باديتنا ونحن حاضروه)). وكان ﷺ يحبه فأتاه ﷺ يومًا وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره فقال: من هذا؟ أرسلني. فالتفت فعرف النبي ﷺ فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه فجعل ﷺ يقول: ((من يشتري هذا العبد؟)) فقال زاهر: يا رسول الله إذًا والله تجدني كاسدًا. فقال ﷺ: ((لكنك عن الله لست بكاسد)).(٣) كما ورد أنه كان رجل يلقب حمارًا يضحك النبي ﷺ.(٤)

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضي الله عنه، ج٤/٢٠٧، ٢٠٨؛
ورواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ج٧/١٢٣، ١٢٤.

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب ما جاء في المزاح، ج٤/٣٠١، ح برقم: ٤٩٩٨؛
ورواه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المزاح، ج٤/ ٣٥٧، ح برقم: ١٩٩١.

(٣) رواه أحمد في مسنده، ج٣/١٦١.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج من الملة، ج٨/١٤.

وكان الصحابة رضي الله عنهم يمازحون النبي ﷺ. فعن عوف الأشجعي قال: ((أتيتُ رسولَ الله ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبَّةٍ من أدم، فسلَّمتُ، فردَّ وقال: أُدْخُلْ، فقلت: أَكلِّي يا رسول الله؟ قال: كلُّكَ، فدَخَلْتُ)).(١)

وعرف بالمزاح من الصحابة (نعيمان بن عمرو)، وكان لا يدخل المدينة طُرفة أو فاكهة إلا اشترى منها، وأكل بعضها، وأهدى الباقى إلى النبى ﷺ، فإذا جاء صاحبها يطلب ثمنها من نُعيمان أحضره إلى النبى ﷺ وقال: (أعط هذا ثمن متاعه!! فيقول ﷺ: "أولم تهده لى؟"، فيقول: نعم، ولكن، والله ليس عندي ثمنه، ولقد أحببت أن تأكله. فيضحك ﷺ ويأمر لصاحبه بالثمن).(٢)

وكان يسمر مع نسائه ويمازحهن أحيانًا، روى أبو يعلى عن عائشة رضي الله عنها قالت: (أتيت رسول الله ﷺ بخزيرة طبختها له، فقلت لسودة والنبى ﷺ بينى وبينها، فقلت لها: كلى، فأبت، فقلت: لتأكلنَّ أو لأُلطخن وجهك، فأبت، فوضعت يدي في الخزيرة فطليت بها وجهها، فضحك النبى ﷺ فوضع فخذه لها، وقال لسودة: "الطخي وجهها"، فلطخت وجهي، فضحك ﷺ).(٣)

وقدم صهيب على النبي ﷺ وبين يديه تمر وخبز قال: "أدن فكل"، فأخذ يأكل من التمر، فقال له النبي ﷺ: "إن بعينك رمدًا"، فقال: يا رسول الله: إنما آكل من الناحية الأخرى. فتبسم رسول الله ﷺ.(٤)

---

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب ما جاء في المزاح، ج٤/٣٠٢، ح برقم: ٥٠٠٠؛ وانظر: ابن كثير، الشمائل النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، وقد خرج الرواية.

(٢) إحياء علوم الدين للغزالى، ج٣/١٣٠، ١٣١، كتاب آفات اللسان، الآفة العاشرة: المزاح.

(٣) رواه الهيثمى في مجمع الزوائد، كتاب النكاح، باب عشرة الناس، ج٤/٣١٥، ٣١٦؛ إحياء علوم الدين للغزالى، كتاب آفات اللسان، الآفة العاشرة: المزاح، ج٣/١٢٩، ١٣٠.

(٤) رواه النسائى، ح برقم: ٣١٤٤، موقع الدرر السنية، صحيح ابن ماجه، (٢٧٩٣)؛ ورواه أحمد في مسنده، ج٥/٣٧٤.

وقد وردت رواية عن رجل يسمى أسيد رضي الله عنه كان يحدث وفيه مزاح، فيضحكهم، فطعنه النبي ﷺ في خاصرته بعود فقال: أصبرني، فقال: (اصطبر)، قال: إن عليك قميصًا وليس عليَّ قميص، فرفع ﷺ فاحتضنه، وجعل يقبل كشحه قال: إنما أردت هذا يا رسول الله.(١)

ويتمازح الصحابة فيما بينهم، دون اعتداء أو ضرر أو منهي عنه من كذب ونحوه. سئل ابن عمر رضي الله عنهما هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون؟ قال: (نعم، والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبل).(٢)

وقال بلال بن سعد: (أدركتهم يضحك بعضهم إلى بعض، فإذا كان الليل كانوا رهبانًا).(٣)

عن بكر بن عبد الله قال: (كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَبَادَحُونَ بِالْبِطِّيخِ، فَإِذَا كَانَتِ الْحَقَائِقُ كَانُوا هُمُ الرِّجَالَ).(٤)

* * * * *

---

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في قبلة الجسد، ج٤/٣٥٨، ح برقم: ٥٢٢٤.

(٢) انظر: التبريزي، مشكاة المصابيح، ج٤/٣٥٣؛ والإمام أحمد، الزهد، باب العمل والذكر الخفي، دار الكتب العلمية، ص ٨٢.

(٣) التبريزي، مشكاة المصابيح، من شرحه لمعات التنقيح، تاليف عبد الحق الدهلوي، تحقيق: تقي الدين الندوي، (باب الضحك)، ج٨/٩٠، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت)؛ (يتبادحون بالبطيخ) أي: يترامَوْن به.

(٤) خرَّجه البخاري في الأدب المفرد، باب المزاح ٢٦٦؛ نقلاً من كتاب (رش البَرَد شرح الأدب المفرد) للإمام البخاري رحمه الله، تأليف الشيخ الدكتور، محمد لقمان السلفي؛ صححه الألباني رحمه الله.

الخاتمة

في ختام هذا الجزء الخاص بالأدب في حياة النبي ﷺ لا بد من التذكير بأهمية الأدب وما ورد عنه في السنة النبوية، ومن ذلك شمائله ﷺ، التي وردت فيها أبواب متعددة في كتب الصحاح والسنن، مما يعجز الإنسان عن حصره وقد استشهدت بالكثير منها في هذا القسم وخصوصًا ما ورد عند البخاري ومسلم ـ رحمهما الله ـ. ولا شك أن الأدب في حياة الرسول ﷺ ثمرة من ثمرات التربية الإلهية له ﷺ والتشريعات الربانية. ويأتي في مقدمة ذلك أدب الرسول ﷺ مع ربه، وهذا جزء رئيس من موضوعات هذه الموسوعة وخصوصًا في هذا القسم.

وكذلك أدب النبي ﷺ مع الأنبياء عليهم السلام وقبل ذلك أدب الأنبياء عليهم السلام مع الله سبحانه وتعالى وهم أسوة لرسول الله ﷺ.

كما رأينا في هذا القسم أيضًا أدب النبي ﷺ مع كتاب الله سبحانه وتعالى وكلام الله المنزل في القرآن الكريم.

وذكرنا في هذا الجزء قسم رئيس يمس حياة الإنسان المسلم وغيره. ومن ذلك أدب الرسول ﷺ مع الخلق، والتأليف بين الناس وزيادة الترابط بينهم وما يرتبط بذلك مما علمه الناس ﷺ والعباد من الأدب مع الوالدين وبرهما، والأدب مع الأقارب، والأدب مع الزوجات، والأدب مع الأولاد. كما تطرق هذا القسم للأدب في المجالس وأدب البيوت. ومما تطرق له هذا القسم ما يرتبط بأمانته ﷺ وما يرتبط بصدقه وما يرتبط بعدله وما يرتبط بوفائه وما يرتبط بصبره وما يرتبط بحلمه وعفوه وما يرتبط بالتيسير في حياته ﷺ وما يرتبط بالسكينة والستر وما يرتبط كذلك بمزاحه ﷺ وبشجاعته وجده

وحزمه وحيائه، وكل هذه الموضوعات التي تطرق لها هذا المجلد تعتمد على روايات صحيحة نقلت عنه ﷺ، إضافة إلى ربط تلك الروايات بأدبه العام ﷺ في كل ناحية مع ما يرتبط بذلك مما ورد في كتاب الله ﷻ بشيء من التوسع الذي ربما يظن البعض أنه زياده. وكلما تذكرنا أن الرسول ﷺ كان خلقه القرآن وجدت من الضروري في أي حالٍ من هذه الأحوال الأدبية في حياته ﷺ أن نربط ما فيها بما في كتاب الله ﷻ وبما في حياة الأنبياء قبله وهم أسوة له ﷺ.

آملاً أن يكون في هذا المجلد ما يثري الحديث عن شمائل الرسول ﷺ ويربط المتأسي به ﷺ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب] وأنا على ثقة أن كل موضوع من هذه الموضوعات قد يأخذ مجلدًا كاملاً، لكنني راعيت ما يمكن أن يستفيد منه القارئ من خلال تلك الشواهد والتحليلات، وإن كنت ركزت على الشواهد بالدرجة الأولى مقدمًا البخاري ومسلم على غيرهما، معللاً من آرائي وزياداتي الخاصة في هذا الموضوع على خاتم النبيين ﷺ قدوة المؤمنين وشمائله مما ينبغي لكل مسلم أن يتعلمها ويتأسى بها ﷺ في أدبه مع ربه ﷻ أو في أدبه مع الخلق بمختلف فئاتهم وشرائحهم. والحمد لله رب العالمين

* * * * *

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد.

- المغازي، تحقيق عبد العزيز بن إبراهيم العُمري، ط١ـ الرياض: دار اشبيليا ١٤٢١هـ.
- المصنف، صححه عبد الخالق الأفغاني، كراتشي ـ باكستان: إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ١٤٠٦هـ.

أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت، ١٨٢هـ).

- كتاب الخراج، تحقيق قصي الدين الخطيب، ط٥ ـ القاهرة: المطبعة السلفية ١٣٩٦هـ.

ابن الأثير الجزري، المبارك بن محمد بن عبد الكريم، أبو السعادات (ت، ٦٠٦هـ).

- النهاية في غريب الأثر، تحقيق محمد الزاوي ومحمود الطناحي، بيروت: المكتبة الإسلامية (د. ت).

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت، ٦٣٠هـ، ١٢٣٨م).

- الكامل في التاريخ ـ بيروت: دار صادر ١٣٨٥هـ.
- أُسد الغابة في معرفة الصحابة ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي (د. ت).

ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي (ت، ١٥١ هـ).

- سيرة ابن إسحاق، المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي، تحقيق محمد حميد الله، ط٢ ـ قونية تركيا: الوقف للخدمات الخيرية ١٤٠١هـ.

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد عبد الله (ت، ٤٣٠هـ).

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط٤ ـ بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٠٥هـ.

الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين (ت، ١٤٢٠هـ).

- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الرياض: مكتبة المعارف ١٤١٥هـ.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته، بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

البخاري، الحافظ أبو عبد الله إسماعيل بن إبراهيم (ت، ٢٥٦هـ).

- صحيح البخاري (الجامع الصحيح) ـ الرياض: دار إشبيليا ـ؛ ط١ ـ بيروت: دار الفكر ١٤١١هـ. (بالصفحات).
- الرياض: دار السلام ١٤١٧هـ (بالأرقام) حسب المعجم المفهرس.
- الأدب المفرد ـ بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٦هـ.

البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي (ت، ٢٧٩هـ).

- فتوح البلدان ـ بيروت: دار الكتب العلمية ١٣٩٨هـ.
- أنساب الأشراف، الجزء الأول، تحقيق محمد ضمر الله، القاهرة: دار المعارف ١٩٥٩م.
- أنساب الأشراف، القسم الثالث، تحقيق عبد العزيز الدوري، القسم الرابع، تحقيق إحسان عباس ـ بيروت: ١٣٩٨هـ، ١٤٠٠هـ.

البيهقي، أبوبكر أحمد بن الحسين (ت، ٤٥٨ هـ).

- دلائل النبوة، تحقيق عبد المعطي قلعجي، ط١ ـ بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ.
- السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط٣ ـ لبنان: دار الكتب العلمية ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت، ٢٧٩هـ).

- الجامع الصحيح (صحيح الترمذي)، تحقيق أحمد محمود شاكر ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي (بدون تاريخ).
- سنن الترمذي تحقيق أحمد محمود شاكر ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي (د. ت).
- شمائل النبي ﷺ، تحقيق ماهر ياسين فحل، ط١ ـ بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٤٢٣هـ.
- مختصر الشمائل المحمدية، اختصار وتحقيق محمد ناصر الدين الألباني ـ عمّان الأردنّ: المكتبة الإسلامية ـ بالرياض: مكتبة المعارف ١٤٢١هـ.
- أوصاف النبي، تحقيق سميح عباس، ط١ ـ بيروت: دار الجيل (د. ت).

ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد السلام (ت، ٧٢٨ هـ).

- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ط٤ ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي (د. ت)؛ بيروت: دار المعرفة ١٩٦٩م.

- مجموعة فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم وابنه محمد، ط٢ ـ القاهرة: مكتبة ابن تيمية ١٣٩٩هـ.

- القرمانية ـ قاعدة تتضمن ذكر ملابس النبي ﷺ وسلاحه ودوابه ـ، تحقيق أبي محمد أشرف عبد المقصود، ط١ـ الرياض: أضواء السلف ١٤٢٢هـ.

- منهاج السنة ـ بيروت: دار الكتب العلمية (د. ت).

- أهل الصُّفة وأحوالهم، دراسة وتحقيق مجدي فتحي السيد، ط١ ـ طنطا: دار الصحابة للتراث ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت، ٨١٦هـ).

- التعريفات، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت، ٥٩٧هـ).

- صفة الصفوة، ط٢ ـ بيروت: دار المعرفة ١٣٩٩هـ.

- تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير ـ القاهرة: مكتبة الآداب (د. ت).

- رسائل ورسُل رسول الله ﷺ إلى الملوك والأشراف، تحقيق محمد عبدالرحيم، ط١ ـ دمشق: دار سعد الدين ١٤٢٥هـ.

- صفة الصفوة ـ بيروت: دار المعرفة ١٣٩٩هـ.

- الوفاء بأحوال المصطفى ـ بيروت: دار الكتب العلمية (د. ت).

- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تحقيق زينب إبراهيم القاروط، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت)

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت، ٣٩٣هـ).

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٤ ـ بيروت: دار العلم للملايين ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري (ت، ٤٠٥هـ).

- المستدرك على الصحيحين بذيله التلخيص للذهبي ـ القاهرة: مكتبة المطبوعات الإسلامية ١٣٩٠هـ.

ابن حبان، محمد بن أحمد التميمي البستي (ت، ٣٥٤هـ).

- السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، ط١ ـ بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٧هـ.

- صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط٢ ـ بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني(ت، ٨٥٢هـ).

- الإصابة في تمييز الصحابة ـ القاهرة، مطبعة السعادة ١٣٢٨هـ.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، مراجعة عبد الرؤوف سعد وآخرين ـ القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٨هـ.

ابن حنبل، الإمام أبو عبد الله أحمد (ت، ٢٤١هـ).

- مسند الإمام أحمد ـ بيروت: المكتبة الإسلامي ١٣٩٨هـ.
- فضائل الصحابة، تحقيق وصي اللّه بن محمد عباس، ط١ـ بيروت: مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى مكة ومؤسسة الرسالة ١٤٠٣هـ.
- الزهد، دار الكتب العلمية، باب العمل والذكر الخفي، ص ٨٢.

خليفة بن خياط، ابن أبي هُبيرة الليثي العصفري (١٦٠ ـ ٢٤٠هـ).

- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العُمري، ط٢ ـ بيروت: مؤسسة الرسالة ١٣٩٨هـ.
- الطبقات، تحقيق أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢ ـ ١٣٩٧هـ.

الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله البغدادي (ت، ٣٨٥هـ).

- سننه، عالم الكتب، بيروت، (د. ت).

الدارمي، أبو عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام (ت، ٢٥٥هـ).

- سنن الدارمي، عناية محمد أحمد دهمان، (د. م) و(د. ت).

أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت، ٢٧٥هـ).

- سنن أبي داود، تعليق عزت عبير، ط١ ـ حمص: دار الحديث ١٣٩١هـ.

الذهبي، الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت، ٨٤٧هـ).

- سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط٢ ـ بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤٠٢هـ .

ابن رجب، أبو الفرج عبد الرحمن الحنبلي (ت، ٧٩٥هـ).

- مجالس في سيرة النبي، تحقيق ياسين محمد السواس ومحمود الأرناؤوط، ط١ ـ دمشق: دار ابن كثير ١٤٠٨هـ.
- الاستخراج في أحكام الخراج ـ بيروت: دار المعرفة ١٣٩٩هـ.
- جامع العلوم والحكم، تحقيق ماهر ياسين الفحل، ط٢ـ القاهرة: الدار العالمية ٢٠١٦م.

الزبيدي، أبو الفضل محمد مرتضى (ت، ١٢٠٥هـ).

- تاج العروس من جواهر القاموس، ط١ـ القاهرة: المكتبة الخيرية ١٣٠٦هـ.

الزبيري، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب (١٥٦ـ ٢٣٦هـ).

- نسب قريش، تحقيق ليفي بروفنسال، ط٣ ـ القاهرة: دار المعارف ١٩٨٢م.

الزرقاني، محمد بن عبد الباقي (ت، ١١٢٢هـ).

- شرح المواهب اللدنية، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي ـ بيروت: دار الكتب ١٤١٧هـ.

ابن سعد، محمد بن منيع الزهري (ت، ٢٣٠ هـ).

- السيرة النبوية من الطبقات الكبرى، ط١ ـ القاهرة: الزهراء للإعلام العربي ١٤٠٩هـ.

- سنن النبي ﷺ وأيامه، استخرجه ورتبه عبد السلام محمد عمر علوش، ط١ ـ المكتب الإسلامي ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
- الطبقات الكبرى ـ بيروت: دار صادر (د. ت).

السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي (ت، ٥٨١هـ).

- الروض الأنف في تفسير السيرة لابن هشام، ضبط طه عبد الرؤوف سعد ـ بيروت: دار المعرفة ١٣٩٨هـ.

ابن سيد الناس، محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى (ت، ٧٣٤هـ).

- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط٢ـ دار الآفاق الجديدة ١٤٠٠هـ.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، أبو الفضل (ت، ٩١١هـ).

- الخصائص الكبرى (كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب) ـ بيروت: دار الكتب العلمية (د. ت).
- الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة، تحقيق محمد السعيد بسيوني ـ بيروت: دار الكتب العلمية.
- مسانيد أمهات المؤمنين، تحقيق محمد غوث الندوي ـ الهند: الدار السلفية ١٤٠٣هـ.

الصالحي الشامي، محمد بن يوسف (ت، ٩٤٢هـ).

- سبل الهدى والرشاد في هدي خير العباد، تحقيق مصطفي عبد الواحد وآخرين ـ القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٣٩٢هـ ـ ١٣٩٩هـ.

- أزواج النبي ﷺ، تحقيق محمد نظام الدين الفتيح، ط١ ـ دمشق: دار ابن كثير ١٤١٣هـ.

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت، ٣٦٠هـ).

- المعجم الأوسط، تحقيق طارق عوض الله ومحمد الحسني، ط١ ـ الرياض: دار الحرمين ١٤١٥هـ.

- المعجم الكبير، ضبط وتخريج: أبو محمد الأسيوطي، بيروت ـ لبنان: دار الكتب العلمية ١٤٣٣هـ.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت، ٣١٠هـ).

- السيرة النبوية، تحقيق جمال بدران، ط١ـ القاهرة: الدار المصرية اللبنانية ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

- تفسير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن ـ بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٢هـ.

- تاريخ الأمم والملوك ـ بيروت: دار الفكر (د. ت).

ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله النمري القرطبي (ت، ٤٦٣هـ).

- جامع بيان العلم وفضله، (موقع جامع الحديث).

عبد الرزاق، أبو بكر بن همام الصنعاني.

- المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢ ـ بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠٣هـ.

الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت، ٨١٧هـ).

- القاموس المحيط، ط٢ ـ القاهرة: مكتبة مصطفي البابي الحلبي ١٣٧١هـ.

- الصلات والبشر في الصلاة على خير البشر، حققه وعلق عليه محمد نور الدين عدنان الجزائري، عبد القادر الخياري، محمد مطيع الحافظ، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م.

ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (ت، ٦٢٠هـ).

- المغنـي، بيروت: عالم الكتب (د. ت).

القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح (ت، ٦٧١هـ).

- الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١ـ بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٢٧هـ.

مسلم، الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت، ٢٦١هـ).

- الجامع الصحيح ـ بيروت: دار الآفاق الجديدة (د. ت).

ابن القيم، محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت، ٧٥١هـ).

- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على خير الأنام، تحقيق عبد القادر وشعيب الأرناؤوط، ط٢ ـ الرياض: مكتبة المؤيد.

- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على خير الأنام، تحقيق زائد بن عبد الله النشيري، الرياض: مكتبة المؤيد.

- زاد المعاد في هدي خير العباد ـ بيروت: المكتبة العلمية (د. ت).

- إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ بيروت: دار الفكر العربي (د. ت).

- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق محمد حامد الفقي ـ بيروت: دار الكتب العلمية (د. ت).

- الطب النبوي، تحقيق عبد الغني عبد الخالق وآخرون ـ الرياض: مكتبة الرياض الحديثة (د. ت).

- الفروسية المحمدية، تحقيق زائد بن أحمد النشيري، ط٣ ـ مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ١٤٣٧هـ.

- مدارج السالكين، تحقيق عماد عمار، القاهرة: دار الحديث ١٤٢٦هـ.

ابن كثير، إسماعيل بن كثير، أبو الفداء الدمشقي (ت، ٧٧٤هـ).

- حجة الوداع، تحقيق خالد أبو صالح، ط١ ـ الرياض: دار الوطن ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

- السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد ـ بيروت: دار المعرفة ١٣٩٦هـ.

- الفصول في اختصار سيرة الرسول، تحقيق محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين مستو، ط١ ـ دمشق: مؤسسة علوم القرآن ١٣٩٩هـ.

- تفسير القرآن العظيم، ط٢ ـ الرياض: دار كنوز إشبيليا ١٤٣٠هـ.

- البداية والنهاية، ط٣ ـ بيروت: مكتبة المعارف ١٩٧٨م.

- شمائل الرسول ﷺ، تحقيق مصطفى عبد الواحد، ط١ ـ القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ٢٠١٠م.

- قصص الأنبياء، الإسكندرية: دار عمر بن الخطاب ١٤٠١هـ

مالك بن أنس، الإمام (ت، ١٧٩هـ).

- الموطأ، مراجعة فاروق سعد، ط٨ ـ بيروت: دار الآفاق الجديدة ١٤٠١هـ.

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك المعافري (ت، ٢١٨هـ).

- السيرة النبوية، حققها مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبي ـ القاهرة: دار الكنوز الأدبية (د. ت).

ابن ماجه، الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني(٢٠٧ ـ ٢٧٥م)

- سنن ابن ماجه، حققها محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (ت، ٤٥٠ هـ).

- أعلام النبوة ـ بيروت: دار الكتب العلمية (د. ت).

- الأحكام السلطانية، بيروت: دار الفكر (د. ت).

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت، ٧١١هـ).

- لسان العرب ـ بيروت: دار صادر (د. ت).

ابن الملقن الشافعي، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي (ت، ٨٠٤هـ).

- خصائص النبي ﷺ، تحقيق أبي عبد الرحمن عادل بن سعد، ط١ـ القاهرة: مكتبة أبي حذيفة السلفي ١٤٢١هـ.

النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف (ت ، ٦٧٦ هـ).

- شرح صحيح مسلم، إشراف علي أبو الخير، تقديم وهبة الزحيلي، ط٣ ـ دار الخير ١٤١٦هـ.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي (٢١٤ ـ ٣٠٣هـ).

- كتاب الوفاة، وفاة النبي ﷺ، تحقيق دار الفتح، ط١ـ الشارقة: دار الفتح ١٤١٥هـ.
- سنن النسائي، بشرح جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٤٠١هـ.
- السنن الكبرى، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، بيروت: دار إحياء التراث العربي (د. ت)

الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر(ت، ٨٠٧هـ).

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٨هـ.

اليحصبي، القاضي عياض بن موسى (ت، ٥٤٤هـ).

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ـ بيروت: دار الكتب العلمية (د. ت).

الواقدي، محمد بن عمر (ت، ٢٠٧هـ).

- المغازي، تحقيق مارسدن جونس ـ بيروت: عالم الكتب (د. ت).

أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي (ت، ٣٠٧هـ).

- مسند أبي يعلى، أبو يعلى الموصلي، تحقيق حسين أسلم أسد، ط١ـ دمشق: دار المأمون للتراث ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

ثانيًا: المراجع:

أنيس، د. إبراهيم، وآخرون.

- المعجم الوسيط، إعداد مجمع اللغة العربية القاهرة ـ إسطنبول: المكتبة الإسلامية (د. ت).

الترمانيني، عبد السلام.

- أزمنة التاريخ الإسلامي، الجزء الأول، المجلد الأول (أهم أحداث التاريخ الإسلامي) ـ الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون ١٤٠٢هـ.

جاد، أحمد.

- وفاة الحبيب وما كان في الأيام الأخيرة من حياة الرسول ﷺ، القاهرة: دار الغد ٢٠٠٣م.

الجميل، محمد فارس.

- بيوت النبي ﷺ وحجُراتها (وصفة معيشية)، ط١ـ بيروت: جداول للنشر والتوزيع ٢٠١٦م.

الحمَد، محمد بن إبراهيم.

- الحوار في السيرة النبوية ـ الكويت: وزارة الأوقاف ١٤٢٩هـ.

- رسائل في العقيدة ـ الرياض: دار ابن خزيمة ١٤٢٣هـ

ابن حميد، صالح بن عبد الله، وعبد الرحمن بن ملوح ـ إشراف مع مجموعة من المختصين.

- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، ط٢ـ جدة: دار الوسيلة ١٤٣١هـ.

حميد الله، محمد.

- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط٤ـ بيروت: دار النفائس ١٤٠٣هـ.

الحداد، أحمد عبد العزيز بن قاسم.

- أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة، ط٢ـ بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

أبو خليل، شوقي.

- أطلس السيرة النبوية، ط٢ ـ دمشق: دار الفكر ١٤٢٣هـ.
- دراسة في السيرة، ط١٥ـ بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٢٢هـ.
- المستشرقون والسيرة ـ الدوحة: دار الثقافة ١٤١٠هـ.
- الخندق "غزوة الأحزاب"، ط١ـ دمشق: دار الفكر ١٤٠٦هـ، ص ١٠٩.

الخميس، عثمان محمد.

- كنوز السيرة، ط٢ ـ الكويت: غراس للنشر والتوزيع ١٤٢٨هـ.

داوودي، صفوان.

- الحجرات الشريفة، سيرة وتاريخ، ط٢ـ وقف البركة الخيري، المدينة المنورة ١٤٢٢هـ.

الدهلوي، عبد الحق.

- لمعات التنقيح، تاليف عبد الحق الدهلوي، تحقيق تقي الدين الندوي، بيروت: دار الكتب العلمية (د. ت).

رزق الله، أحمد مهدي.

- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ط١ـ الرياض: مركز الملك فيصل ١٤١٢هـ.
- صفوة السيرة النبوية في سيرة خير البرية، ط١ـ دار إمام الدعوة ١٤٢٧هـ.

السلفي، محمد لقمان:

- رش البَرَد شرح الأدب المفرد للإمام البخاري، الرياض: دار الداعي للنشر والتوزيع ١٤٢٨هـ.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجنكي الشنقيطي.

- السيرة النبوية لابن حجر في فتح الباري، الكويت، ١٤١٤هـ.

أبو شهبة، محمد بن محمد بن سويلم (ت، ١٤٠٣هـ).

- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، ط٧ ـ دمشق: دار القلم ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

الصلابي، علي بن محمد بن محمد.

- أصح الكلام في سيرة خير الأنام (السيرة النبوية)، ط٣ ـ دمشق: دار ابن كثير ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه شخصيته وعصره، القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٤٢٥هـ.

الظاهري، أبو تراب.

- ذهول العقول بوفاة الرسول، جدة: دار القبلة ١٤٠٤هـ .

عبد الرحمن بن سعد الشثري.

- حجرة النبي ﷺ تاريخها وأحكامها، الرياض: دار الفضيلة ١٤٣٥هـ.

عبد الغني، محمد إلياس.

- بيوت الصحابة حول المسجد النبوي الشريف، ط٢. المدينة: مركز طيبة ١٤١٨هـ.

العزي، صالح أحمدالعلي.

- تهذيب مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين، القاهرة: دار ابن الهيثم ٢٠٠٤م

العلي، إبراهيم.

- صحيح السيرة النبوية، ط٢ ـ بيروت: دار النفائس ١٤١٦هـ.

العُمري، أكرم ضياء.

- الرسالة والرسول، ط١ـ ١٤١٠هـ (د. م).
- المجتمع المدني في عهد النبوة الجهاد ضد المشركين، ط١ـ المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية ١٤٠٤هـ.
- الحياة الاجتماعية والاقتصادية في عصر النبوة، ط١ـ الرياض: دار إشبيليا ١٤١٧هـ.
- المجتمع المدني في عهد النبوة خصائصه وتنظيماته الأولى، ط١ـ المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- السيرة النبوية الصحيحة، ط٣ ـ المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم ١٤٢٥هـ.

- موقف الاستشراق من السيرة النبوية ـ الرياض: دار إشبيليا ١٤١٦هـ.

العُمري، عبد العزيز بن إبراهيم.

- أبعاد إدارية واجتماعية واقتصادية وتقنية في السيرة النبوية، ط١ ـ الرياض: مطبعة سفير ١٤٢٦هـ.
- مبادئ التخطيط والإدارة في السيرة النبوية، ط١ـ الرياض: مطبعة سفير ١٤٢٨هـ.
- الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، ط١ ـ الرياض: دار إشبيليا ١٤٢٢هـ.
- الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ، ط٣ ـ الرياض: دار إشبيليا ١٤٢٠هـ.
- الفتوح الإسلامية عبر العصور، ط٢ ـ الرياض: دار إشبيليا ١٤١٩هـ.
- رسول الله وخاتم النبيين (خمسة أجزاء)، بيروت: بيسان ١٤٣٢هـ.
- بناء المجتمع المدني وتنميه في السيرة النبوية، ط١ ـ الرياض: دار إشبيليا ١٤٣٧هـ.

الغزالي، محمد.

- فقه السيرة، ط٧ ـ القاهرة: دار الكتب الحديثة ١٩٧٦هـ.

القسم العلمي بمؤسسة الدار السلفية:

- موسوعة الأخلاق، إشراف الشيخ علوي السقاف، ط٣ ـ الظهران، دار الدرر السنية ١٤٣٩هـ.

الكتانى، عبد الحي بن عبد الكبير.

- نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية ـ بيروت: دار الكتب العلمية (د. ت).

الكمداني، أديب.

- فن تعامل النبي ﷺ في الحياة الزوجية ـ دمشق: دار البشائر الإسلامية ١٤٢٥هـ.

النفيسي، محمد بن سليمان:

- (الحجرة النبوية عبر التاريخ) مجلة الفرقان العدد: ٤١ ـ ٤٥، الكويت: ١٤١٤هـ.

ثالثًا: المواقع الإلكترونية:

- *https://www.alukah.net*
- *://www.alukah.net/sharia*
- *https://almoslim.net/node /*
- *https://binbaz.org.sa* موقع الشيخ عبد العزيز بن باز /
- *https://dorar.net/akhlaq*
- *https://ar.islamway.net/*
- *http://mercyprophet.org/mul/ar/node/*

* * * * *

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة
مقدمة	٧
تمهيد	٩
الأدب مع الله ﷻ	١١
أدب الأنبياء والرسل مع الله ﷻ	١٦
الأدب مع كتاب الله ﷻ	١٩
الأدب مع الرسول ﷺ	٢٥
الأدب النبوي مع الخلق	٢٩
أدبه ﷺ في التأليف بين الناس	٣١
أدب المجلس	٥١
أدب البيوت	٦١
شكر الناس	٧١
الأدب مع الوالدين وبرهما	٧٥
الأدب مع الزوجات الأولاد	٨٢
الأدب مع الأقارب	١٠٢
أمانته ﷺ	١٠٨
الصدق	١٣٧
العفة في حياته ﷺ	١٥٥
عدله ﷺ	١٧٢
العهد والوفاء	٢٠٧
صبره ﷺ	٢٢٤

الموضـــوع	الصفحة
حلمه وعفوه ﷺ	٢٤٩
الكرم والسخاء في حياته ﷺ	٢٦١
شجاعته ﷺ	٢٨٠
حزمه وعزمه ﷺ	٢٩١
التيسير	٢٩٥
الستر	٣٠٨
السكينة	٣١٦
حياؤه ﷺ	٣٢١
مُزاحه ﷺ	٣٣٢
الخاتمة	٣٤١
المصادر والمراجع	٣٤٣

* * * * *